الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة منتوري – قسنطينـــة -

رقم التسجيل:

الرقم التسلسلي:

كلية الآداب و اللغات. قسم اللغة العربية و آدابها.

صدى أحداث 08 ماي 1945م في أدبيات الحركة الوطنية الجزائرية

بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي الحديث

شعبة (أدب الحركة الوطنية الجزائرية)

إعداد الطالب: إشراف الدكتور:

حكيم سليماني. محمد العيد تاورته.

لجنة المناقشة.

1- الدكتور:	جامعـــة:	رئيسا
2- الدكتور: محمد العيد تاورته.	جامعـــة:	مشرفا و مقررا.
3- الدكتور:	جامعـــة:	عضوا مناقشـــا.
4- الدكتور:	جامعـــة:	عضوا مناقشـــا.

العام الجامعي.

1427 هـ - 1428 هـ .

2006م – 2007م .

لبســـــــم الله الرحمـــــن الرحيـــــــم

قال تعالى:

« ولا تحســـبن الذين قتلوا في ســـبيل الله أمواتا
بل أحيـــاء عند ربهم يرزقـــون ».

سورة آل عمران(الآية 169)

مقـــدمـــة:

إن الأدب الجزائري شعره ونثره لا يقل كمّا ولا أهمية عن صنوه في المشرق العربي ،ولقد كنا ولا نزال نجهل عنه الشيء الكثير ،ذلك لأن جلّ هذا التراث الهائل لا يزال متناثرا في الصحافة أو في المخطوطات ،لم ير النور بعد ،والكثير منه ضاع واندثر بسبب الظروف الاستعمارية التي عاشها الوطن وعايشها الأدباء والشعراء ،الذين كانوا أكثر الناس عرضة للملاحقة والمحاسبة عن كل ما يصدر عنهم من كلمة ،بل إن الحرف العربي في الجزائر لا يكاد يرى النور حتى تلتهمه النار .

وفي سبيل التعريف بالأدب الجزائري أثناء الاحتلال وبعده ،جاء إنشاء شعبة ماجستير "أدب الحركة الوطنية الجزائرية" بقسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب واللغات جامعة منتوري قسنطينة .

وبما أن حقل البحث يبدو بهذا الشكل شبه محدود منذ البداية ،أي البحث في ميدان الأدب الجزائري أثناء الاحتلال وربما يمتد إلى ما بعد الاستقلال ،ذلك لأن الأدب الجزائري بعد الاستقلال يعد جله امتدادا لأدب ما قبل الاستقلال ،بل هو صدى للفترة الاستعمارية الطويلة ،ونتيجة التجربة المريرة التي مرّ بها الوطن لردح من الزمن يفوق المائة والثلاثين سنة ،شهدت فيها الجزائر أفظع الحوادث ،وعانت من ويلات الحربين الكونيتين ،الأولى والثانية .وكادت الأمة الجزائرية تضمحل وتستتبع إلى فرنسا ،لولا مرحمة من الله ،وجهاد في سبيل تحرير هذا الوطن ،وإعلاء كلمة الحق فيه .

ولعل من أفظع ما مرت به هذه الأمة ،أحداث 08 ماي 1945 ،والتي ما تزال حية في ضمير كل جزائري ،وفي وجدان الكبار والأطفال أيضا على حدّ سواء ،وإن لم يعيشوا الحوادث ،ولم يكتووا بنارها .

إن هذه الأحداث الفظيعة ،قد أفرزت الكثير من الكتابات والنتائج ،وعلى جميع الأصعدة الأدبية منها والسياسية والتاريخية ،بل إنها كانت المنعطف الحاسم ،والخندق الفاصل ،في تاريخ الحركة الوطنية .

ولقد كان لهذه الحوادث والجرائم ،صدى وأثر كبير في نفوس الجزائريين ،وفي وجدان الكتاب والشعراء بالتحديد ،ذلك لأن الأديب هو ضمير الأمة الحي وقلبها النابض ولسان حالها يعيش مآسيها وأفراحها ،ثم يعبر عنها بصدق وحرارة ،و من هذا المنطلق وقع اختياري على الموضوع الموسوم بـــ:

ولقد كنت أدرك جيدا أن هذه الجريمة ،ستسيل الكثير من الحبر كما أسالت الكثير من الدماء ولا بد أن يتأثر بها ويخوض فيها أكثر من كاتب وأديب ،وتنظم فيها أكثر من قصيدة .لقد كان من الطبيعي أن يكتب في موضوع أحداث ماي محمد العيد آل خليفة ذاكرة الشعر الجزائري، وراصد الأحداث ،وأن يكتب فيه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ،رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ربّان العروبة وشيخ الإسلام في الجزائر ،وكنت على يقين أن وقع الأحداث سيكون قويا ومؤثرا في نفوس جميع الكتاب والأدباء الذين عاشوا الأحداث ،أو جاءوا بعدها ولكن لم أكن أعلم على وجه اليقين حجم ما كتب هؤلاء كما أني لم أكن أعلم على وجه اليقين كذلك بقية الكتاب والشعراء الذين كتبوا في هذا الموضوع لذلك آثرت أن أقف وقفة باحث يحاول تدقيق الأشياء حول الكتابة النثرية و الشعرية على وجه الخصوص في هذا الموضوع ،كما أحاول تلمس الخصائص الفنية التي وظفت في هذه الإبداعات .

ومن هنا بدأت رحلة البحث وتجميع النصوص الأدبية التي قيلت في أحداث ماي وفي ذكراه السنوية ،وبالتالي فقد عثرت على قدر وافر من المقالات والقصائد ،التي كتبت بعد الأحداث أي منذ عام 1948 ،وبعض القصائد كتب بعد الاستقلال ،فكلما استجدت ذكرى أحداث 8ماي 1945 ينفعل الأدباء والشعراء ،ويسترجعون الحدث فيبدعون فيه نثرا أو شعرا .

وقد جمعت جهد الاستطاعة ما قيل في أحداث ماي ،وأردت أن أجيب عن بعض التساؤلات حول هذا الموضوع ،فكيف عاش الأدباء والشعراء الحدث مثلا؟ وكيف انفعلوا به؟ وكيف تفاعلوا معه في مجتمعهم؟ وماهي ردود أفعالهم تجاهه؟ وما طبيعة المواقف التي اتخذوها بعد الأحداث؟ ثم ما سرّ تواصل الكتابة الأدبية حول هذا الموضوع بعد الاستقلال؟ وما طبيعة ما كتب من حيث المضمون والشكل ،هل هي كتابات متشابهة مكرورة؟ أم أنها متطورة متغيرة؟

وإن كان هذا البحث سيتناول بالدراسة مجموعة من المقالات والقصائد التي قيلت قبل الاستقلال ،فإن النصوص الشعرية بعد الاستقلال ،فرضت نفسها خصوصا وأن حجمها يكاد يساوي حجم ما قيل قبل الاستقلال ،وأن من الشعراء من نظم في الموضوع قبل الاستقلال وبعده .لذلك فقد نظرت فيها أحـــيانا مقـــارنة مع سابقتها ،وهو أمر أزعم أنه تواصل لصدى أحداث 8 ماي 1945

على أن أعود إلى هذا الصدى في دراسة لاحقة وذلك أمر يخرج عن التاريخ المحدد حاليا للبحث ،وإن كانت نية دراستي له كمشروع مستقبلي حاضرة في ذهني ،ولا أزعم أني قدمت إحصاء شاملا لقصائد ما بعد الاستقلال في هذا المضمار .

ولعل مما دفعني إلى مباشرة الموضوع تشجيع الأستاذ المشرف ،ثم العثور على أكثر من دراسة عرضت إلى الموضوع .

أذكر من هذه الدراسات ما أورده الدكتور «صالح خرفي» في كتابه«الشعر الجزائري» ، من تعريف بأحداث 8 ماي 1945 وتعليق حول شيء مما كتبه الشعراء في الذكرى ،وإشارة إلى بعض الأناشيد الثورية التي لا يعرف قائلوها .

كما عثرت على مقال للأستاذ محمد الأخضر عبد القادر السائحي ،بمجلة الثقافة عدد 57 جمادى الثانية /رجب 1400هـ /مايو /يونيو 1980م ،جله حديث تاريخي عن الذكرى وقد أشار فيه إلى أنه يمكن أن نجمع ديوانا كاملا من الشعر الفصيح يتحدث عن مأساة8 ماي 1945 ،لكنه لم يستدل إلاّ بقصيدتين ،الأولى من الشعر الشعبي للشاعر بلخير ولد فرحات ،والثانية سينية محمد العيد آل خليفة "لا أنسى" .

كما تناول أستاذنا الدكتور «عبد الله حمادي» الموضوعة في مؤلفه« أصوات من الأدب الجزائري الحديث »، حيث حلل فيه خلفيات أحداث و ماأفرزته من كتابات لدى بعض الشعراء، ثم كتب عن آثارالأحداث في الرواية الجزائرية.

وللدكتور «عبد الملك مرتاض» مؤلف مطبوع في عام 2003 بعنوان «أدب المقاومة الوطنية في الجزائر» في جزءين ،رصد في الجزء الأول منه شيئا من شعر «الربيع بوشامة» و «عبد الكريم العقون» في أحداث 8 ماي 1945 وقدم تحليلا له ،كما استغرب سكوت الشعراء عن تناول القضية ،قائلا : "ولكن ما بالنا نلوم شعراء الشباب و لم يكد يلتفت من شعراء الشيوخ أنفسهم ممن عاصروا تلك المذبحة ،إلا بوشامة والعقون؟ "ثم يستدرك ويشير إلى أن لمحمد العيد قصيدة سينية جميلة في الموضوع كما علق في الجزء الثاني من الكتاب حول كتابات محمد البشير الإبراهيمي وباعزيز بن عمر ،في الأحداث . وقد كتب أستاذنا الدكتور «محمد العيد تاورته» دراسة في الموضوع ،نشر الجزء الأول منـــها في مجلة «منتدى الأستاذ» ع1 ،2005م التي تصدرها المدرسة العليا للأساتذة بقسنطينة وقد نشر الجزء الثاني من الدراسة في مجـــلة «الآداب» ع8 ،2005م التي يصدرها قسم اللغـــة العربية و آدابها بجامعة منتوري بقسنطينة .

إن هذه الكتابات رغم أنها أثارت الموضوع ،وأوردت شواهد نثرية وشعرية حوله ،إلا أنها تعد محدودة ،من حيث عدد النصوص ،ومن حيث طبيعة الدراسة ،كما أن أيا من أصحابها لم يزعم أنه أحاط بالموضوع إحاطة تامة ،وقد لا أزعم أنا بدوري ،ولكن سأحاول ذلك ما وسعني الجهد .

ومع ذلك فإن تلك الجهود ،وتلك التشجيعات التي تفضل بها السابقون ،قد زرعت في نفسي الرغبة في البحث والتنقيب عن كل ما قيل في أحداث ماي ،وأنا اعتمد عليها ،وأطمح إلى أن أضيف إليها .

أما المنهج الذي اخترته لمعالجة الموضوع ،فهو المنهج الوصفي التاريخي نظرا للطبيعة التاريخية للقضية ونظرا لملاءمته لجمع النصوص وإحصائها وترتيبها وتتبعا لتطور مضامينها،كما سأستعين بالمنهج الفني للكشف عن بعض الظواهر اللغوية والفنية فيها .

وقد رأيت تقسيم الموضوع إلى مدخل وبابين عدا المقدمة والخاتمة .

- فالمدخل يلقي الضوء على الواقع الجزائري في الربع الثاني من القرن العشرين ،ويعرف بأحداث 8 ماي 1945 ، بالإضافة إلى الحديث عن واقع الكتابة الأدبية ،في فن المقالة والشعر ،في هذه الفترة.

وينقسم الباب الأول الخاص بفن المقالة إلى فصلين :

- يكشف الفصل الأول عن مضامين المقالات التي كتبت حول أحداث 8ماي1945 .

- ويبرز الفصل الثاني بعض الملامح الفنية التي طبعت هذه النصوص كالوصف والمقارنة وضرب الأمثلة ،والحوار والخطابية ،وظاهرة السخرية والتهكم ،ومدى اهتمام الكتاب بالبيان والبديع ثم الاقتباس .

وينقسم الباب الثاني ،الخاص بالشعر الذي قيل في الأحداث إلى فصلين :

- يكشف الفصل الأول عن مضامين قصائد8 ماي 1945 .

- أما الفصل الثاني الخاص بالتشكيل الفني في قصائد 8ماي1945 ،فهو يبرز أولا:

بعض الظواهر اللغوية والتعبيرية التي وسمت بها قصيدة ماي ،(وحين أستعمل كلمة قصيدة ،إنما أريد مجموعة القصائد التي كتبت حول الأحداث)مثل الكلمات المكررة باللفظ أو بالمعنى أو بالصفة كالاستعمار والثورة والحرية وتكرار العبارة ودلالتها ،كما يكشف عن ثنائية القوة واللين في التعبير في القصيدة الواحدة ،إضافة إلى تحليل ظاهرة الخطابية في القصيدة وتعدد الانفعالات لدى الشعراء .

- ويتطرق ثانيا إلى:

الصورة الشعرية ،وقد رصدت من خلاله مجموعة من الصور عبر القصائد ،كما يكشف عن الرموز

الموظفة ،والتي تعد من الأدوات الفنية التعبيرية التي تحمل الكثير من الدلالات إلى جانب الصورة الشعرية .

- كما سيتناول هذا الفصل أيضا قضية الموسيقى، بحيث يقدم إحصاء للقصائد والبحور التي نظمت فيها، ويتحدث عن القافية بين الأحادية والتنوع ،وأثر التصريع كظاهرة بلاغية وصوتية ،في مطالع القصائد .

- أما الخاتمة ،فتكون تلخيصا موجزا لنتائج البحث.

وقد ذيلت البحث بأربعة ملاحق :

الملحق الأول جمعت فيه المقالات التي كتبت حول أحداث ماي ،والملحق الثاني جمعت فيه القصائد التي قيلت في الموضوع قبل الاستقلال وبعده ،والملحق الثالث يحتوي على نص المقابلة مع الشاعر بن رقطان محمد ،ثم الملحق الرابع وفيه تراجم الكتاب والشعراء.

وإذا كان من التقاليد أن يذكر الباحثون الصعوبات التي واجهتهم أثناء عملية البحث فإنه لا يكاد يخلو بحث أو إنجاز من متاعب ومصاعب ،وإنما متعة البحث تكمن في تحدي الصعوبات وتجاوزها .وقد يوشك الباحث على الانتهاء من إنجاز بحثه فتضمحل تلك الصعوبات وتتلاشى .

ولعلي أذكر من الصعوبات التي اعترضتني في بداية البحث بعض العناء الذي لاقيته في جمع المادة المتناثرة في الصحف الوطنية وجمع بعض الكتب والدواوين التي لم يكن من السهل الحصول عليها ،وقد اضطررت أحيانا إلى نسخ بعض النصوص .

كما أذكر صعوبة الجمع بين وظيفة التدريس والتكفل بالأسرة من جهة ،والبحث الجاد من جهة أخرى ،ولعل هذه المعضلة يتقاسمها جميع الباحثين ممن هم في وظائف مختلفة ،وبفضل من الله تجاوزت هذه الصعوبات التي أعانني على تذليلها أستاذي المشرف محمد العيد تاورته لما قدمه إلي من نصح وتوجيه ،وأفادني به من تجربته وخبرته وسعة صدره ؛فكان أبا يتتبع خطى طفله إلى أن يستوي على السير ولا يزيغ عن جادة السبيل ،فهو أحق بالاعتراف بالجميل .

وقد أكرمني الشاعر الأستاذ بن رقطان محمد الذي خصني بمقابلة أفادتني كثيرا في موضوع البحث ،وأهداني دواوينه التي منها قصيدتاه في ماي . كما أشكر كل من ساعدني في انجاز هذا العمل المتواضع ،مهما كان نوع المساعدة.ولا يفوتني أن أشكر لجنة المناقشة على ما تجشمته من مشقة قراءة البحث ،وما ستفيدني به من نقد وتوجيه ،لا شك أنه سوف ينير طريقي ،ويثري تجربتي في ميدان البحث العلمي .

الثلاثاء 23 ماي 2006 .

مـــدخـــل:

الـــواقع الجـــزائري في الربـــع الـــثاني مـــن الـــقرن العـــشرين .

أولا: ظروف المجتمع الجزائري في الربع الثاني من القـــرن العشـــرين .

ثـــانيا : واقع التعبير الأدبي في الجزائر إبان الربع الثاني من القرن العشرين.

أ- الكـــتـــابة النـــثـــرية.

ب-الإبـــداع الـــشـــعري .

أولا: ظروف المجتمع الجزائري في الربع الثاني من القرن العشرين .

تعتبر مجزرة 8 ماي 1945 حلقة من سلسلة الطويلة لعمليات الإبادة التي تبنتها فرنسا منذ أن وطئت أقدامها أرض الجزائر في جوان 1830 ، لأن طبيعة الاستعمار في الجزائركانت استيطانية، أي أن المستوطنين إنما أرادوا إنشاء دولة استيطانية في الجزائر مستقلة عن فرنسا و هذا لن يتأتى لهم إلا بعد سياسة الإبادة الجماعية للجزائريين و تنصيرهم، فقد آمن الاستعماريون أن الحملة العسكرية ستكون عقيمة دون الاستيطان.

قال بيجو(*)« إننا في حاجة إلى جحافل من المعمرين الفرنسيين و الأوربيين و لكي تجلبوهم فمن اللازم عليكم أن تعطوهم أراضي خصبة، لا يطير غرابها، أينما و جدتم مياها متدفقة و أراضي و مراعي ترعى، أنزلوا بها المعمرين و لا يهمكم أمر أربابها».(1)

إن الحرب التي شنتها فرنسا في الجزائر و الحملة التي وجهتها إليها ليست عسكرية أو توسعية فحسب،بل هي حملة صليبية تستهدف الأرض و الإنسان و الدين و تعمل على توسيع النصرانية يقول الكاردينال لافيجري(**): « علينا أن نخلص هذا الشعب، و نحرره من قرآنه، و علينا أن نعنى على الأقل بالأطفال لننشئهم على مبادئ غير التي شب عليها أجدادهم، فإن واجب فرنسا تعليمهم الإنجيل أو طردهم إلى أقاصي الصحراء بعيدين عن العالم المتحضر». (2)

لكن ما الذي أدى إلى تفجير الوضع في 8 ماي 1945؟

لقد اختلفت الأسباب والعوامل باختلاف الكتاب والجهات التي تناولت الموضوع، ولعل من الأسباب الأقرب الى الموضوعية مايلي:

- تبخر المطالب المرفوعة إلى باريس بعد عقد المؤتمر الإسلامي بعاصمة الجزائر في جوان 1936 (3) على الرغم من أن جل المطالب كانت اجتماعية.

(*) بيجو (Bugeaud thomas)، (1784-1849) : من ماريشالات فرنسا اللذين حكموا الجزائر. ينظر (Larousse de poche p 466)

(1)عباس، فرحات: ليل الاستعمار . نقله إلى العربية أبو بكر رحال. مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، دون تاريخ.ص 76.

(**) شارل لافيجري (Charles Lavigerie) : (1825-1892): رجل دين فرنسي، مؤسس تنظيم الآباء البيض. ينظر(Larousse de poche p 499).

(2)خرفي، صالح: المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، دون تاريخ . ص 49.

(3) ينظر ابن العقون ، عبد الرحمان بن ابراهيم : الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر ، الفترة الثانية 1936-1945، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984 م . ص ص 6-35.

- شـــــروع السلطات الاستعماريـــة في محاصرة الأحزاب السياسية، و الحد من نشاطها منذ 1939 و كذلك توقيف الصحف الجزائرية الصادرة آنذاك...

- تبخر مطالب الجزائريين الواردة في البيان (*) الذي أعده فرحات عباس عام 1943وقد تضمن البيان من المطالب :

« إدانة الاستعمار و القضـــاء عليـــه...تطبيق حق تقرير المصير لجميع الشعوب...حرية جميـــع السكان...الاعتراف باللغةالعربية...حريةالصحافة...التعليم المجاني والإجـــباري...حريـــة الـــدين... مشاركة المسلمين في حكم بلادهم...إطلاق سراح جميـــع المعتقلين...» .(1)

وأمام هذا كله كانت السياسة الفرنسية متجمدة متصلبة ، قائمة على مبدأ أن العربي لايحترم إلا القوة ، غير أن الجزائريين اللذين كانوا قبل الحرب العالمية الثانية يطالبون بالمساواة أصبحوا بعدها لا يرضون إلا بالاستقلال ، نتيجة الوعي المنتشر في صفوف الجزائريين من خلال تجارب المؤتمر الإسلامي والحرب العالمية الثانية .(2)

هذا على الصعيد الداخلي أما على الصعيد الخارجي فإنه ما لبثت فرنسا أن سقطت تحت الاحتلال الألماني عام 1940 فكان انهزام فرنسا بداية لتصدع سياسي داخلها، كما أن الجزائريين تأكدوا من أن فرنسا الاستعمارية التي لا تقهر ، إنما هي أسطورة ، و أكذوبة، فتخلصوا مـــن عقـــــدة الخوف و الرهبة من قوتها.

- ثم إن فرنسا تفكر في إعطاء تونس و عمالة قسنطينة إلى إيطاليا هدية لمنعها من التحالف مع ألمانيا كما فكرت في إهداء و هران إلى إسبانيا أيضا، و تحتفـــظ لنفسها بعمالة الجزائر. (3)و هذا قد رسخ في أذهان الجزائريين أن فرنسا لا يعنيها من الجزائر إلا مواردها البشرية لتخلصها من شر الألمان، كما كانت من قبل آلة لإدارة مصانعها و مشروعاتها، أما الأرض الجزائرية فهي ملك يمينها تهبها لمن تشاء و متى تشاء.

(*)مزيد من التوضيح حول الموضوع ، ينظر رخيلة، عامر: 8 ماي 1945 المنعطف الحاسم في مسار الحركة الوطنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1995م . ص ص38-42 .

(1) عباس، فرحات : ليل الاستعمار .ص ص 169، 170.

(2) ينظر ، سعد الله ، أبو القاسم : الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945 ،الجزء الثالث ، الطبعة الرابعة،دار الغرب الإسلامي،1992م. صص 243، 244 .

(3)ينظر، عباس، فرحات : ليل الاستعمار .ص 165.

- و مما زاد من تفاؤل الجزائريين ما تمخض عنه ذلك اللقاء بين الرئيس الأمريكي روزفلت، ورئيس الوزراء البريطاني تشرشل في أوت 1941، و قد توج بصدور ميثاق الأطلسي، الذي يتعهد بحرية تقرير المصير للشعوب، و منحها حريتها في إدارة شؤونها بنفسها. (1)

إن هذه التعهدات و تلك الحملـــة الإعلامية الدعائية للحرية، و استقلال الشعوب، قد أغرت الجزائريين، و جعلتهم يحسنون النية بالحلفاء و بفرنسا، رغم تاريخ المآسي المرير الذي مروا به طول الفترة الاستعمارية.

وبعد هذا كله كيف تمت المظاهرات و بعدها المجزرة؟

إن هذه العوامل المذكورة دفعت بالجزائريين إلى الخروج في مظاهرات سلمية في الفاتح ماي 1945، و يصادف ذلك اليوم العيد العالمي للعمال.

ثم تبعتها مظاهرات في 8 ماي 1945 احتفالا- كبقية شعوب العالم- بعودة السلام ، و زوال خطر النازية و الفاشية،لكن ممثلي الإدارة الاستعمارية كانوا قد تأهبوا منذ المـــظاهرات الأولى لـــقمع الجزائريـــين ،و أعدوا العدة لذلك.

- و مما هيج السلطات الاستعمارية و المعمرين، حمل العلم الوطني إلى جانب رايات الحلفاء، و رفع لافتات تحمل مجموعة من المطالب، كالديمقراطية و إطلاق سراح المعتقلين، و المساواة ، و سقوط النظام الأهلي و الاستعمار، و استقلال الجزائر،مع ترديد الأناشيد الوطنية (حيوا الشمال و من جبالنا)،وصادف ذلك اليوم الثلاثاء، السوق الأسبوعي في مدينة سطيف التي كانت مهدا لتلك المظاهرات، فاعترضت الشرطة صفوف المتظاهرين و أمر أحد مفتـــــشيها(سعال بوزيد) (*)برمي العلم الوطني، و حين رفض الأمر أطلق عليه الرصاص فكان أول شهيد لمظاهرات 8 ماي 1945 و هذا أشعل فتيل المواجهات ثم القمع. (2)

---

(1)ينظر بومالي ، ح ، « 8 ماي 1945 منعطف حاسم »، جريدة المجاهد ع 1500 ، 1989. ص 8.

(*)سعال بوزيد: (جانفي 1919-08 ماي 1945) : ابن أحمد و نوارة مهدي، ولد ببلدية الأوريسيا بسطيف، عمل عند أحد الفرنسيين برحي القهوة و انخرط في الكشافة الإسلامية.(ينظر مجلة سيتيفيس ع 2 ،مارس/ أفريل 2005. ص 8).

(2)ينظرعزوي، محمد الطاهر،" مظاهرات و أحداث "،مجلة الثقافة: السنة العشرون، ع 108، ماي/ جوان 1995م. ص ص 79- 81.

وإن كانت المظاهرات، و عمليات القمع شديدة و عنيفة بمدينتي سطيف و قالمة إلا أن كثيرا من المدن و الأرياف الجزائرية قد شملتها المظاهرات ، و امتدت إليها أيدي الآثمين بالقتل و الحرق كخراطة و بني عزيز و عموشة و البليدة و برج بوعريريج و عنابة و غيرها من الأماكن.

ثم كيف انتقمت فرنسا من الجزائريين في الأيام التي تلت الثامن ماي 1945؟

لقد تواصلت عمليات القمع و الاعتقالات و إعلان حالة الطوارئ ، و ليت الأمر توقف عند هذا الحد! فقد جاهرت فرنسا بالعدوان و الإثم، و قلبت للجزائريين ظهر المجن.

«إن الانتقام كان فظيعا ، فقتل بعض الأوربيين أدى إلى إعدام جماعات من المسلمين بمجرد الشك فيهم، ففي الساعة السادسة و النصف من صباح الاثنين 14 ماي 1945 فتحت زنازن السجن في مدينة قالمة، و بعد أن نودي على 49 سجينا قيل يلزم أيضا أحد عشر ليكون العـــدد 60، هكذا شاءت قوات الظلم و الظلام، و أخذ هؤلاء عفوا من صفوف المعتقلين، ثم حكم على الجميع من طرف اللجنة العسكرية التي تعقد اجتماعاتها لهذه المهمة بإدارة الجندرمة و أعدمتهم المليشيا رميا بالرصاص ». (1)

« و توالت الأيام و الليالي تفنن فيها أحفاد " بيجو " في قتل الجزائريين و التمثيل بهم فأحرقوا أحياء بالعشرات، و مزقوا بطون النساء الحوامل على رهان زجاجة من الخمر،و ألقوا بالشيوخ ذوي المكانة في القرية، من أعلى الطائرات...و يروى أيضا أن السلطات الفرنسية خصصت شاحنات لنقل المواطنين مقيدين و تفرغ بهم كما يفرغ الرمل من أعلى قمة " شعبة لآخرة " . خراطة...» .(2)

«واستقدمت فرنسا من الألزاس لورين اللواء السابع ليشارك في التدمير ،و أمر الوزير الشيوعي " تيتون" سلاح الطيران بقذف مدن و قرى قالمة وعنابة وخراطة وعموشة ووادي المرسى...و تم تدمير حوالي خمسة و أربعين قرية بواسطة سلاح الطيران و البحرية، و تعاونت كتائب الميليشيا للمعمرين مع هذه القوات». (3)

---

(1)الشاذلي، المكي،« حوادث 8 ماي 1945 حقائقها و أسبابها و نتائجها » ،مجلة الأصالة،ع53، السنة السابعة، صفر/ محرم 1398 هـــ / جانفي 1978م . ص 85.

(2)مجلة سيبتفيس، ع2 ، 2005 . ص ص 3، 4.

(3) عزوي، محمد الطاهر، « مظاهرات و أحداث»، مجلة الثقافة ع 108، 1995. ص 80.

وإن كانت تقديرات الضحايا تختلف من الجهات الوطنية إلى الجهات الفرنسية و الأجنبية فإن الرقم الذي احتفظ به الجزائريون و حفظوه ، هو خمسة و أربعون ألف شهيد.

و الذي يعنينا من هذا كله أن الجريمة قد وقعت و بشكل منظم و متواصل أياما بعد يوم 8 ماي 1945، و هذا يعني أن فرنسا قد بيتت النية في اقتراف هذه المجازر، و أن المستوطنين أذكوا نارها ، فكانت الحصيلة ثقيلة.

و بعد هذا كله ما العبر التي استخلصها الجزائريون من هذه التجربة المريرة؟

إن الاستعمار بالجزائر لـــم يكن بإمكانـــــه أن يتطور بصفة سلمية، فلم يبق للشعب الجزائري أي خيار آخر إلا الكفاح المسلح عاجلا أو آجلا.

إن الكفاح المسلح لابد أن يتم إعداده و تحضيره بصفة محكمة من أجل تحقيق النصر، و ينبغي كذلك الاستعداد عسكريا و سياسيا و دبلوماسيا.

« إن الجزائريين في معظمهم، قد اقتنعوا بأن لا خلاص من الاستعمار الفرنسي، الذي بقي فـــي الجزائر أكثر من قرن ، ثم ارتكب جريمة (8 ماي 1945) إلا بـــثورة مسلحـــة شاملة، و هو ما حدث بالفعل بعد تسع سنوات من تلك الأحداث ، حيث اشتعلت ثورة أول نوفمبر 1954 الخالدة.» (1)

---

(1)تاورته، محمد العيد. « الجذور التاريخية و الطبيعية المأساوية لأحداث 8 ماي 1945) في الجزائر». مجلة منتدى الأستاذ، ع 1 . أفريل 2005 م . ص 170.

ثـــــانيا: واقع التعبير الأدبي في الجزائر إبان الربع الثاني من القرن العشرين :

أ-الكتابـــــة النثريـــــة:

إن الحديث عن ظروف الكتابة الأدبية يقودنا إلى الحديث عن الصحافة ذلك أن التراث الأدبي الجزائري جله متناثر في الصحف ، بـــل إن الصحافة تكاد تكون أول المنابـــر و أهم قنوات التعبير أمام الأدباء أيام الاحتلال،و المتتبع لتاريخ الصحافة العربية يدرك أنها ظهرت أولا بالمشرق العربي قبل مغربه أي في لبنان و مصر، و ذلك بعد ظهور الطباعة، ثم انتشرت في بقـــية بلدان الوطن العربي و ظهورها بالجزائر كان متأخرا.

« و لا شك أن ظهور الصحافة الوطنية في وقت متأخر يرجع إلى أسباب كثيرة من بينها انعدام الحرية تحت الاحتلال...أضف إلى ذلك مشكلة الطباعةوالنـــشر، فإحـــياء التراث و نـــشر الصحف و خلق أدب جديد يواكب التطور في المجتمع لم يتـــم سوى في القرن الحالي(*)» .(1)

و الحديث عن الصحافة يسوق هو الآخر إلى الحديث عن المقال، ذلك أن هذا الأخير يرتبط بالصحافة ارتباطـــا وثيقا و قد كان للصحافة دورها في التعايش مع هـــذا الفن و تطويره.

« كذلك فإن هناك عـــوامل أخرى أسهمت فـــي ظهور المقال الأدبـــي ، مثـــل الصلة بالمـــشرق و اقتفاء الكتاب و الأدباء لأثر المشارقة إلى جانب الحركات السياسية و الإصلاحية التي لعبت دورهافي هذه اليقظة الفكرية». (2)

ويرى الدكتور أبو القاسم سعد الله أن الكتابة العربية في الجزائر في القرن الأخير مرت بثلاث مراحل:

- مرحلة التخلص من أسلوب الماضي الذي يعـــرف بالترادف و السجع و الاستشهاد بالشـــعر و العبارات المأثورة و العناية بالديباجة و القشرة، و تنتهي بظهور جريدة (الشهاب) عام 1925.
- مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى، حين نـــشأت الـــصحافة الوطنية و اهتمت بالأدب و الفكر و العروبة ، و تمثلها جريدة « المنتقد» ، و جريدة « البصائر » الأولى، تخلص النثر فيها من المحتويات القديمة و نبذ الطلاء ، و عبر عن الحقائق في أسلوب واضح سريع الحركة قصير الفاصلة مباشر المعنى

(*) يقصد القرن العشرين .

(1) ركيبي، عبد الله: تطور النثر الجزائري الحديث، الطبعة الثانية، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر،1983.ص 134.

(2) المرجع نفسه. المكان نفسه.

يمتاز بطابع الأصالة والعمق و كان النثر الأدبي فيه ضئيلا، و تنتهي بظهور« البصائر » الثانية عام 1947.

- ثم مرحلة التخطيط و التـــركيز،وهـــي أكثر احتفاء بالأدب، فيها ظـــهرت بذور القصـــة و المسرحية و الرواية، و تقدمت المقالة فأصبحت تتميز بطابعها الفني المعروف؛و هي أغنى المراحل ومن كتابها محمد البشير الإبراهيمي و أحمد رضا حوحو. (1)

أما الدكتور عبد الله الركيبي فهو يصنف تيارات الكتابة في المـــقال بالنظر إلى اتجاه الكاتب وانتمائه. فالاتجاه المحافظ يمتاز بفكره الرجعي المتخلف، و لغته المتكلفة الجامدة و يمثله فئة درست في الزوايا و في مراكز الـــــطرق الصـــوفية.ثم رجال الفكر الإصلاحي الذين تأثروا بـــالثقافة العـــربية و التراث، و بالنهضة العربيـــة الحديثة، و هؤلاء منهم من يهتم بالفكرة و توصيلها بأسلوب صريح و مباشر دون اهتمام كبير بالصياغة اللغوية لإحداث ما يسمى باللذة الأدبية عند المتلقي، و يمثل لهم بعبد الحميـــد بن باديس و العربي التبسي و مبارك الميلي و الطيب العقبي،و منهم من يكتب المقالة السياسية، أو ما يسمى بالأدب السياسي الذي يراعى فيه قدرمن الجمال الأدبي، مثل أحمد توفيق المدني و بعض كتاب حزب الشعب الذين عالجوا القضايا الوطنية خاصة حين صدرت جريـــدة « المنار» ثم « المغرب العربي» ، و من هؤلاء السعيد الزاهري، و محمود أبوزوزو و عبد الحميد مهري.

و النوع الثاني من كتاب المقالـــة الإصلاحية لاءموا بين الفكرة والأسلوب العربي التقليدي و البلاغة العربية القديمة و منهم محمد البشير الإبراهيمي.

و البعض حاول أن يجدد في الصياغة و المحتوى معا و منهم أحمد رضا حوحو. (2)

« ظهرت هذه الكتابات الأخيرة في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، أي ابتداء من سنة 1947و هو التاريخ الذي ظهرت فيه جـــريدة البـــصائر لجمعية الـــعلماء المسلمين الجـــزائريين في سلسلتها الثانية، و من المعروف أن هذه الجريدة، و جرائد أخرى مثل «المنـــــار» لمحمود أبو زوزو لعبـــــت دورا أساسيا لا في الدفاع عن عروبة الجزائرو إسلامها و حق الشعب الجزائري في الحرية و الاستقلال فحسب ، بل و في تطوير النثر الجزائري الحديث كذلك» .(3)

---

(1)ينظر، سعد الله، أبو القاسم: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، الطبعة الثالثة،الدار التونسية للنشر،تونس/ المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م . ص ص88،87.

(2)ينظر، ركيبي، عبد الله. تطور النثر الجزائري الحديث. ص ص 137- 139.

(3) مصايف، محمد : النثر الجزائري الحديث،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983م . ص 115.

إذن فقد اتجهت الكتابة بعد أحداث 8 ماي 1945 نحو التعبئة السياسية للشعب و ذلك من أجل تهيئته و توجيهه للحصول على الاستقلال،« فإذا كان السياسي يميل إلى التحريض و الإثارة، و بعث الغـــيرة في النفوس عن طريق الخطب و المقالات الساخنة، فإن الأدب كان يسعى إلى نفس الغاية و لكن في هدوء و أناة و عمق». (1)

« و السمة العامة في الأدب الجزائري الحديث أن القضايا التي شغلت الشعراء شغلت الناثرين أيضا، فهناك هموم مشتركة بين النوعين معا».(2)

---

(1)مصايف، محمد:المرجع السابق . ص 100.

(2)ركيبي، عبد الله: تطور النثر الجزائري الحديث. ص 139.

ب-الإبداع الشعري :

بعد انعقاد المؤتمر الإسلامي الذي ضم جل التيارات و الأفكار المتواجدة في الجزائر رفعت إلى باريس جملة من المطالب ،وكانت المطالب التي تمخض عنها المؤتمر اجتماعية أكثر منها سياسية ورغم ذلك فإنها قد تبخرت و تلاشت ،فظل المواطن الجزائري و الشاعر الجزائري بصفته معبرا عن طموح أفراد المجتمع يغريه التفاؤل و الأمل في تحقيق المطالب التي حملها الوفد المنبثق عن المؤتمر إلى السلطات الفرنسية في باريس ، و في هذا الشأن بقول الشاعر محمد العيد :

يـــــا لجنة البحـــــــر خبرينا هـــل فيك للشعب مـــن مـــفيـــد

يـــــا لجنة البحر لا تحيفـــــــي عن جانب العـــدل أو تحـــيـــدي

هل من جديد لديك يعطـــــى للشعب فـــــي عامـــه الجديـــد؟

هل من جديـــد فقـــد سئمنـــــا سياســـــة الوعـــــد و الوعيـــد (1)

و في قصيدة أخرى يقول الشاعر محمد العيد مذكرا فرنسا بمطالب الجزائريين:

يـــــاوفـــــد ذكّـــــرفرنســـــا عهـــــدا تـــقـــادم عـــهـــــــدا

قـــــــل مسنـــــا الضر قبـــــلا وخاننـــــا الصبـــر بـــعـــــــدا

متـــــى تـــفيـــــن بـــــوعـــــد يـــا أعـــذب الناس وعـــــــدا؟ (2)

لكن الشاعر -والمجتمع الجزائري عموما - سرعان ما يصيبه التبرم و خيبة الأمل بعد أن رأى المماطلة من فرنسا،فيطالب بتسديد الدين ورد الحقوق :

إنا نـــقاضـــيـــــك دينـــــــا قـــد آن أن يـــــــستـــــــردا

حـــقـــا لنـــا مـــنك يقضـــى لا نعمة منك تســـــــــــدى (3)

---

(1)خليفة، محمد العيد محمد علي:الديوان، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، دون تاريخ.ص 295.

(2) المصدر نفسه .ص300.

(3)المصدر نفسه . المكان نفسه.

و في الذكرى الأولى للمؤتمر الإسلامي في أوت 1937 ، يقول الشاعر محمد العيد مستنفرا مستفزا:

فقم يا ابن البلاد اليوم و انهض بلا مهل فقد طال القـــــود
وقـــل يا ابن البـــلاد لكل لص تجلى الصبح و انـــتبه الرقـــود
تنـــادى المسلمون لأخذ حـــق أقر به الـــنصارى و اليـــهـــود
بغى الباغي رداك فخاب سعيا وللباغي الردى و لك الخـــلود(1)

ولأن الشاعر محمد العيد آل خليفة كان أعلى الأصوات شعرا في حقبة مابين الحربين ، فإننا نجده يتابع واقع الأحداث فيدعو عام 1938إلى مساءلة فرنسا عن مصير المطالب الجزائرية، و يحذرها قائلا:

و يا وفد سائل فرنسا عن مطالبنا إلى متى هي تحت البحث و النظر
و يا وفد حذر فرنسا من مماطلـــة كدنـــا نميل بهـــا لليأس و الضجر(2)

ومن ناحية أخرى فإن « ابن باديس يدرك أبعاد التعبير الشعري عن المواقف التاريخية التي لا يخلدهـــــــا إلا الشعر». (3)،لذلك نجده يقول في الذكرى الثانية للمؤتمر الإسلامي بعد أن أصابه التبرم من الفرنسيين لمماطلتهم في تلبية مطالب المؤتمر:

أشـــعب الجزائر روحي الفـــدا لمـــا فيك من عزة عربيـــــــــه
بنيت على الدين أركانهـــــــــا فكانت سلاما على البشـــريـــه
خـــلدتم بها و كم خلـــــــدت بهذي الديار على الأبـــديـــــــه
فدوموا على العهد حتى الفنـــــا وحتى تنالوا الحـــقوق الســـــنيه
تنـــالوها بسواعدكـــــــــــم وإيمانكم، و النفوس الأبـــيـــــه
فضحوا، و هـــا أنـــا بينكـــــــم بذاتي وروحي عليـــكـــم ضحـــيه(4)

---

(1) خليفة، محمد العيد محمد علي: المصدر السابق. ص ص 304-305.

(2)المصدر نفسه.ص 319.

(3) خرفي ، صالح : الشعر الجزائري . ص 205.

(4) الطالبي ، عمار :ابن باديس، حياته وآثاره ، الجزء الثالث ، الطبعة الثانية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1403هـ - 1983م .ص 569.

و الشاعر أحمد سحنون لا يحيد عن الاتجاه الذي ارتضاه الإمام ابن باديس لشعب الجزائر، فيقول في الغرض ذاته :

ليس التشدق بالكلام سياسة كلا و لا ذكرا لمجازر و الحروب
أو أن تثير لدى المجالس ضجة حول التقدم و التأخر في الشعوب
إن السياسة أن تفكر دائما فيما تعانيه بلادك من خطوب
و ترى، فتعمل ما ترى لعلاجها ولو اقتحمت له المهالك و الكروب
أما التشدق بالسياسة وحده من غير تضحية فمن شر العيوب(1)

و نبرح احمد سحنون إلى شاعر الثورة مفدي زكريا في نشيد هو « أقرب إلى الموقف الثوري المتفجر ، منه إلى التعبئة السياسية السلمية». (2)

اعصفي يا رياح و اقصفي يا رعود
و اثخني يا جراح و احدقي يا قيود
نحن قومٌ أباه ليس فينا جبان
قد سئمنا الحياه في الشقا و الهوان
لا نمل الكفاح لا نمل الجهاد في سبيل البلاد (3)

وفي نشيد(فداء الجزائر)يؤكد مفدي زكريا على الجهاد لتحقيق الحرية والاستقلال:

ألا في طريق الهدى سعينا ألا في سبيل العلا و الجهاد
ليسطع بأفق السما نجمنا و يلقى الروعة في كل ناد
فها هو ذاك اللوا معلنا حملناه ذا اليوم فوق الفؤاد
و ها هو (أحمد) يحدو بنا و ها هو (جبريل) فينا ينادي
ألا في سبيل الاستقلال ألا في سبيل الحرية (4)

فمن خلال النشيدين يصدع الشاعر بلفظي (الكفاح و الجهاد) و يثني عليهما بلفظي الاستقلال والحرية، و هذا إنما يؤكد الوعي الوطني في شعر هذه المرحلة و أن لا سبيل إلى نيل المطالب

---

(1)سحنون ، أحمد: الديوان ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، دون تاريخ. ص 143.

(2) خرفي ، صالح:الشعر الجزائري .ص 208.

(3)الشيخ ، مفدي زكريا : اللهب المقدس ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1983م .ص 84.

(4)المرجع نفسه .ص 106 .

إلا بالكفاح و الجهاد ،بعد أن فشلت الطرق السلمية و إرسال الوفود إلى من وعودهم سراب بقيعة، و عهدهم مداد بقرطاس.

إن شعرهذه المرحلة (1936- 1945)، وصفه أبو القاسم سعد الله بشعرالبناء،« كما أخذ شـــعر البناء يواجه العـــدو بشئ من الصراحة و التسديد و يبشر بما في الجزائر من طاقات مذخورة وما فيها من خصائص تميزها و تجعل منها شخصية نموذجية،و من أجل هذه النظرة إلى القضايا الوطنية ، أسمينا هذا الشعر شعر البناء». (1) و لا نبرح شعر البناء حتى نستدل عليه بأبيات لمحمد العيد من قصيدة له بعنوان « بلادي».

هلمَّ نعارك فالحياة معـــارك هلمّ نقاحم فالحيـــــاة مقاحم

هلم نثرْ في المؤمنين جميعهـــــم دويا له مثل الرعـــود دمادم

هلم نبع لله ما ابتاع منهـــــــم ففي البيع أرباح لنا وغنائـــم

هلم بني قومي إلى المجد نعلـــــه فنحن له منذ القديم دعائم(2)

تلك لمحة عن ظروف الكتابة الأدبية في الجزائر ودوافعها منذ مابين الحربين إلى أحداث 8 ماي 1945ولكن ، ماذا عن الشعر و الشعراء في الحقبة التي ندرسها ، وبخاصة بعيد حوادث ثامن ماي 1945، (و هل في الجزائر شعراء؟) ذلك ماجاء في مقال للشاعر، حمزة بوكوشه،وهو المقال الذي نشرته جريدة البصائر عام 1949.والذي فيه إجابة عن هذا السؤال حين قال:« سؤال يكاد الإنسان يجيب عنه بديهيا بأن في الجزائر شعراء كثيرين و كثيرين جدا،لكن إذا أمـــعـــن المسؤول النظر فيه و تعمق في فهمه يجيب معي بقول الشاعر:

إني لأفتح عيني حين أفتحهـــا على كثير لكن لا أرى أحدا

هذا إذا استثنينا محمدا العيد و طبقته». (3)

جواب يخفي الكثير من التهكم و السخرية و ذلك ما توحي به كلمة " يكاد" التي هي من أفعال المقاربة، يقارب صاحب المقال و يكاد يقر بأن في الجزائر شعراء لكنهم هجروا الشعر بل أصابهم الجين فكمت أفواههم بعد حوادث 8 ماي 1945.

---

(1)سعد الله ، أبو القاسم :دراسات في الأدب الجزائري الحديث. ص 42.

(2)خليفة ، محمد العيد محمد علي :الديوان . ص137 .

(3)بوكوشه ،حمزة، « هل في الجزائر شعراء »،جريدة البصائر ، ع 85 ، الإثنين 7رمضان 1368هـ / 4جويلية 1949م. ص 8.

يواصل صاحب المقال : « مرت على الجزائر أحداث جسام كحادثة قالمة و سطيف- و كم من حوادث قبلها فاهتز لها العالم و لم نر من شعراء الجزائر اليوم من أذاب قطعة من كبده فيها، و سكب فيها عبرات من الشعر تجلو صورها و تحفظها للأجيال.» (1)

و إن السؤال نفسه جدير بالطرح على الشاعر حمزة بوكوشة، فأنا لم أعثر له على شعر في حوادث 8 ماي 1945م في حدود ما بحثت.

إن هول هذا اليوم و فظاعته أعجزت الأقلام عن التصوير و الكتابة فتعذر القول و انحبس الشعر. تبرير يفسر به كل من محمد العيد و الشيخ الإبراهيمي انحباس القول و غياب النص لفترة امتدت حتى الذكرى الثالثة للأحداث ، أي عام 1948، ذلك ماورد في قصيدة (لا أنسى) لمحمد العيد آل خليفة:

فيا لك من خطب تعذر وصفه فلم تجر أقلام به فوق أطراس. (2)

أماالشيخ محمد البشير الإبراهيمي فقد ورد في مقال له- نشر بالبصائر عام 1948- مانعده أيضا تبريرا لصمت الأدباء والشعراء عن هول تلك الحادثة وذلك حين قال :« يوم مظلم الجوانب بالظلم، مطرز الحواشي بالدماء المطلولة ، مقشعر الأرض من بطش الأقوياء ، مبتهج السماء بأرواح الشهداء ، خلعت شمسه طبيعتها فلا حياة و لا نور، و خرج شهره عن طاعة الربيع، فلا ثمر ، و لا نور ،و غبنت حقيقته عن الأقلام، فلا تصوير و لا تدوين». (3)

و يبرر صالح خرفي انحباس الشعر في الجزائر من جراء هول الأحداث بما لا يختلف عن كل من محمد العيد آل خليفة ومحمد البشير الإبراهيمي حين قال « فسكت الشعر بعد هذه المجازر سنوات لا يحبر كلمة، حتى تساءل بعض الأدباء عن سر هذا السكوت، و لكنه في نظري هدأه طبيعية يفرضها عاملان: فداحة الخطب، و اليأس من الشكوى إلى غير راحم».(4)

---

(1)بوكوشه ،حمزة، « هل في الجزائر شعراء ؟»،جريدة البصائر ، ع 85 ، الإثنين 7رمضان 1368هـ / 4جويلية 1949م . ص 8.

(2) خليفة ، محمد العيد محمد علي :الديوان .ص 326 .

(3) الإبراهيمي ، محمد البشير :عيون البصائر ، الجزء الثاني ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، دون تاريخ .ص 369.

(4) خرفي ، صالح :الشعر الجزائري . ص 212.

أما أحمد شرفي فهو يخالف رأي الدكتور صالح خرفي في التعليل لهذا الموقف إذ يقول :

« فالقصائد التي خلدت الأحداث السابقة قيلت في الذكرى الثانية، و ما بعدها، و بعد تنديد الصحافة الوطنية بالصمت الذي لاذ به الأدباء إزاء تلك المجازر الرهيبة، فهول الصدمة لا يعقل أن يفرض السكوت سنوات عديدة، و عندما يسترد الشعراء و عيهم، لا يقدمون غير أصداء باهتة و سطحية للحادث الرهيب». (1)

ثم يتابع شرفي تعليله بالإشارة إلى عوامل عدة في تفسير ما أسماه بأزمة الشعراء الجزائريين فالعامل السياسي يتمثل في القيود الاستعمارية المفروضة على حرية التفكير و التعبير و الرقابة المسلطة على الصحافة الوطنية، و العامل الثقافي يعود إلى ضحالة تكوين الشعراء و بالتالي ضحالة تكوين الجماهير و إهمال النقد و الدراسات الأدبية.

أما العامل النفسي فهو إحساس الشعراء بالذنب لأنهم دفعوا الجماهير إلى النضال و حين وقعت المجازر العنيفة لاذوا بالصمت مرغمين. (2)

إن العاملين الأول و الأخير يبدوان أقرب إلى المنطق و الموضوعية أما العامل الثقافي فيبدو بعيدا عنها ، ذلك لأن الكاتب يشير إلى أن الصحافة الوطنية نددت بصمت الشعراء، فخرجوا عن صمتهم، و في الوقت ذاته يشير إلى أن الرقابة الاستعمارية كانت تمارس بشدة على الصحافة الوطنية، فكيف للصحفي الذي يكتب معتمدا التصريح و اللغة المباشرة أن يندد ، في حين يعجز الشاعر - الذي يومئ و لا يصرح ، و يلمح دون أن ثم ما علاقة ضحالة تكوين الشعراء و الجماهير و غـــياب النقد و الدراسة بصمت الشعراء؟ إن الشاعر كان يفصح عن نفسه قبل الحوادث و يتواصل مع الجماهير ثم إن البلاغة مراعاة مقتضى الحال و مخاطبة الناس بما يفهمون.

و للدكتور عبد الله حمادي تعليق على قول الدكتور صالح خرفي: « و يعوز صالح خرفي هذا السكوت إلى فداحة الخطب والشكوى إلى غير راحم' و هو استنتاج استلهمه من قول الشاعر محمد العيد آل خليفة الذي قال بمناسبة مرور الذكرى الثالثة على تلك المجازر:

فيا لك من خطب تعذر وصفـــه فلم تجر أقلام به فوق قرطـــاس

سئمنا من الشكوى إلى غير راحم و غير محق لا يـــدين بقسطاس

---

(1)شرفي، أحمد :الشعر الوطني الجزائري 1925 – 1945، رسالة دكتوراه ، معهد اللغة والأدب العربي 1978م 1979م جامعة الجزائر ، ص 103.

(2)ينظر المرجع نفسه . ص ص 105، 106.

لكن المعيار النقدي في مثل هذه المواقف لا يجب أن يتذرع بالنص الإبداعي كشهادة على الحضور أو الغياب». (1) ثم يستطرد معللا غياب الأدب في هذه الفترة، و هو يقترب كثيرا من العامل السياسي الذي برر به أحمد شرفي هذا الموقف:« و من هنا فقد الأدب الجزائري منابره الرسمية المكتسبة التي كانت بمثابة لسان حال تطلعاته السياسية و النضالية، فلا جريدة البصائر عادت إلى الظهور، و لا جريدة الأمة و لا الدفاع و لا الوفاق و لا صوت الشعب و لا غيرها من الصحف وكما حصل لعناصر الحركة الوطنية من تشريد و اغتيالات، و دخول قسري إلى مجاهل السرية كذلك الحال بالنسبة للأدب.» (2)

فعلا إن المجزرة الوحشية تلتها تدابير أمنية مشددة و مصادرة للصحافة و شن حـــملة من القمع و الاعتقالات. و من بين الذين وقعوا ضحية الاعتقال بعد الحوادث مباشرة هم أبرز الأقلام الجزائرية آنذاك أمثال الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و الشاعر عبد الرحمن بن العقون، و فرحات عباس، و الشاعر الربيع بوشامة و غيرهم كثيرون.

ثم ماذا يقول عبد الرحمن شيبان في هذه القضية ؟ لقد حاول أن يجد تبريرا لذلك الصمت مستمدا من واقع المجتمع الجزائري ماليا وسياسيا ونفسيا ،فقال:« إن الأديب الجزائري في بؤس شامل ، فهو لا يجد من المال ما يسد به الرمق ، فضلا عما يشتري به كتابا يستمد منه الوحي و الإنتاج، و لا يجد من الحالة النفسية ما يملك معه رشده حتى يسطر كلمة ممتعة أو مفيدة ، و هو فوق ذلك لا يجد من الحرية ما يعلن به رأيا جريئا يخالف نزعة أو يعـــارض نزعة...إنـــه يعيـــش تحـــت أحكـــام عرفيـــة فرضتها عليـــه الشخصيـــات و الهيئات». (3)

وإذا كان الشاعر محمد العيد آل خليفة هو أهم من حاول تعليل ما جرى من صمت حول أحداث 8 ماي 1945فإن أبا القاسم سعد الله يقول عنه : « و قد كان محمد العيد في باتنة عند حوادث 8 مايو 1945 الدامية ، و بهذه المناسبة صدرت الأوامر بإغلاق المدرسة التي كان يعلم فيها و المهم أن الشاعر ظل محتفظا بصمته عن قول الشعر». (4)

---

(1) حمادي ،عبد الله:أصوات من الأدب الجزائري الحديث ، دار البعث ، قسنطينة ، الجزائر ، 2001م . ص ص 234، 235.

(2) المرجع نفسه . ص 235.

(3) نقلا عن شراد ، شلتاغ عبود :حركة الشعر الحر في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985م . ص ص 25،26.

(4) سعد الله ، أبو القاسم: محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، مصر دون تاريخ . ص ص 45، 46.

و في قصيدة (رعد البشائر) التي نشرها الشاعر في جريدة البصائر الثانية عام 1948، وردت إشارات يبرر بها الشاعر سبب إعراضه عن السجع- سجع الحمام - في هذه الفترة قائلا:

فيا أسفا يُدعى الحمام عشية ليسجع لكن لا يميل ليسجعا
ترى؟ خاف بعض الصائدين يصيبه فيسقط مكسور الجناح مضعضعا
أم الْتاث من بعض الزوابع لوثة بها لم يعد يدري الهديل المرجّعا
لقد صدّنا عن قالة الشعر أننا نرى جلهم قد خاب في جل ما ادعى
و ما الشعر إلا محنة طيّ محنة لذا قلّ من بالشعر فينا تمتعا
فقد جرّ قد ما(لامرئ القيس) حتفه وشتت فكر(ابن الحسين) ووزعا(1)

فالشاعر لا يدري هل أصابه الخوف و الجبن، أم أن زوابع ماي أذهلته فانصرف عن القول و أعرض عن القريض ،فقول الشعر كثيرا ماجنى على الشعراء وجلب إليهم الهلاك ، ونذكر في هذا المقام ماحدث لأمثلة من الشعراء القدامى كامرىء القيس وبشار والمتنبي ، بل إن الكلمة الحرة قد تعني الموت في القاموس الاستعماري الحديث ، وحسبنا أن نشير إلى عبد الكريم العقون والربيع بوشامة من شعراء الجزائر اللذين نالتهم الأيدي الآثمة عام 1959 .

و إذا كانت هذه العوامل جميعا قد تظافرت لتخرس الشعراء و تطفئ جذوة الشعر، فإن الساحة الأدبية لم تكن مجدبة مقفرة إلى هذا الحد الذي يبعث على اليأس و القنوط، « فقد سارت بين الجماهير الجزائرية نصوص مغفلة من اسم ناظمها ، لم يتعرف عليها الشعب إلا هاتفا بها في كل محفل وطني...إن نشيد (من جبالنا طلع صوت الأحرار) الذي ولد سنة 1946 كان أول صرخة و أصدقها في تجسيم رد الفعل الذي يتساوى و فداحة الخطب». (2)

وإذا كان حمادي عبد الله قد عاب على صالح خرفي اعتماده على نص محمد العيد آل خليفة في تبرير صمت الشعراء بعد الأحداث ، فإننا نجده يوافقه الرأي حين أشار إلى ظهور نصوص وأناشيد مغفلة من أسماء ناظميها كانت متنفسا للشعب إثر الأحداث ، فهو يقول في هذا الشأن : « فكما دخلت النشاطات الحزبية في السرية، كذلك دخل الأدب الذي ظهر في شكل مناشير تتداول في الأوساط الشعبية محرضة على ضرورة الانتقام من فرنسا و لعل نشيد (من جبالنا طلع صوت الأحرار ينادينا للاستقلال) هو فاتحة هذا الصوت الرافض و المحرض و على إثره تواترت القصائد

---

(1)خليفة ، محمد العيد محمد علي :الديوان . ص 189 .

(2)خرفي ، صالح :الشعر الجزائري .ص 217.

المجهولة التي يغلب عليها نبر الإنشاد الحماسي كنشيد نحن أبناء الجزائر المجهول المؤلف بدوره» .(1)
والخلاصة أن الواقع الجزائري كان متأزما في كل مناحي الحياة ، سواء أكان ذلك قبل الأحداث خلال حقبة مابين الحربين على وجه الخصوص أم كان بعد الأحداث ، وهي الحقبة الأكثر تأزما في واقع الشعب الجزائري طوال العهد الاستعماري الفرنسي للجزائر .

وإذا كان التعبير عن مأساة 8 ماي 1945 في الجزائر قد جاء عن طريق النثر أحيانا ، وبواسطة الشعر أحيانا أخرى ، فإننا سنحاول الوقوف عندكل منهما على حده لضرورة منهجية تتعلق بمحاولة فحص النص الأدبي وإبراز خصائصه في النثر أولا ، ثم في الشعر .

---

(1)حمادي ، عبد الله: أصوات من الأدب الجزائري الحديث . ص ص 230، 231.

البـــــــــاب الأول:

8 مـــاي 1945 في النـــشـــر الـــجزائري المعاصـــر (المـــــقالـــة نـــموذجـــا).

الـــفـــصـــل الأول:

مضاميـــــن المقالات حول أحـــداث 8مـــاي 1945.

الفصـــــــــل الثاني:

الملامح الفنية للمقالات حـــول أحـــداث 8 مـــاي 1945.

الـــفـــــصـــل الأول:

مضاميـــــن المقالات حـــول أحـــداث 8ماي 1945.

تـــمـــهيـــد.

1- ثـــــامن مـــــاي الـــتـــاريـــخ والـــمأســـاة.

2- ثـــــــامن مـــــاي الأحـــــداث والآفـــــاق.

تمهيـــــــد :

ما أكثر الكتابات النثرية حول أحداث ماي و هي تختلف بالنظر إلى أصحابها من حيث الثـــقافة والتكوين و التوجه ، ومعظم هذه الكتابات عمدت إلى وصف الأحداث دون تحليلهاكما أنها وجيزة ولعل من أبرز من كتب في الموضوع، أحمد توفيق المدني في كتابه (هذه هي الجزائر 1958)، و الكاتب أحمد الخطيب في كتابه (الثورة الجزائرية 1985)، و الكاتب محمد حربي في كتابه (جبهة التحرير الوطني، الأسطورة و الواقع 1983)، و رضوان عيـــناد ثابـــت في كتـــابه (8 ماي 1945 في الجزائر1986) ،وهو من الكتب الهامة حول الأحداث. (1)

كما استحضر كثير من الروائيين الجزائريين باللغة الفرنسية أحداث ماي في كتاباتهم ،نذكر منهم آسيا جبار في (أطفال العالم الجديد 1958)،و مالك حداد في (الانطباع الأخير 1958) و(التلميذ و الدرس 1960)، و (رصيف الأزهار لا يجيب 1965)، و كاتب ياسين في (نجمة 1958) و(الجثة المطوقة 1959)، و علي بومهدي في (قرية البرواقية) (2)،بل إن أحداث ماي ماتزال تلهم الأدباء لغاية اليوم، و بالتالي فإن حجم هذه المذكرة لا يتسع لرصد جميع الكتابات الأدبية النثرية في هذا الموضوع، لذلك آثرت أن أتحدث في هذا الفصل عن فن يعد ركيزة الكتابات النثرية الصحفية، هو فن المقالة ،لأنها كانت سباقة إلى تناول الأحداث ووصفها، و قد اتسمت جل مقالات الأدباء في موضوع ماي بطابع فني ،و لم تخل من قيمة جمـــالية، و هذه المقالات نشرت بين عامي 1948 و1953،و هي الفترة التي ازدهرت فيها الكتابة الصحفية بعد أحداث 8 ماي بالجزائر بعودة جريدة البصائر عام 1947 و صحف أخرى كالشعلة و المنار.

فما هي المضامين التي احتوتها هذه المقالات؟

---

(1) ينظر. ركيبي، عبد الله : الهوية بين الثقافة و الديمقراطية، دار هومه للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، دون تاريخ.ص ص 150- 157.

(2) ينظر. حمادي، عبد الله: أصوات من الأدب الجزائري الحديث. ص ص 240- 249.

(3) وينظر أيضا: Ainad tabet ,redouane : 8mai 45 le génocide, éditions ANEP,Rouïba ,2002.pp 171-174.

1-ثـــامن مـــــاي الـــتـــاريـــخ والـــمأســـاة:

يعتبر محمد البشير الإبراهيمي من المبادرين إلى الكتابة في أحداث 8 ماي 1945 و تصويرها في مقالة بديعة نشرها في الذكرى الثالثة للأحداث، كما خلدها بقصيدة في الذكرى نفسها في صحيفة البصائر ، إلى جانب محمد العيد الذي خلد الذكرى شعرا في السنة نفسها (1948).

استهل الإبراهيمي مقالته بوصف ذلك اليوم المظلم الذي تمرد على نظام الطبيعة، و أعجز الأقلام عن الوصف، و أخرس الألسنة عن القول من شدة هول ما حدث فيه:

« يوم مظلم الجوانب بالظلم، مطرز الحواشي بالدماء المطلولة، مقشعر الأرض من بطش الأقوياء مبتهج السماء بأرواح الشهداء، خلعت شمسه طبيعتها فلا حياة و لا نور، و خرج شهره عن طاعة الربيع فلا ثمر و لا نور، و غبنت حقيقته عن الأقلام فلا تصوير و لا تدوين». (1)

و في الذكرى الرابعة للأحداث يخلدها باعزيز بن عمر في مقالة شبيهة بمقالة الإبراهيمي من حيث رفعة لغتها ، و أناقة أسلوبها، و طول نفسها و نبل مضمونها ،و لعل الإبراهيمي بمبادرته إلى الكتابة في الموضوع يكون قد أوعز أو أوحي للكتاب و الشعراء سواء في البصائر أو غـــيرها بأن يخـــلدوا الذكرى

و من دواعي الشرف أن تتصدر مقالة باعزيز بن عمر البصائر في صفحتها الأولى « حيث لم يكن من الميسور على كاتب جزائري أن يحظى بشرف كتابة افتتاحيتها». (2)

« إن عهود الاستعمار كلها عهود ظلم و إرهاب، و اعتداء على الحريات و الحرمات، و أيامه كلها أيام سود في تاريخ البشرية، و صحائف تاريخه كلها تمجـــيد للطغيان ، و ســـفك للدماء و قتل للمواهب ، و خنق للحريات ، و تمكين للاستبداد، و إبادة للشعوب و الأمم». (3)

و هو بعد أن يؤكد مثل الإبراهيمي أن أيام الاستعمار سود حوالك ظلما و إجراما ، يصف وحشية المستعمر و همجيته في ثامن ماي: « فذكرى ثامن ماي هي ذكرى ضحاياه التي بلغت 40.000 حصدهم قوته العمياء بقنابلها و مدافعها بين عشية و ضحاها، فسقط الشيخ والكهل والشاب و الفتاة و ربة البيت و الرضيع و من يحبو من الصبية و الأطفال صرعى وحشية جنوده وضحايا رصاصه». (4)

---

(1)الإبراهيمي، محمد البشير: عيون البصائر،ج2 . ص 369.

(2)مرتاض، عبد الملك: أدب المقاومة الوطنية في الجزائر (1830-1962)، الجزء الثاني. سلسلة منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، مكتبة دار هومة ، الجزائر ،2003م. ص 189.

(3)بن عمر ، باعزيز،« ذكرى ثامن ماي»،جريدة البصائر، ع 79، 9 ماي 1949. ص 1.

(4) المصدر نفسه ، المكان نفسه.

وإذا كان البركان بركانا بطبيعته من حيث هو ظاهرة طبيعية مدمرة مهلكة ، فإن المستعمر خرج عن طبيعته البشرية الإنسانية فصار بركانا يقذف الشر والشرر.

« فاض الاستعمار في هذا اليوم المشئوم كالبركان، فقذف كل ما في أحشائه من الحمم و اليحموم و النار، فذبح تذبيحا، و قتل تقتيلا». (1)فكان قوة عمياء فاقت قوى الطبيعة تدميرا و تقتيلا.

« ثارت ثائرة الاستعمار في هذا اليوم من شهر ماي، فكان حقا قوة عمياء تمشي على الأرض: لا في سطيف فحسب، بل في سائر بلاد القطر، فاكفهرت و زمجرت و أرعدت و أبرقت، فما اعترض أحد طريقها إلا داسته، و أودعته القبر أو السجن المظلم». (2)

أما جريدة (الشعلة) التي يشرف على إدارتها أحمد بوشمال و يرأس تحريرها الأديب الصحفي أحمد رضا حوحو فهي تطل في الذكرى الخامسة للأحداث بمقالة جميلة من حيث أسلوبها مؤثرة من حيث مضمونها، موحية من حيث عنوانها (الخندق الفاصل، حوادث 8 ماي 45)، و هذه المقالة كسابقتيها احتلت الصفحة الأولى من العدد الثاني و العشرين من الشعلة، و لم تشر الجريدة إلى اسم صاحب المقالة لا تلميحا و لا تصريحا، كما لم تشر في العدد الموالي منها إلى الكاتب، لكنه من الراجح أن هذا النص ينسب إلى الأديب أحمد رضا حوحو، لعدة مبررات: أهمها أن حوحوكان رئيس تحرير هذه الجريدة، و من العادة أن يفتتح رئيس التحرير الجريدة أو المجلة بشيء من كتاباته ثانيا، إن حوحو صاحب قلم سيال و أسلوب أدبي راق ليس في الشعلة فحسب بل في البصائر أيضا، والسبب الثالث إن المقالة فيها شيء من السخرية و التجديد الذين عرف بهما هذا الأديب.و قد صورت المقالة الآثار النفسية للثامن ماي فهو يدمي في كل حين، وجراحاته لا تندمل و ذكراه جمرات متوقدة غائرة في نفوس الجزائريين لا تنسى عبر الزمن .

« يا لله لتلك الجراحات التي لا تكاد تنجبر حتى يأتي عليها ثامن ماي فتدمي على ذكراه من جديد! رباه إنها ليست بالجراحات التي تضمد فتبرأ، و تتوالى عليها الأيام فلا يبقى منها إلا الأثر، بل ما هي إلا أغوار عمقها في ملايين القلوب لا يسبر و إصابات بليغة بركانها في ملايين الأفئدة ، لن يهدأ و لن يسكن، و وقعها في النفوس جمرات تتوقد، و قد ألف أن النسيان يأتي على الحوادث فيطمس آثارها إلا حوادث ماي فإنها عدت على النسيان فمحت وجوده من البشر». (3)

---

(1) بن عمر ، باعزيز ،« ذكرى ثامن ماي »،جريدة البصائر،ع 1949،79. ص 1

(2) المصدر نفسه، المكان نفسه.

(3) « الخندق الفاصل . حوادث 8ماي 45»، جريدة الشعلة ، ع 22 ، 24رجب 1369هـ/ 11ماي 1950م.ص1.

فالكاتب و إن كان يؤاخذ على وصف الجراحات بأنها لا تكاد تنجبر ،فهذا الوصف يقع عادة على العظام لا الجراح إلا تجاوزا ، فإنه وفق كثيرا في وصف هذه الجراحات بالبركان المتدفق ،كما وفق في استعمال الفعل المضارع الدال على تجدد الفعل و استمراره، كما استعمل أداة النفي (لن) الدالة على نفي الفعل في الحاضر و المستقبل (بركانها في ملايين الأفئدة، لن يهدأ و لن يسكن، و وقعها في النفوس جمرات تتوقد).

و جريدة المنار تشرق في أعوامها الأول و الثاني و الثالث بمقالات لصاحبها -مؤسس المنار- محمود بوزوزو الذي زينت مقالاته الصفحات الأولى للمنار في الذكرى السادسة ثم السابعة فالثامنة لأحداث ماي، فهي لا تقل أهمية عن البصائر في اهتمامها بالقضايا الوطنية و الأدبية يقول محمد مصايف معلقا على البصائر و المنار: « و من المعروف أن هذه الجريدة، و جرائد أخرى مثل «المنار» لمحمود بوزوزو لعبت دورا أساسيا لا في الدفاع عن عروبة الجزائر و إسلامها وحق الشعب الجزائري في الحرية و الاستقلال فحسب ، بل و في تطوير النثر الجزائري الحديث كذلك» .(1)

اختار بوزوزو لمقالته الأولى عنوان « ذكرى وعبرة» ، و فيها يصف ذلك اليوم بقوله:«و لكن ما كاد ركب المظاهرات يتحرك حتى فوجئ بحملة عدوانية ،فمزقت اللافتات و ديست و قتل حاملوها و اعتقل عشرات الآلاف من الشبان و الكهول و الشيوخ و نكل بهم شر تنكيل،وأقيمت مجزرة ذهب فيها خمسة وأربعون ألف جزائري ضحايا الظلم و العدوان ، فيهم الشيوخ و العجائز والنساء و الصبيان».(2)

وإذا كان بوزوزو يتفق مع باعزيز بن عمر في أن الاستعمار ضرب الجميع و لم يفرق بين الجزائريين في الجنس ولا في العمر، فإن الكاتبين يختلفان في عدد الضحايا ، ففي حين يسجل بن عمر رقم أربعين ألفا عام 1949 ، يرتفع الرقم عند بوزوزو إلى خمسة وأربعين ألفا عام1951.

ويعود باعزيز بن عمر فيخلد الذكرى بمقالة ثانية عام 1951، وهي لا تختلف في مضمونها ومستواها و عنوانها عن المقالة السابقة،كما أنها هي الأخرى احتلت الصفحة الأولى من البصائر فهو يصف اليوم بيوم المحنة الكبرى و الحداد.« إن ثامن ماي ليوم محنة كبرى على الجزائر ، و يوم حداد وطني عام فيها».(3) أما ذكراه فتثير في الذاكرة أفظع مأساة و أهول مجزرة.

---

(1) مصايف، محمد : النثر الجزائري الحديث. ص 115.

(2)بوزوزو، محمود، « ذكرى وعبرة» ،جريدة المنار، ع 3. السنة الأولى .الجمعة 27 رجب 1370 هـ/ 4 ماي1951 م.ص 1.

(3)بن عمر، باعزيز ،«ذكرى ثامن ماي »، جريدة البصائر ، ع 155، الإثنين 8شعبان 1370هـ/14ماي 1951م.ص1.

«و ها هو اليوم يعود، فتعود إلى أذهاننا ذكرى أفظع مأساة عرفتها الجزائر في تاريخها الحديث و أهول مجزرة بشرية فتح الجزائريون أعينهم عليها في صبيحة يوم، قيل عنه: أنه يوم مؤزر، و ظـــفر بالعدو المشترك» .(1)

فالكاتب يصف تجربة جمعية أسرها الجزائريون ،و ها هي تعود إلى الأذهان كلما لاحت الذكرى بملامحها الأصلية.

و يعود محمود بوزوزو في الذكرى السابعة عام 1952 ليصف ماي في مقالته الثانية بعنوان « 8 ماي » ، و هو يستهلها مقررا بأن ثامن ماي يوم أفراح لأصحاب المغانم و يوم أتراح لمن قدموا المغارم و نالتهم المجزرة، كما أن فيه عبـــرة لمن يعتبر ، و ذكرى لمن أراد أن يذكر ،«يوم أفراح لقوم يتغنون فيه بحسن حظهم، و يوم أتراح لقوم يندبون فيه سوء حظهم، و يوم اعتبار لآخرين فيه دروس للاهتداء في سلوكهم. في مثل هذا اليوم يفرح صاحب الغنم ، و يترح صاحب الغرم، و بين الرجاء المحقق و الأمل الخائب مجال للعظة و نعم الواعظ الدهر». (2)

و في الذكرى الثامنة تبقى المنار و فية لثامن ماي،و يلتفت إليه محمود بوزوزو في مقالة ثالثة بنفس عنوان المقالة الثانية « 8 ماي» لكن قلبه مفعم بالأسى و الحسرات و عينه حبلى بالدموع و العبرات من هول ما حدث.

«يوم بيننا و بينه 8 سنوات ، و لذكراه في النفس حسرات، و في العين عبرات ،يوم فيه أزهقت أرواح بريئة، و أريقت دماء زكية، و عقلت ألسنة فصيحة ،و ملئت ســـجون و محـــتشدات فسيحة و نكثت عهود و ثيقة، و زلزلت آمال وطيدة،و نثرت عقود نضيدة، و فصمت وحدة فريدة» .(3)

فإذا كان هول الصدمة قويا في نفوس الجزائريين بحيث كاد يقضي على آمالهم في التحرر، بعدما راودهم هذا الحلم طريلا ، وبالأخص إبان الحرب العالمية الثانية وبعدما قدمو ا الضريبة غالية ، فهل في تاريخ البشر من ابتلي بمثل هذا البلاء؟.

* * *

إذا قارنا مجزرة 8 ماي 1945 بمجازر أخرى وقعت في السنة نفسها، فإنه لا تضاهيها إلا مجزرة هيروشيما أو ناغازاكي أو تفوقاها من حيث عدد الضحايا، لكن شتان بين الموقفين من حيث

---

(1)بن عمر، باعزيز،« ذكرى ثامن ماي»،جريدة البصائر. ع 155، 1951م.ص 1.

(2)بوزوزو، محمود، " 8 ماي"،جريدة المنار، ع 3، الجمعة 13 شعبان 1371هـــ/ 9 ماي 1952م. ص 1.

(3) بوزوزو ، محمود،« 8ماي» ،جريدة المنار ، ع 42، الجمعة 24 شعبان 1372هـــ/ 8 ماي 1953 م . ص 1.

الأسباب و موازين القوى. فالأمريكيون ضربوا اليابانيين طلبا للاستـــسلام و توقيـــف الحرب، ثم إن اليابان دولة قوية تملك من أسباب القوة إلى جانب دول المحور ما يوازي قوة فرنسا و دول الحلفاء ، لكن فرنسا الاستعمارية انتقمت من شعب أعزل، فاستأسدت و استنسرت بعدما انكمشت و استضعفت أيام الألمان و الإيطاليين. فأين ثامن ماي من أيام الشرفي هذا الكون؟ وما مكانة مجزرة ماي و محنته بين المجازر و المحن؟ لقد استعاد الإبراهيمي أيام النعمان بن المنذر.

« أين النعمان بن المنذر و يوماه من الاستعمار و أيامه؟ كان للمنذر يومان: يوم بؤس و يوم نعمى و بينهما مجال واسع للبخت، و ملعب فسيح للحظ، فإذا طار طائر النحس في أحد يوميه وقع على حائن أتت به رجلاه، أو محدود لم يلتق مع السعد في طريق، أما الاستعمار فأيامه كلها نحسات بل دهره كله يوم نحس مستمر، محيت الفواصل بين أيامه و لياليه ، فكلها سود حوالك، يطير طائر النحس منها، فلا يقع إلا على أمم آمنة مطمئنة، و أين قتلى ضمخت دماؤها الغريين (*)، من قتلى ضمخت دماؤها أديم الأرض، و خالطت البحار حتى ماء البحار أشكل». (1)«ولكي يبرز الكاتب شناعة فعل الاستعمار في الشعب الجزائري في أحداث (8ماي 1945)، فإنه استغل ثقافته الواسعة و العميقة في مجال التراث العربي،حيث انتقى أسطورة (النعمان بن المنذر)، التي مفادها: إن له يومـــين؛ (يوم نحس و بؤس،و يوم نعمى و سعد) و بينهما فـــسحـــة و مـــجال للحظ السعيد». (2) و إذا كان البون شاسعا بين يوم ثامن ماي و أيام النعمان، و كانت أيام الاستعمار جميعا أيام نحس، فإن ثامن ماي يكاد ينسينا حلقات الجرائم و المآسي المتواصلة منذ أن وطئت أقدام الظالمين الجزائر.

« و لو ذهبنا نحصي مآسيه و ضحاياه و جرائمه منذ نزل بأرضنا لما استطعنا أن نحصيها

.....

فذكرى ثامن ماي مؤلمة إيلاما شديدا لا يفتأ يحز في النفوس إلى الأبد، و إنها لهولها و عموم فظائعها لتكاد تنسينا ما قبلها من ذكريات الألم و الظلم و العدوان، و ما سطره في صفحات تاريخه السود من حوادث الترويع و التقتيل و التنكيل و الزج بالأبرياء في أعماق السجون من كل ما كان يلجأ إليه في فترات مختلفة اتصلت حلقاتها في هذه البلاد منذ سنة 1830...» (3)

(*) الغريان:بناءان بالكوفة يقال ان النعمان كان يلطخهما بدماء قتلاه .

(1) الإبراهيمي،محمد البشير :عيون البصائر ،ج2.ص 370.

(2) تاورته ،محمد العيد ، «صدى أحداث 8ماي1945 في الأدب الجزائري المعاصر»، مجلة الآداب ، ع 8 ، مجلة علمية متخصصة ومحكمة تصدر عن قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة منتوري، قسنطينة، 1426هـ /2005م. ص 204.

(3) بن عمر ، باعزيز ،«ذكرى ثامن ماي،» ، جريدة البصائر ، ع 79، 1949م .ص1.

إن محنة الأمة الجزائرية لا تضاهيها محن الأمم ، ذلك ماورد في جريدة الشعلة حين خاطب صاحب المقالة الاستعمار:

« أيها الغادر! لقد عرفت الأمم المحن و لا كمحنتك للأمة الجزائرية في حوادث ماي و اعتدى البشر على البشر و لا كاعتدائك عليها في حوادث ماي». (1)

ويقارب محمود بوزوزو بين جرائم الفرنسيين الاستعماريين و جرائم النازيين اللذين طالما وصفهم الفرنسيون بالهمجية والدكتاتورية وبأنهم مصدر الشر في هذا العالم ، فيخلص إلى أن جرائم الاستعماريين الفرنسيين كانت أفظع وأنكى حين يتساءل مندهشا مستنكرا « من الجاني؟ فهل مر النازيون من هنا؟ لم يمر النازيون بهذه الربوع، و ليس هذا من أثرهم، إنه أثر من لم يكن في الحسبان أن يقدم على هذه الجريمة الشنيعة و يطعن في الصميم أولئك الجنود الذين استهدفوا للنيران لصد الخطر عنه: إنه أثر ممثلي الدولة الفرنسية و فقا لروح (الرسالة التمدينية). إنه أثر أولئك الذين كانوا يدعوننا في صحفهم وقت الخطر (إخواننا المسلمين) فأراقوا دماءنا و أصبحوا ينعتوننا بعد الخطر في تلك الصحف نفسها بـــ (سفاحين، متوحشين)!» (2)

ثم يرد محمود بوزوزو على هذه النعوت و الصفات التي رمي بها الجزائريون، إنما الـــسـفاحون و المتوحشون هم الغربيون الاستعماريون ، بل هم بفعلتهم هذه عادوا بالطبيعة البشرية إلى الوثنية حين كانت تقدم القرابين لإسكات غضب الآلهة، بل إن الغرب كان أكثر وثنية من الوثنية الأولى ذلك أن القرابين التي أرادها تقربا من الآلهة الجديدة لم تكن من جنس الحيوان، بل من جـــنس البشرو الآلهة الحديثة لا ترضى بالفرد الواحد ،بل تذبح لأجلها الشعوب .

« و كأنه ما وجد إلا ليبرهن عن غلبة الطباع الوحشية في الإنسان ، و يكذب ما جاءت به الأديان فما تحررت الطبيعة البشرية من ظلمات الوثنية بفضل الأنوار السماوية إلا لترجعها الفلسفات العلمية إلى وثنية «راقية» تستمد غذاءها من «العلم» الذي يطعمها بأغذيـــة من نوع «الجنس الأعلى» و«القومية الضيقة» ، و« المجال الحيوي» ، و« التفوق الغربي»، و « النظام الجديد».

و ما أشبه ذلك مما يكسب الآلهة الجديدة ضخامة تسترخص لها القرابين.و لا بد للقرابين أن تكون «عصرية» تناسب ضخامة الآلهة الحديثة فلا يكون القربان من الحيوان و لكن من بني الإنسان. و لا يكتفي بذبح أفراد بل يتطلب شعوبا بتمامها». (3)

---

(1) « الخندق الفاصل. حوادث 8 ماي 45 » ،جريدة الشعلة ، ع 22، 1950.ص1.

(2)بوزوزو، محمود، « ذكرى و عبرة» ،جريدة المنار، ع 3 ،1951.ص1.

(3) بوزوزو ،محمود ، « 8ماي»، جريدة المنار،ع3، 1952.ص1.

وإذا كان (وعد الحر فعل ووعد اللئيم تسويف)،فما أحرى الاستعماريين الفرنسيين بصفة اللؤم والدناءة وما أبعدهم عن قيم الحرية والتحرر التي طالما رددوها ووعدوا بها الجزائريين اللذين قدموا أنفسهم رخيصة مساندة لفرنسا في حربها ضد دول المحور لقاء وعد كاذب ، فكانوا بذلك أشبه بسنمار الذي أحسن إلى النعمان ،لكن النعمان كان أنانيا مستأثرا وكذلك كان الاستعمار الفرنسي.

2- ثـــامن مـــاي الأحـــداث والآفـــاق:

« جزاء سنمار، أي جزاني جزاء سنمار، و هو رجل رومي بنى الخورنق الذي بظهر الكوفة للنعمان بن امرئ القيس، فلما فرغ منه ألقاه من أعلاه فخر ميتا، و إنما فعل ذلك لئلا يبني مثله لغيره فضربت العرب به المثل لمن يجزى بالإحسان الإساءة». (1)

إذا عرفنا الحكمة من قتل النعمان لسنمار، فلماذا انتقمت فرنسا يوم ثامن ماي من الجزائريين؟ و قد حبوها جميلا و إحسانا ،و قدموا أنفسهم زهيدة في سبيل إنقاذها من شر المحور، فقتلت ،و ذبحت وأحرقت ،و انتهكت الحرمات ،و ملأت المعتقلات.كل ذلك كان انتقاما لأفراد من الأوربيين لقوا حتفهم أثناء المظاهرات، بعد أن قتلت الشرطة حامل الراية الوطنية « سعال بوزيد»، و أطلقت النار على المتظاهرين، فتساقطوا ضحايا بمدينة سطيف.و لعل من الأسباب الموضوعية في تنفيذ هذه المجزرة قتل كل أمل أو طموح إلى التحرر في نفوس الجزائريين الذين بات حلمهم في الاستقلال يقينا و لو بعد حين.

لقد وصف الكتاب آثام المستعمرين في هذا اليوم بل فصلوا في تصويرها ،و لم يستغربوا ذلك من الاستعمار الفرنسي شر الاستعماران، لأنه تمرد على القوانين الوضعية بل تحدى الشرائع السماوية وأبطلها، يقول الإبراهيمي:

« يوم ليس بالغريب عن (رزنامة) الاستعمار الإ فرنسي بهذا الوطن، فكم له من أيام مثله، و لكن الغريب فيه أن يجعل- عن قصد- ختاما لكتاب الحرب، ممن أنهكتهم الحرب على من قاسمهم لأواءهـــا و أعانهم على إحراز النصر فيها».(2)

---

(1)الميداني، أبو الفضل:مجمع الأمثال ،تحقيق محي الدين عبد الحميد ،الجزء الأول ،دار القلم، بيروت، دون تاريخ. ص ص159 ، 160.

(2)الإبراهيمي، محمد البشير: عيون البصائر،ج2. ص 369.

« تستحسن العقول قتل القاتل، و تؤيدها الشرائع فتحكم بقتل القاتل، و لكن الاستعمار العاتي يتحدى العقول لأنه عدوها ، و الشرائع لأنها عدوه، فلا يقوم إلا على قتل غير القاتل...و يغلو في التأله الطاغي، فيتحدى خالق العقول و مترل الشرائع، و ينسخ حكم الله بحكمه، ورحمة الله بقسوته فيقتل الشيوخ و الزمنى و النساء و الأطفال». (1)

والكاتب يهتم بوصف المحنة في مقالته تقريعا للمستعمرين، و تعميقا للحزن في نفـــوس الجزائريين و في نفسه حاجة يريد أن يقضيها .

« أمةكالأمم حلت بها ويلات الحرب كما حلت بغيرها ،و ذاقت لباس الجوع والعري و الخوف و تحيفت الحرب أقواتها و أموالها، و جرعت الثكل أمهاتها و اليتم أطفالها، و أكلت شبابها، و قطعت أسبابها، و صليت نار الحرب و لم تكن من جناتها، و قدمت من ثمن النصر مئات الألوف من أبنائها قاتلوا لغير غاية، و قتلوا من غير شرف». (2)

فماذا جنى الجزائريون من الحرب؟ فما أكثر ماوعدت فرنسا! وماأكثر مانكثت العهود! فهي أشبه بعرقوب الذي ضربت به العرب المثل في نكث العهود.

« فلما سكن الإعصار و تنفست الأمم في جو من السلم، و تهيأت كل أمة أن تستقبل بقايا النار من شبابها، و كل أم أن تعانق وحيدها، عاودت الاستعمار ألوهيته و حيوانيته في لحظة واحدة، يحاد الله بتلك، و يغتال عباده بهذه، و عاد بالتقتيل على من كانوا بالأمس يمدون حياته بحياتهم، ليريهم مبلغ الصدق في تلك الوعود». (3)

و هنا يطرح السؤال هل انتهت الحرب فعلا؟ سؤال يجيب عنه الإبراهيمي قائلا:

« و في لحظة واحدة تسامع العالم بأن الحرب انتهت مساء أمس ببرلين، و ابتدأت صباح اليوم بالجزائر و فيما بين خطرة البرق، بين الغرب و الشرق، أعلنت حرب من طرف واحد، وانجلت في بضعة أيام عن ألوف من القتلى العزل الضعفاء و إحراق قرى و تدميـــــر مساكن، و استباحة حرمات و نهب أموال، و ما تبع ذلك من تغريم و سجن و اعتقال».(4)

و يضيف الإبراهيمي مفصلا آثام الاستعمار، و آثار الجريمة مستنكرا متضرعا: « يا يوم لله دماء بريئة أريقت فيك، و لله أعراض طاهرة انتهكت فيك، و لله أموال محترمة استبيحت فيك، و لله يتامى

---

(1)الإبراهيمي، محمد البشير: عيون البصائر،ج2 . ص 369.

(2) المصدر نفسه ،ص 370.

(3) المصدر نفسه ، المكان نفسه.

(4) المصدر نفسه،ص371.

فقدوا العائل الكافي فيك، و لله أيامى فقدن بعولتهن فيك، ثم كان من لئيم المكر بهن أن منعن من الإرث و التزوج، و لله صبابة أموال أبقتها يد العائثين، و حبست فلم تقسم على الوارثين». (1) ومما وجدناه تعليقا على هذا الموقف ما أورده الدكتور محمد العيد تاورته:

« و الواقع أن أغرب ما قرأناه في هذا المقال عن سلوكات الاستعمار في ، أحداث (8 ماي 1945) في الجزائر أن الزوجات اللواتي فقدن بعولتهن في تلك الأحداث، منعن من الإرث و من التزوج، و أن الأموال التي أبقتها الأيادي العابثة- للعساكر و المعمرين« الكولون»- حبست ، فلم يسمح بها أن تقسم بين الوارثين». (2)

أما باعزيز بن عمر فهو لا يبرح يصف الاستعمار بالقوة العمياء، يغذيها التسلط و الاستبداد فتتحدى القوانين و الشرائع ،و المعنى نفسه أثاره الإبراهيمي ولاشك أن الكاتب قد اطلع على مقالة الإبراهيمي السابقة لمقالته في الموضوع وتأثر بما ورد فيها ، يقول بن عمر:

« و الاستعمار بمعنى غزو أمة لأخرى، و اعتداء شعب على آخر: قوة عمياء تغذيها الفوارق القائمة بين الأمتين أو الشعبين في الجنس و اللغة و الدين و المصلحة، و توجهها العنصرية المسلحة فتسير في الأرض لا تعرف قانونا، و لا تدين بشريعة إلا ما تضعه و تسنه، و ذلك كله يتلخص في شيء واحد: القضاء على الأمة المغزوة المغلوبة بوسائل مسطورة يرثها الخلف عن السلف، و في مقدمتها تجريدها من مادياتها و معنوياتها كلها، فلا غنى و لا دين، ولا علم و لا أدب، ثم الزجـــر و القمع و الردع عن طريق الإكثار من المذابح و الجرائم و الضحايا، التي يلجأ إليها المستعمر كلما أحس بانقـــباض النـــفوس و انطواء القلوب على كرهه.

و الاستعمار قوة عمياء، و المستعمر قوي أعمى، لكنه يرهب الضعيف، و لا يأمن العاقبة و لا تزيده النذر إلا عمى و ضلالا، و إمعانـــا في الطغيان و عتوا ونفورا،واستكبارا في الأرض». (3)

و تشير جريدة الشعلة إلى آثام المستعمر في لهجة خطابية حادة:

« نهبت المال و خربت الدار، و أيتمت الولد، وكل ذلك وقع مثله في الأمم من ضراة مثلك، ثم لذت تتفنن في النكاية و انتهاك الحرم و التمثيل بالناس فمزقتهم أشلاء، و طحنتهم أحياء، ثم خلدت

---

(1)الإبراهيمي، محمد البشير : عيون البصائر،ج2. ص 372.

(2)تاورته،محمدالعيد،«صدى أحداث 8ماي 1945في الأدب الجزائري المعاصر »، مجلة الآداب ، ع8 ،2005.ص206.

(3)بن عمر،باعزيز، « ذكرى ثامن ماي »، جريدة البصائر ،ع79 ، 1949.ص1.

بعد ذلك إلى الشماتة، و هذا هو الذي لم يحدث به التاريخ و لم يبدر مثله من أحد». (1)

إن الكاتب يتجه إلى المستعمر في لهجة خطابية عنيفة، جديدة في أدبيات الحركة، الوطنية فيجعله شاهدا على إجرامه من خلال آثاره و تصريحات رجاله و قادته، الذين طاردو جميع الجزائريين دون أن يسلم من مطاردتهم أحدولافرق في ذلك بين متعلم بالفرنسية أو بالعربية ، أو بين ذكر وأنثى أو بين طفل ومسن أو بين مقيمين في القرى أو المدن .

«لقد أجرمت أيها الخائن، ثم سجلت تاريخ إجرامك على صخور « شعبة الآخرة» بخراطة فتجلت حقيقتك، و دللت بذلك على أن حقدك لم تغسله الدماء، و حتى المغرور منا عرف مكانته منك يوم شننت الغارة فقتلت بنيه و ذويه، و استوحشت فانتهكت حرماته، و تلصصت فنهبت ماله و أعلنت النداء أن : قتلوا و ذبحوا فإنه لا فرق بين " البيكو(*)" ». (2)

ثم يشهد الكاتب التاريخ أن من أبناء فرنسا من قابل إحسان الجزائريين بالإساءة، « ألا فليشهد التاريخ أن من أبناء الأمة الجزائرية من ضحى بالنفس و النفيس في سبيل تحرير فرنسا، و أن من أبناء فرنسا من جازاه بقتل الأهل و تخريب الدّار». (3)

ويشير محمود بوزوزو إلى أن الذين أعانوا فرنسا في حربها ضد دول المحور إلى جانب الجزائريين أشقاؤهم العرب من تونس ومراكش في حرب زعم الحلفاء أنها حرب تحريرية للقضاء على قوات الشر(المحور).

« ثارت الحرب العالمية الثانية، و دعي الشعب الجزائري للمشاركة فيها إلى جانب الحلفاء، و جرت الدعاية بأن هذه الحرب « تحريرية» و هولت خطر « المحور»و أهدافه الاستعبادية و نزعته العنصرية فجند من جند و تطوع من تطوع من الجزائريين. و خاضوا غمار الحرب كما خاضها إخوانهم التونسيون و المراكشيون في سبيل الدفاع عن حرية البشرية المهددة. و انتهت الحرب بانتصار الجيوش التحريرية. و قد سقط في ميادين القتال من الجزائريين خلق كثير ، و سجن عدد عديد ، و عاد الباقون من الجرحى المبتورين و السالمين إلى بيوتهم». (4)

---

(1) « الخندق الفاصل حوادث 8ماي 45»،جريدة الشعلة،ع22 ،1950 .ص1.

(*)البيكو (bicot): الجدي، صغير الماعز، يراد باللفظ احتقار الجزائريين.

(2) " الخندق الفاصل. أحداث 8 ماي 45"، جريدة الشعلة،ع22 ،1950 .ص1.

(3) المصدر نفسه ،المكان نفسه.

(4) بوزوزو، محمود،« ذكرى و عبرة»،جريدة المنار ، ع 3،1951.ص1.

فكيف كانت المكافأة يا ترى ؟ إن جانبا كبيرا من الإجابة عن هذا السؤال قد أوردناها في الصدى المباشر للذين عايشوا الأحداث من الأدباء و الذين كتبوا عنها فيما بعد ، و إذا كان الإبراهيمي قد رأى بأن الحرب توقفت في برلين لتنتقل إلى الجزائر فإن بوزوزو يرى الرؤيـــة ذاتها فالجزائريون المجندون ما تركوا آثار الحرب ومظاهرها وراءهم إلا ليجدوها أمامهم في الجزائر .

« خربت الديار، و أتلفت الحقول و المزارع، و انتهكت الحرمات ، حتى خيل للنفوس أن الحرب قد انتقلت من أوربا إلى الجزائر، و عاد الجنود الجزائريون إلى وطنهم و آثار الحرب لا تزال مساورة لهم ، إلا أنهم واثقون بمغادرة دار حرب إلى دار سلم يجدون فيـــها السلوى و الراحـــة و حسن الجزاء، و لكن سرعان ما خابت ظنونهم حين وجدوا منازل خربة و مزارع متلفـــة و رأوا آباءهم و أمهاتهم و أزواجهم و أبناءهم جثثا هامدة، و أشلاء مبعثرة». (1)

ويتفق باعزيز بن عمر ، مع بوزوزو في أن الحرب العالمية الثانية لم تكن أبدا تحريرية، كما كان يشهر لها، فالاستعمار لا يمكن أبدا أن يتجرد من استعماريته على الأقل بالنسبة للجزائريين .

« و لهذا ما كادت المعركة النهائية تتجلى عن ظفر الحلفاء بالمحور حتى تداعى شيوخهم و ساستهم في كل مكان إلى وجوب العودة إلى ما كان عليه العالم قبل هذه الحرب الثانية، من تقسيمه إلى مناطق نفوذ و استعمار، و استغلال لشعوب مستضعفة خاضت غمار الحرب بجنبهم، و هي ترجو أن ينالها من التحرير الموعود به ما يكافئ تلك الدماء التي أسالتها في ساحة الوغى نضحا عن استقلال هؤلاء الأقوياء» .(2) و الكاتب لا يختلف عن سابقيه-الإبراهيمي وكاتب الشعلة - في وصف آثام الاستعمار بل هو يوظف اللفظ نفسه (لله)الذي وظفه الإبراهيمي ،ثم تكرر في معظم المقالات في مقام الاندهاش و التعجب مما حدث .

«فلله ما سال في هذا اليوم من دماء الشيب و الشباب، و لله تلك القرى التي كانت آمنة مطمئنة فجاءها هذه القوة العمياء، فداستها في طريقها ، و سامت أهلها سوء العذاب، فجعلتها حصيدا كأن لم تغن بالأمس ،لم يترك فيها التذبيح و التقتيل و التشريد أثرا لشيخ يدب، أو لصبي يحبو أو لفتى وفتاة يستقبلان الحياة باسمين في ظل أبوين كريمين» .(3)

و إذا كان الكاتب في جريدة (الشعلة)، قد ذكر بأن الاستعمار ضرب جميع الجزائريين في ماي

---

(1)بوزوزو، محمود،« ذكرى و عبرة»، جريدة المنار ، ع 3 ، 1951.ص 1.

(2)بن عمر، باعزيز، « ذكرى ثامن ماي»،جريدة البصائر ،ع 155، 1951.ص 1.

(3)المصدر نفسه. المكان نفسه.

(لا فرق بين البيكو)، فإن بن عمر يشير في مقالته أن المستعمر ، كما ضرب أهالي المجندين، ضرب أيضا أذنابه من الخونة لأن الجميع في نظره جزائريون.

«في هذا اليوم عادت البقية الباقية من جنودنا الذين سيقوا إلى حرب التحرير!..فأخذوا يفتشون عن ذويهم و ذراريهم وأزواجهم، ولكنهم عبثا فتشوا عنهم ،فقد نهبت قراهم وأخربت بيوتهم وأقفرت مساكنهم فلم يكادوا يتبينونها إلا من أطلال و أشلاء. في هذا اليوم عرض الاستعمار بهذه القطعة من الجزائر ، قوته و جبروته، فذبح الأبناء و لم يستحي النساء، و لا من مشوا في ركابه من الأعوان و الخونة المجرمين لأنهم جميعا جزائريون في نظره». (1) وبوزوزو كما الإبراهيمي يرى أن الغرب بجريمته تحدى أيضا الشرائع السماوية و استبدلها بدين الهدم وقانون الغاب .

«ذلك دين الغرب ، و فلسفة الغرب، و حضارة الغرب، و حمى الغرب، و من أكبر المصائب على البشرية أن تمده الأقدار بالمعاول لهدم شريعة السماء، شريعة الرفق بالإنسان، تلك الشريعة التي أصبحت ضحيته العظمى يئدها كما تأكل الهرة بنيها حنانا و إشفاقا». (2).

و بما أن الغرب الاستعماري ،لا يحترم الشرائع السماوية، فما أسهل عليه أن يهدم العهود و المواثيق فيغدر بالجزائريين الذين قد غرموا غرما و ما غنموا غنما!

« أقـــدم الغرب على الفتنـــة يوقظها ،و على النار يوقدها ، منشدا أناشيد الحرية والتحرير يسوق عشاق الحرية معه،فانطلق الجزائريون باذلين النفس و النفيس في سبيل العهد المنشود عهد التحرير،فكان النصر حليف الحلفاء الذين انساق معهم الجنود الجزائريون، و جاء وقت اقتسام المغنم بعد دفع المغرم فادحا، فما كان حظ الجزائريين؟ أطلق عليهم الاستعمار الفرنسي نيرانا أبادت ما يجاوز أربعين ألف مسلم».(3)و في مقالته الثالثة يعيد علينا بوزوزو هذه المعاني في أسلوب متميز ولغة مؤثرة، « يوم تراءت فيه للأمة الجزائرية من مطامحها قطوف دانية ، فسارت أفواجا إلى شجرة الحرية، تحت سيرها الآمال المعقـــودة على العهود الموثوقة من رعـــاة الشـــجرة المنشودة التي سقـــتـــها بدمها في«كاسينو».(*)

---

(1)بن عمر، باعزيز،« ذكرى ثامن ماي»، جريدة البصائر ،ع 155،1951. ص 1.

(2)بوزوزو، محمود، « 8 ماي »، جريدة المنار ، ع 3،1952. ص 1.

(3)المصدر نفسه. ص 4.

(*) (كاسينو)،(cassino):اسم مدينة إيطالية شمال غربي نابولي بها دير أثري اشتهر في القرون الوسطى كمركز حضاري لنسخ الكتب ،هدمته معارك عنيفة بين الحلفاء و الألمان في 1944 و أعيد بناءه .(ينظر المنجد في الأعلام ، ط 29 ، دار المشرق، بيروت لبنان ،1987 م.ص 452).

وغيرها مشاركة في الغرم ،لتشارك في الغنم، بموجب العدل، ومقتضى العقل ووحي الضمير ومشروع الدين... و لم تكن تتوقع أن سيرها إلى النعيم، ينتهي إلى الجحيم،و أن يوم المغنم أشأم من يوم المغرم، تجني فيه الشوك بدل الحب، و تصحح المثل «إنك لا تجني من الشوك العنب.» تلك هي المفاجأة القاسية،والمصيبة الداهية ، نزلت على الجزائر بحسرات و أتراح بينما «أحلافها في مسرات وأفراح وليتها لم تدفع في الحرب إلا ثمن الذهاب، و لم تنل من الغنيمة سوى الإياب، و من العهود سوى السراب، و لم تجد في استقبال العهد الجديد نارا بالباب ، تلتهب وعيدا، و تطلب مزيدا...فبذلت للحيف، مثلما بذلت للسيف، و لم تجن سوى العلقم المر، بدل العسل الحر». (1).

تلك صورة قاتمة أدلى بها الكتاب حول الأحداث و لقد دفع الجزائريون الثمن باهضا مرة حين كانوا جدارا واقيا لفرنسا ضد ضربات المحور و مرة حين تنكرت لهم هذه الأخيرة ، فانتقمت منهم شر انتقام حين طالبوا بحق مشروع ووعد دفعت ضريبته مسبقا .

إن مهمة الكتاب و الأدباء لا تقف عند تذكير الأمة بمآسيها ،إنما رسالة الكاتب و الأديب قراءة الحاضر ثم دفع الأمة إلى العمل الجاد ،كي تنطلق من الواقع الحاضر نحو آفاق مستقبلية أفضل.

* * *

التاريخ مدرسة للعبرة و الدرس، و التجارب مهما كانت مريرة، وجب على الأفراد و الأمم أن يستخلصوا منها العبر و العظات.

« فتعسا لشعب لا تعلمه آلامه و أحزانه و ذكرياته غير البكاء و الدعوة بالرحمـــة و الرضوان لضحايا الظلم و الاستعمار. و تعسا لمن لا يفهم عنها إلا أنها محنة تولت، و يوم نحس يطويه التاريخ من بين أيامه السود طيا». (2)

فهل اكتفى الجزائريون بالبكاء و العويل و ترديد معاني الرثاء و التأبين ، أم أنهم تجاوزوا النكبة إلى استجلاء العبرة؟ فلنعم الواعظ الدهر.إن تجربة ماي علمت الجزائريين عبرا و دروسا ترجمها الكتاب والأدباء ، فهم لسان حال الأمة، و ترجمان أفكارها، و المعبر عن آلامها و آمالها.و هم إلى جانب ذلك العقل المفكر في الأمة و القبس الذي يكشف عن حقائق الأشياء و الأحداث و ينير معالم الطريق نحو المستقبل .

فما الجديد في أدبيات الحركة الوطنية بعد سنوات مرت على المجزرة؟ و ما حصيلة الدرس؟

---

(1)بوزوزو، محمود، « 8 ماي»، جريدة المنار ، ع 42 ، 1953.ص 1.

(2) بن عمر، باعزيز، « ذكرى ثامن ماي»،جريدة البصائر ، ع79،1979. ص 1.

إن الاستعمار الذي يقوم على الظلم و الاستبداد لأنه اكتسب أسباب القوة و السلاح، ظاهره القوة و حقيقته الضعف و الخور ، و هذه حقيقة أدركها الجزائريون حين استعان بهم العدو في حربه ضد المحور ، و يوم أن رأى العلم الوطني الجزائري مرفرفا ، أملا من الجزائريين في أن يحققوا آمالهم التي دفعوا ثمنها في مساندتهم للحلفاء من خلال فرنسا ، فدعاه خوفه إلى ارتكاب مجزرة مجانية .

« و الاستعمار قوة عمياء و المستعمر قوي أعمى، لكنه يرهب الضعيف، و لا يأمن العاقبة، ولا تزيده النذر إلا عمى و ضلالا» .(1)

لقد حطم الألمان في بدايات الحرب العالمية الثانية أسطورة الجيش الذي لا يقهر ، حين اقتحمت قواتهم العاصمة باريس ،« خاض الاستعمار الحليف هذه الحرب الأخيرة ، كما خاض الأولى وهو خائف يترقب الهزيمة كل يوم، و يتوقع الشر يصيب نفوذه الاستعماري الطويل العريض بما كانت تسوقه إليه مفاجآت المعارك الطاحنة من النذر المهددة لأوضاعه العتيقةو سياسته الاستعمارية القائمة في مختلف بلاد آسيا وإفريقيا». (2)

و المستعمر علم أن الشعوب أدركت ضعفه أيضا من خلال تجربتها أثناء الحرب العالمية الثانية .

« عرف الاستعمار أن هذه الحرب قد فتحت الأعين، فلئن لم تحرر الشعوب كلها فإنها قد غذتها كلها بروح المقاومة، و علمتها كيف تدافع عن كيانها، و أرتها أن المستعمرين ضعفاء بدونها». (3)

إن الأديب يستشرف المستقبل من خلال قراءة الحاضر و باعزيز بن عمر أدرك أن فرنسا عمرت في الجزائر بما يكفي أن تصير عجوزا و يكون مآلها الزوال.

« إن ثامن ماي ليوم محنة كبرى على الجزائر، و يوم حداد وطني عام فيها، و لكنه يوم أعلن فيه الاستعمار بدوره عن عجزه في مقاومة يقظة الشعوب التي قامت تنشد الحرية و الاستقلال، و تضحي في سبيلها بكل عزيز لديها.

و إنه لنكبة من أفدح النكبات، أصابت الجزائر ، إلا أنه نكبة كذلك على الاستعمار ، تشير إلى هزيمته، و زوال أيامه السود، و لو كشر في هذا اليوم عن أنيابه ، و شمر عن ساقه، بعد أن انكمش أيام الإيطاليين و الأميركيين انكماشا مخزيا لا يبدئ و لا يعيد» .(4) إن أحداث ماي قد عجلت بجلاء الاستعمار بعد أن قامت الشعوب تنشد حقها في الحرية و الاستقلال .

* * *

(1)بن عمر، باعزيز، « ذكرى ثامن ماي»،جريدة البصائر ،ع79،1949.. ص 1.

(2)بن عمر، باعزيز، « ذكرى ثامن ماي»،جريدة البصائر ،ع155،1951.. ص 1.

(3)المصدر نفسه. المكان نفسه.

(4)المصدر نفسه. المكان نفسه .

إذا كانت فرنسا قد أثبتت بالحجة البينة و البرهان الساطع في ماي أنها ليست أهلا لتنفيـــذ الوعود و الوفاء بالعهود، فإنه بات من اليقين لدى الشعوب المستعمرة أن شعاراتها—التي طالما رددتها بعد قيام الثورة الفرنسية - كذب و المبادئ الديمقراطية التي أعلنتها زيف و تشدق.

« أما شعار الأخوة و العدالة و الحرية و المساواة فإنها بضاعة فرنسية لا تقبل التصدير، و إن هربت إلى بلادنا فإنما هي للخداع و التغرير».(1).

إن حبل المظالم موصول و مسلسل الاعتداء لا ينتهي،و حملات القمع و المحاكمة و النفي والتشريد للمواطنين الجزائريين على أشدها، فأنى يطمئن الجزائري للشعارات المزيفة والانتخابات المزورة ؟

«فالتفت إلى ثامن ماي 1945، و انظر ثامن ماي 1953 تجد المظالم موصولة الحلقات منوعة الأشكال مرتبطة الأوصال، فالسياسة سخافة، و الديمقراطية خرافة، و الحرية سخرية و الانتخابات انتحابات، و القوانين للمظلوم أغلال وللظالم ضمانات، بها يتحصن دون أن يطمئن، شأن المجرم عديم الأمان رغم الضمان!» (2). فهل يمكن إضافة أوصاف أرقى و أدق و أدل على مآسي الاستعمار في الجزائر طوال وجوده فيها مما نقرأه في هذه المقالة و بخاصة في الأسطر التي أثبتناها آنفا ؟

* * *

لقد اختلفت التفسيرات حول مجزرة 8 ماي أو حول مؤامرة ماي ومما أورده فرحات عباس رئيس حركة أحباب البيان و الحرية في تفسير سبب المجزرة التي كانت بشكل مركز في سطيف قوله : «و لماذا اختاروا مدينة سطيف؟ فمن السهل على الإنسان فهم ذلك، كان من الضروري أن تضرب في الصميم المدينة التي كانت مهدا للبيان ، و مهدا لحركة أحباب البيان و الحرية، و أن يقطع رأس هذه الحركة». (3) والذي فهمناه أن هذه المؤامرة كانت من أجل إزهاق روح الطموح إلى التحرر في مهدها و ضرب الحركة الوطنية الجزائرية التي بدت تظهر عليها بوادر الوحدة و العزم على تحقيق المطالب المشروعة للجزائريين، لا سيما ما ورد منها في بيان الشعب الجزائري، وهذه الحقيقة أدركها باعزيز بن عمر حين قال :

---

(1)« الخندق الفاصل، حوادث 8 ماي 45 »، جريدة الشعلة ،ع 22، 1950. ص 1.

(2)بوزوزو، محمود، «8 ماي»،جريدة المنار ،ع 42،1952. .ص 4.

(3)عباس ، فرحات:ليل الاستعمار .ص ص 185 ، 186 .

«توقع الاستعمار كثيرا من الشرينال من نفوذه نيلا إذا انتهت الحرب، فأضمر كثيرا من الحقد والإحن للشعوب التي تتطلع إلى فجر الحرية يطل عليها بعد انتهائها، فاختار يوم النصر لإبداء ما بين حناياه و ضلوعه من الأضغان ففعل فعلته، و أنذر الجزائريين بطشه، و حذرهم أن تمتد أعناقهم و تتطلع أبصارهم لما لم يكن مباحا جناه من ثمرات النصر و السلم إلا للأسياد المستعمرين». (1)

و هذه الحقيقة أدركها الجزائريون إدراك اليقين بعد تجاوز المحنة حين تيقنوا بأن مسلسل المؤامرات لا ينتهي بالجزائر و لا يقتصر عليها،بل هو سياسة تنتهجها فرنسا الاستعمارية في جميع مستعمراتها التي هبت هي الأخرى مطالبة بحقها في تقرير المصير، و هذا ما يوضحه محمود بوزوزو بشيء من التفصيل:

«وعاشت الجزائر في جو من الرعب مدة طويلة، ثم انقشعت الغشاوة و هدأت العاصفة و تحرك العقل يبحث عن أسبـــاب العدوان، فوجد أمامه مؤامرة محكمة التدبير،و استقصى البحث فاكتشف أن مؤامرة 8 ماي حلقة من سلسلة المؤامرات المدرجة في البرنامج الاستعماري الفرنسي المعد للتطبيق ليس في لجزائر فحسب بل في كل مستعمرة فرنسية بشهادة شخصية رسمية من مجلة (الفكر) "pensée"إثرحوادث مدغشقر.(*).وظهرت للعيان(سياسة المؤامرات) بعدماكشف النواب الجزائريون الغطاء عـــن خبايا حوادث 8 ماي في البرلمان الفرنسي، و بعدما أوقفت الحكومة الفرنسية سير لجنة البحث التي عينتها للتحقيق في تلك الحوادث، و برهنت بهذا الإيقاف على أن المجزرة أمر دبر بليل وأن المسؤولين عنها في حاجة إلى ستر إذ في ظهورهم افتضاح للبرنامج المسطر باليد العلياء ،و بهذا اتضح أن في البرنامج الاستعماري الفرنسي فصلا خاصا يدعـــى (سياسة المؤامرات)...و تبين أن (سياسة المؤامرات) هذه ترمي إلى تبرير العدوان على الجزائريين لصرفهم عن المطالبة بحقهم في الحياة الحرة، و قمع كل نزعة تحررية فيهم، و القضاء على روح المقاومة التي برهن عليها الشعب الجزائري على الدوام، و إخماد الروح القومية المثبتة للكيان الجزائري». (2)

و إذا كان بوزوزو يقرر أن المؤامرة تستهدف قمـــع النزعة التحررية في الجزائريين و القضاء على روح المقاومة لديهم ،فهل تحقق للاستعمار هذا الرجاء ؟ إن با عزيز بن عمر يجيب على هذا التساؤل مؤكدا أن هذه المؤامرة لم تزد الجزائريين إلا تمسكا بوطنيتهم وحقهم في تقرير المصير و لعلها هي التي عجلت بثورة نوفمبر 1954 بقوله :

---

(1) بن عمر، باعزيز،« ذكرى ثامن ماي»،جريدة البصائر ،ع79 ، 1949 .ص 1.

(*) ارتكب المستعمر الفرنسي مجزرة في مدغشقر عام 1947 شبيهة بمجزرة 8 ماي في الجزائر. ينظر
(Ainad tabet , redouane: 8 mai le génocide .Op- cit. pp 134,135.)

(2) بوزوزو، محمود، « ذكرى و عبرة»،جريدة المنار ،ع 3 ،1951 . ص 1.

«وهل زادت الشعب الجزائري مؤامرتهم هذه التي أحكموا طرقها ثم أطلقوها في هذا اليوم المشهود كالبركان يقذف بالنيران والحمم،إلا استمساكا بوطنيته و إيمانا بحقه في الحرية والاستقلال ؟... وهل كان مآل مؤامرة الاستعمار الهولاندي بأندونيسيا (*)إلا أن يخرج منها مذموما مدحورا؟» (1). ويعود بوزوزو فيذكر أن ماي مؤامرة حاكها الخوف و أحكمها الغدر.

«أو قيل «مؤامرة دبرت!» قلنا «هل غير الخوف حاك حبالها،و هل سوى الغد رحبر وبالها؟ ولا يخاف الوفي،ولا يغدر السخي ،و إلا فأين الدين والعقل والضمير؟..أين الحق والخير والجمال؟» (2).

إن توقيف عمل لجنة البحث يؤكد أن أحداث 8ماي مؤامرة فعلية ،فلقد شكلت فرنسا لجنة للتحقيق حول الأحداث تتكون من الجنرال توبير (Tubert) و المحامي لباتي (Labatut) والقاضي طالب شعيب بن عودة وقد بدأت اللجنة التحقيق يوم 25 ماي في سطيف ثم وصلت قـــسنطينة في 26 ماي 1945 مرورا ببني عزيز ،ثم تلقت الأمر بالعودة إلى العاصمة الجزائر في نفس اليوم، فلم تدم رحلة التحقيق و التقصي سوى 48 ساعة (**)،وهذا ما يثبت إن مجزرة ماي مؤامرة استعمارية فرنسية وإن مرتكبيها في حاجة إلى ستر.

* * *

من خلال ما لدينا من مقالات يبدو أن بوزوزو كان من أوائل الكتاب الذين سموا أحداث ماي بالمؤامرة،و ها هو يتفطن أيضا إلى أن حربا ثالثة تقرع الأبواب مشيرا إلى الخطر الشيوعي، فهل استوعب الجزائريون الدرس حق الاستيعاب، أم أنهم يعيدون سيرتهم الأولى إذا ما استنجدت بهم فرنسا من أجل حرب ثالثة لتحرير العالم من الخطر الشيوعي ؟

« و ها نحن اليوم على أبواب حرب ثالثة، و ستوسم هذه الحرب بأنها (تحريرية) كما وسمت سالفتها، و سيدعى الشعب الجزائري إلى المشاركة فيها لصد (الخطر الشيوعي) الذي يهدد البشرية و المدنية. و من المعلوم أن الشعوب إنما تخوض غمار الحروب طلبا لحق أو دفاعا عن حق أو صدا

(*) أجبرت هولندا على الاعتراف باستقلال اندونيسيا عام 1947 لكنها عادت فنقضت العهد ،وبعد عقد مؤتمر (دلهي) طالب مجلس الأمن بجلاء الهولنديين قبل عام 1950 .ينظر(لبيب ،عبد الساتر :أحداث القرن العشرين ،ط4 ،دار المشرق ، بيروت، لبنان 1973 م .ص209.).

(1) بن عمر، باعزيز،«ذكرى ثامن ماي»،جريدة البصائر ،ع 1951،155.ص 1.

(2) بوزوزو،محمود ، « 8 ماي»، جريدة المنار ، ع 1953،42.ص 1.

(**) ينظر،صاري،أحمد: شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر،المطبعة العربية،غرداية ،الجزائر،2004م. ص ص 140-143.

لخطر . و الشعب الجزائري يطالب بحقه في حياة حرة مستقلة. فهل يكون بجانب من ينكر عليه هذا الحق؟ أما دعوى صد (الخطر الشيوعي) ،فقد تقرر لدى كل عاقل أن الاستعمار أشد الأخطار على المدنية و البشرية، و يكفي أن نذكر مجزرة 8 ماي 1945 لنتحقق مدى صدق الاستعمار الفرنسي في صد الأخطار التي تهدد المدنية و حرصه على سلامة البشرية. و قد فهمنا جيدا معنى الحرب (التحريرية) في العرف الاستعماري ». (1)

و بما أن الجزائريين فهموا الدرس، فإن المؤمن لن يلدغ من الجحر مرتين.

« فإن الغرب اليوم عاودته الحمى المشئومة، و سيجد لها أناشيد حول ما يصبو إليه الجزائريون من آمال سامية فهل يلدغ المؤمن من جحر مرتين». (2)

إن تجارب الجزائريين مع الاستعمار الفرنسي تشير إلى أنهم لن يثقوا إطلاقا في الإدارة الفرنسية مهما كانت وعودها لهم، ذلك أن ما حدث لهم في 8 ماي 1945 هو أدعى إلى القطيعة مع النظام الفرنسي منه إلى أي نوع من التحالف معه ، بل وجب على الجزائريين أن يفكروا في وسائل أخرى مجدية من أجل تحقيق المصير ، وذلك بتوحيد صفوف الحركة الوطنية لبناء جبهة قوية مؤهلة عسكريا و سياسيا لتضطلع بمهمة تحرير الوطن .

* * *

بعد أن ندد الكتاب بالمجزرة و عددوا آثام الاستعمار واستنكروا نكثه للعهود، و بعد أن لقنهم ماي الدروس التي ذكرنا فاستوعبوها، فما ردود أفعالهم؟ و ما هي المواقف التي اتخذوها؟

لقد اختلفت المواقف و ردود الأفعال من كاتب إلى آخر، فالإبراهيمي مثلا و هو رجل الإصلاح بل رئيس حركة الإصلاح آنذاك، لم يكن موقفه صريحا بل إن جل مقالته كانت وصفا للمظالم ليؤثر في وجدان الشعب، ويبعثه على التفكير في مستقبله .

يقول محمد مصايف معلقا على ما كتب في أحداث 8 ماي :« و لو عدنا إلى الشعر الذي قيل في هذه الحوادث، و المقالات الأدبية التي عالجتها، و سجلت أسبابها و آثارها، لوجدنا نغمة جديدة تختلف نوعا ما عن نغمة الساسة الجزائريين، هي نغمـــة الفن الذي يريد أن يسهـــم في تعميق الشعور بالحزن، و بعث الجزائريين على التفكير في مصيرهم كأمة قضي عليها أن تخضع للاستعمار الفرنسي». (3)

---

(1)بوزوزو، محمود، « ذكرى و عبرة»، جريدة المنار ،ع3،1951 . ص 1.

(2)بوزوزو، محمود، « 8 ماي»، جريدة المنار ، ع 3،1952. ص 1.

(3)مصايف، محمد:النثر الجزائري الحديث . ص 101.

فالإبراهيمي حين يبلغ به الغضب مبلغه، يهتف بصرخة يلطم بها وجه الاستعمار في لهجة لا تخلو من التأنيب و التقريع، و الدعاء سلاح المظلومين الضعفاء.« لك الويل أيها الاستعمار! أهذا جزاء من استنجدته في ساعة العسرة فأنجدك، و استصرخته حين أيقنت بالعدم فأوجدك؟...» (1)

و ينهي مقالته بأنه من الوفاء أن ندون ثامن ماي للأجيال ، فلا يجور عليه الزمان بالمحو و النسيان.

« يا يوم!...لك في نفوسنا السمة التي لا تمحي، و الذكرى التي لا تنسى، فكن من أية سنة شئت فأنت يوم 8 ماي و كفى و كل مالك علينا من دين أن نحيي ذكراك، و كل ما علينا لك من واجب أن ندون تاريخك في الطروس لئلا يمسحه النسيان من النفوس» .(2)

و باعزيز بن عمر هو الآخر يمثل التيار الإصلاحي كالإبراهيمي تماما، فإذا أكد هذا الأخير على عدم النسيان، فإن قرينه، يتمنى في لهجة تملأها الحسرة توحيد الصفوف لإزاحة الصخور و الأشواك و يتوجس خيفة من أن يكون الجزائريون قد نسوا شر ماي و طووا صفحاته .

«أه لو أنا نفهم الاستعمار كما يفهمنا، لو أنا نحس ذكرى شهدائنا، غدا لأن لنا من ذلك كله خير درس يوحد بين صفوفنا، فيرى الاستعمار عين اليقين أننا كسائر الشعوب الحية الناهضة التي تقبس من ذكرياتها السارة و المحزنة الحكمة العالية، فتسير على ضوئها لا تبالي بمآسي الحياة، و تزيح ما في طريقها من الصخور و الأشواك التي لا تزال تهشم أقدام السائرين و تدمي أيديهم، و لكني أخشى أن نكون قوما لا يكادون يذكرون شيئا حتى ينسوه، خيرا كان أو شرا». (3)

إن باعزيز بن عمر كان من المبادرين إلى الحديث عن الحرية و الاستقلال في سياق الحديث عن بطولات الجزائريين أثناء المقاومة ، و هي طريقة ذكية ينتهجها رجل الإصلاح الذي يلمح ولا يصرح و لعله يأتي من أبناء الجيل الجديد من يتم بناء صرح الحرية .

«إن في تاريخنا مع الاستعمار صفحات هي غرر في جبين الأيام تستعصي على الفناء، لأنها كتبت بدماء الشهداء، وإذا كانوا لم يرفعوا بعد للحرية صروحا، و يعيدوا للبلاد استقلالها الضائع،فقد ضربوا مثلا حيا من التضحية و البطولة لا يبرح مقيما في النفوس، مرسوما على صفحات القلوب». (4)

ثم يعود إلى التساؤل ، ماذا صنعنا بعد مرور أربع سنوات على المجزرة؟ و هي تساؤلات تنبئ بأن الكاتب مل الركود و ضجر من الخنوع ، فهو يلمح إلى ضرورة العمل من أجل تغيير الأوضاع :

---

(1) الإبراهيمي، محمد البشير:عيون البصائر،ج2.ص 372.

(2) المصدر نفسه. المكان نفسه.

(3) بن عمر، باعزيز، « ذكرى ثامن ماي»،جريدة البصائر، ع 79،1949 . ص 1.

(4) المصدر نفسه. المكان نفسه.

« أربع سنوات تمر على هذه المجزرة البشرية، و هي كافية لعودة ألمـــانيا إلى الوجـــود السياسي

و ظهورها على مسرح السياسة العالمية من جديد؛ كأنها لم تذق مرارة الهزيمـــةو لم يأت العدو أرضها ينقصها من أطرافها. فماذا صنعنا نحن؟ و كيف مرت علينا هذه السنوات الأربع سراعا؟اللهم إن الجواب عن هذا كله صعب و عسير علينا».(1)

إن الكاتب ينتظر من الجزائريين أن يثوروا لكنه لا يورط نفسه ، فيدعو إلى الثورة جهارا بل إنه يقدم الراء و يؤخر الواو حين يستعمل كلمة (الثروة) بدلا من (الثورة)، و اللبيب بالإشارة يفهم.

« إن ذكرى ماي ثروة قومية حمراء دامية إذا لم نودعها قرارة نفوسنا، و نستضيء بنورها، أوشكت أن تضيع و تبدد فلا يتعظ بها أحد، كما ذهب ما قبلها من الثـــروات الوطنية التي أزهـــقت فيها الأرواح و سالت الدماء و تناثرت في ساحتها الأشلاء و تطايرت الرؤوس من كل جانب ». (2)

وإن ورّى الكاتب الثورة بلفظ الثروة في هذه الفقرة ، فإنه لا يخشـــى أن يختار لها نظيرا في المعنى وهو النار التي ستأتي على أعداء الله و الوطن، في ذكرى ماي.

«فهل تسوي اليوم بيننا ذكرى أولئك جميعا فنري الاستعمار أن عودنا الذي عجمه فوجده صلبا لا يزال كذلك؟كما أن مبدأنا لا يزال أثبت من الصخر. فإن فعلنا، ولا إخالنا إلا فاعلين، كانت هذه الذكرى منا تحية عاطرة لأرواح شهدائنا الأبرار، ونورا لأبصارنا، ونارا لأعداء الله والوطن».(3) أما كاتب الشعلة فإنه يؤكد في الذكرى الخامسة للأحداث على قطع حبل الوصال بين العرب والعجم وذلك بعدما حفر هؤلاء خندقا فاصلا بفعلتهم الشنيعة.

«أمة بريئة هاته الأمة الجزائرية التي نكبتها أيها المستعمر،ولقد تركت بضراوتك وحشية في النفوس ظلت و ستظل مصدر التوجع و الألم ، و الخندق الفاصل بين يعرب و العجم»(.4)ثم يضيف مهددا متوعدا مذكرا المستعمر بأنه بعد أن قمع إرادة الشعب الجزائري في الاستقلال، فقد عجل بنهايته ووضع حدا للحملة الدعائية التي كان يشهر لها أيام الحرب العالمية الثانية: « أيها الغادر! إن ذكرى طغيانك العنصري من أجل السيادة، و الاستقلال ،يوم 8 ماي لهو اليوم الذي قضيت فيه نحبك ولهوا ليوم الفاصل ضد الدعايات الكاذبة منك و من أذنابك للأخوة و التعاون و حسن الجوار». (5)

---

(1)بن عمر، باعزيز، « ذكرى ثامن ماي»،جريدة البصائر ،ع 79،1949. ص 1.

(2)المصدر نفسه . المكان نفسه .

(3) المصدر نفسه . المكان نفسه .

(4) « الخندق الفاصل. حوادث 8 ماي 45 »، جريدة الشعلة ،ع 22، 1950.ص 1.

(5) المصدر نفسه. المكان نفسه.

أما محمود بوزوزو في مقالته (ذكرى و عبرة)،فانه يدعو المستعمر إلى الاعتبار بمصارع الطغاة ويسأله أن يعدل من سلوكه تجاه العرب و المسلمين كي لا يدركه الغرق مثل ما حدث لفرعون بعد أن طغى في الأرض وبغى .

« فهل تراجع فرنسا (سياستها الإسلامية)و تعدل سلوكها إزاء العرب؟ أم أن الاستعمار الفرنسي شبيه بفرعون لا يؤمن بالحق إلا حين يدركه الغرق؟.» (1).

إن محمود بوزوزو كاتب واسع الأفق قومي النزعة و ذلك لأنه كان من المبادرين إلى الحديث عن وحدة مغربية، فكما أن أهل الجزائر و تونس و مراكش، قدموا ضريبة الدم في الحرب العالمية الثانية دفاعا عن فرنسا و حياضها، فجازتهم بالحديد و النار، فمن اللازم أن يوحدوا قواهم و يضربوها ضربة واحدة.

« و هل يوفق الله شعوب المغرب إلى توحيد موقفها في سبيل الحصول على أمانيها القومية؟و هل أدركنا أنه يجب علينا قبل كل شيء أن نعتمد على أنفسنا و أن لا نرتجي من الاستعمار خيرا؟ ففي درس يوم 8 ماي 1945 عبرة للمعتبر» . (2)

ويعود باعزيز بن عمر في الذكرى السادسة للأحداث في نبرة أشبه بنبرة الإبراهيمي حين أكد على معاني الوفاء لشهداء ماي و إحياء ذكراهم كل عام، لكن الكاتب يستشرف المستقبل ويتفاءل بوعد الله بتطهير الجزائر والعالم كله من براثن الاستعمار.

« إن كل ما نملك اليوم هو أن نحيي باسم الجزائر أرواح أولئك الشهداء الذين ذهبوا و قطوا ضحايا العدوان الاستعماري في هذا اليوم العصيب، و إذا كان للحزن دمع، و هو الذي سكبناه يوم حل بساحتهم كل هذا العذاب المهين، و هم في شوق و لهفة إلى عودة من بقي من أبنائهم حيا، من ساحة القتال،و إلى المشاركة في تذوق ثمرة النصر، و هي -حسب وعود أيام الضراء- نهاية الاستعمار وتعميم الحرية و المساواة بين الناس، فإن للفرح دمعا و هو الذي سنسكبه يوم يتم وعد الله بتطهير العالم من بقايا هذا الاستعمار البغيض في الوجود». (3) وفي الذكرى السابعة للأحداث يؤكد محمود بوزوزو على ما نادى به في الذكرى السادسة و يذكر الجزائريين و الشعوب المغربية كافة بأن تحقيق مطامحها إلى الاستقلال لا يتم إلا بلم الشمل و توحيد الصف.

---

(1) بوزوزو ، محمود، « ذكرى و عبرة»،جريدة المنار ،ع3 ،1951. ص 1.

(2) المصدر نفسه .المكان نفسه .

(3) بن عمر، باعزيز، « ذكرى ثامن ماي» ، جريدة البصائر ،ع 155،1955. ص 1.

« فإن اتقاء اللدغ يقتضي من الجزائريين جمع الكلمة و توحيد الموفق لتحقيق مطامحهم قبل كل شيء عملا يقول القائل« عصفور في اليد خير من عشرة في الغد» بل على الشعوب المغربية كلها أن توحد موقفها لكيلا تذهب مطامحها للأهواء الاستعمارية المشؤومة. فإن الاستعمار يضربها بدون تمييز فعليها أن تقاومه بدون تمييز، و إنه يجعل من فرص تحررها فرصا لتشديد خناقه عليها أليس في إمكانها قلب الوضعية لنجاتها؟» (1)

و في مقالته في الذكرى الثامنة يربط الكاتب بين الأحداث و تفسيرها بأنها ثورة ، مستعملا طريقة شيقة من المحاورة ، و أسلوبا لا يملكه إلا الحكماء و البلغاء، فيقيم الحجة على المستعمر بمشروعية ثورة المظلومين ، و يمرر الرسالة إلى الجزائريين بضرورة حسن الإعداد و التأهب للثورة .

« فإن قيل :« ثورة أخفقت!» قلنا لبعض:« ما الداعي لها؟...هل يثور إلا المظلوم ، و هل يئن إلا المكلوم، و هل الثورة إلا حجة على الحاكم للمحكوم!..» و قلنا لآخرين : ما سبب إخفاقها!.

«وذكرنا قول القائل:« العاقل لا يقاتل من غير عدة، و لا يخاصم بغير حجة، و لا يصارع بغير قوة»...» (2) ثم يعود الكاتب ليؤكد أن لا مفر من توحيد الكفاح على أساس متين من الوعي .

«فهل للوحدة رجوع ، فتنضم الجموع، و يجدد البنيان على خير الأركان سالما من الصدوع؟ أساسه وعي عميق يجد فيه الكفاح معناه، و تجد فيه التضحية غذاءها؟ وعي يستمد من الإيمان القوي قوته ومن الحق الخالد قداسته..» (3).إذا كان باعزيز بن عمر قد تنبأ بزوال الاستعمار في مقالته الثانية فإن بوزوزو قد استشرف هذه الحقيقة أيضا في ماي 1953، وما هي إلا سنة ونصف لتندلع ثورة نوفمبر 1954،بعد أن أخذ الشعب بالأسباب وأتى البيوت من الأبواب، فتحقق الحلم وانجلى السراب.

«والظلم ليس له قرار،والعدل الإلهي بالمرصاد، وأنت له في انتظار..خذ بالأسباب،وائت البيوت من الأبواب، تجد الوعد الحق بالاستخلاف و التمكين، والأمن بعد الخوف في الدنيا و الدين و اذكر: « إن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» و لن تجد لسنة الله تبديلا». (4)

وفي ضوء هذا الاستشراف فإنه يمكن القول أن قيام الثورة ليس إلا نتيجة من نتائج الوعي الذي انتشر في صفوف الجزائريين بعد أحداث 8 ماي 1945 و بخاصة لدى النخبة المثقفة من الجزائريين ممثلة في هؤلاء الكتاب .

---

(1) بوزوزو، محمود، « 8 ماي »،جريدة المنار ،ع3، 1952 .ص4.

(2) بوزوزو، محمود، « 8 ماي » ،جريدة المنار ،ع 42 ،1953. ص 1.

(3) المصدر نفسه. المكان نفسه.

(4) المصدر نفسه. المكان نفسه.

الفصـــــــــل الثانـــــــي:

الملامـــح الفنيـــة للمقـــالات حـــول أحـــداث 8 ماي 1945.

تـــــــمهيـــد

1ـــ الـــوصـــف.

2ـــ المقارنة و ضرب الأمثلة.

3ـــ الحوار و الخـــطابـــيـــة.

4ـــ السخريـــة والـــتـــهكم.

5ـــ صور و أساليب تقليديـــة .

6ـــ الاقـــتبـــاس.

تـــمهيـــد:

تعتبر المقالة من أوسع فنون النثر و أقدرها على استيعاب شتى الموضوعات، كما تتميز بتنوعها بالنظر إلى طبيعة الموضوعات التي يعالجها الكاتب، ثم إن طبيعة الأسلوب و طريقة التعبير قد تختلف مستوياتها باختلاف الموضوع المطروق و باختلاف الكتاب .«فالمقالة ليست إلا تعبيرا عن النفس وتنفيسا عنها ،فهي في النثر تشبه النوع الغنائي في الشعر، و لذلك كان كاتب المقالة واسع التفكير أكثر من أي كاتب آخر، فله حرية واسعة غير محدودة في أسلوبه، و من الصعب أن نجد موضوعا ليس صالحا لأن يتناوله كاتب المقالة». (1)

و على هذا الأساس كان هذا الفن النثري أكثر تحررا من بين أنواع الكتابة النثرية بل إنه يكاد يهيمن عليها جميعا، و لذلك فإن كاتب المقالـــة يقلـــب موضوعـــه أنّى يشاء، و يتصرف في أسلوبه و طريقة تعبيره كيفما يريد فهو بذلك يعكس ملامـــح شخصيته و يصل إلى عقل القارئ و قلبه.

«فالمقالة تقتبس بعض عناصرها من الفنون الأدبية الأخرى، فهي مثلا تأخذ من المسرحية عنصر الحوار ، و من القصة طريقة القص، و وصف المناظر و الشخوص، و من القصيدة الشعرية نزعتها الغنائية و نفسها الشعري، و قد تستعير في بعض أشكالها بعض خصائص المقامة العربية، و في بعض أساليبها أسلوب الخطبة».(2)

و المقالات التي كتبت حول أحداث ماي تتفق في الموضوع، و لعل هذا جعلها تتشابه في كثير من الخصائص و الملامح ، و لعل هذه الملامح و الخصائص لا تعد حكرا على المقالات التي وصفت أحداث ماي فحسب ،بل تتعداها إلى غيرها من المقالات التي دبجها أو يدبجها الكتاب و الأدباء في هذا الموضوع ويعد الوصف من أهم هذه الملامح .

1- الـــوصـــف:

الوصف هو تصوير الأشخاص و الأماكن و الأشياء بوساطة الكلام، إنه لازمة من لوازم القصة لا يمكنها الاستغناء عنه، لأنه يمدها بالقدرة على التخيل و الإيهام بالواقعية، فالوصف أداة تمثيل وطريقة تأثير في المتلقي، و لذلك كان وسيلة من وسائل خدمة المعنى، و من أساليبه و وسائله اللغوية الجملة الاسمية و الصفة المشبهة و النعت والحال والمفعول المطلق والتشبيه و المقـــارنة والمفاضلة ومن الطبيعي أن يكونا لنص الوصفي مبثوثا في جميع الأغراض والأقسام الشعرية و الفنون النثرية والمقالات

---

(1) أمين، أحمد: النقد الأدبي، الطبعة الرابعة، دار الكتاب العربي،بيروت ،لبنان، 1387 هـــ- 1967م . ص 116.

(2) ناصر، محمد: المقالة الصحفية الجزائرية. نشأتها ، تطورها، أعلامها، من 1903 إلى 1931 ، المجلد الأول، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر ، 1398هـــ - 1978م . ص 27.

التي كتبت في موضوع أحداث ماي 1945 ركز فيها أصحابها على وصف يوم الثامن ماي،كما صوروا آثار،المجازر الإنسانية التي ارتكبت في حق الجزائريين ليسهموا في تعميق الشعور بالحزن وبالحيرة وبعث الجزائريين على التفكير في مصيرهم.لقد افتتح الإبراهيمي مقالته بوصف بديع لذلك اليوم المشؤوم:

«يوم مظلم الجوانب بالظلم، مطرز الحواشي بالدماء المطلولة، مقشعر الأرض من بطش الأقوياء، مبتهج السماء بأرواح الشهداء، خلعت شمسه طبيعتها فلا حياة و لا نور،و خرج شهره عن طاعة الربيع فلا ثمر و لا نوْر، و غبنت حقيقته عند الأقلام فلا تصوير و لا تدوين» .(1)

فالفقرة وصفية من بدايتها إلى نهايتها، و قد توافرت فيها كثير من وسائل الوصف و أدواته، و من أبرزها: استعمال الجمل الاسمية أي المبتدأ و الخبر، (يوم مظلم الجوانب بالظلم)، (مطرز الحواشي) (مقشعر الأرض)، (مبتهج السماء)، و قد ورد الخبر في جميع الجمل اسما مشتقا دالا على صفة في ذلك اليـــوم(مظلم، مطرز، مقشعر، مبتهج).كما استعمل النعت لوصف الدماء و النعت صفة (الدماء المطلولة).و من وسائل الوصف انتهاء بعض العبارات بالصفة المشبهة (الأقوياء، الشهداء).

ثم ينوع الإبراهيمي في نوع الخبر ، فينتقل من استعمال الخبر مفردا، إلى استعمال الخبر جملة فعلية والخبر هو وصف للمبتدأ (خلعت شمسه طبيعتها)، (خرج شهره عن طاعة الربيع)، (غبنت حقيقته عند الأقلام)، ثم إن الكاتب يوسع دائرة الوصف بأن يربط كل جملة من هذه الجمل الفعلية الخبرية بجملة اسمية تصف ذلك اليوم (لا حياة و لا نور)، (لا ثمر و لا نور)، (لا تصوير و لا تدوين).

و إذا كانت هذه الوسائل الوصفية تتعلق بالجوانب النحوية، فإن الإبراهيمي يستعين بالوصف أيضا عن طريق التصوير البياني، و لا يخفى ما في الفقرة من استعارات متوالية أسهمت في تجسيد المعاني وتشخيصها (يوم مظلم الجوانب بالظلم ... مطرز الحواشي بالدماء ...مقشعر الأرض ...مبتهج السماء ...خلعت شمسه طبيعتها ...وخرج شهره عن طاعة الربيع).

فالكاتب يملك قدرة فائقة في المناوبة بين الجمل الاسمية و الجمل الفعلية ،و حسن الربط بينها في لغة شعرية، و موسيقى كلامية مؤثرة.

و باعزيز بن عمر لا يقل شأنا عن الإبراهيمي في وصف آثار ذلك اليوم المظلم، و لعل مقالة الإبراهيمي أوجت إلى الكثير من الكتاب و الأدباء ممن وصفوا الأحداث بعده فتأثروا به و من بينهم

---

(1) الإبراهيمي، محمد البشير:عيون البصائر،ج2. ص 369.

باعزيز بن عمر الذي هو واحد من أقلام البصائر، فمن مواطن إجادته في الوصـــف قوله في مقالته التي عنوانها (ذكرى ثامن ماي):

«فلله ما سال في هذا اليوم من دماء الشيب و الشباب، و لله تلك القرى التي كانت آمنة مطمئنة، فجاءتها هذه القوة العمياء، فداستها في طريقها، و سامت أهلها سوء العذاب، فجعلتها حصيدا كأن لم تغن بالأمس ، لم يترك فيها التذبيح و التقتيل و التشريد أثرا لشيخ يدب، أو لصبي يحبو، أو لفتى وفتاة يستقبلان الحياة في ظل أبوين كريمين ليس لهما من أمل في الحياة سوى أن يريا زهرتيهما تتفتحان يوما في حقلهما تحت بصرهما، و إذا باليد الأثيمة تعدو عليهما و على ما حولهما من مباهج الحياة ، فتدع الديار بلاقع بعد أن بطشت بساكنيها بطش الجبارين». (1)

فهو يستعمل من طرق الوصف النعت المفرد(القوة العميـــاء)، (أبوين كريمين)، (اليد الأثيمة) و النعـــت جملة فعليـــة (شيـــخ يـــدب)، (صبي يحبـــو)، (فتى و فتاة يستقبلان الحياة).

كما يوظف المفعول المطلق في تصوير بطش المستعمرين (بطشت بساكنيها بطش الجبارين)،هذا من الجانب النحوي ،أما من حيث الجانب البلاغي فالكاتب يستعين بالتشبيه في وصف تلك القرى التي كانت آمنة مطمئنة فإذا بها تصبح كالحصيد (فجعلتها حصيدا كان لم تغن بالأمس)، و لا يخفي جمال هذا الوصف المقتبس من القرآن الكريم(*).و كذلك تشبيه الفتى و الفتاة بالزهرتين المتفتحتين وتشبيه الديار بالبلاقع.

و محمود بوزوزو يبدع في وصف يوم ثامن ماي في مقالته التي استهلها مثل الإبراهيمي:

« يوم بيننا و بينه 8 سنوات ، و لذكراه في النفس حسرات، و في العين عبرات.يوم فيه أزهقت أرواح بريئة، و أرقيت دماء زكية ، و عقلت ألسنة فصيحة، و ملئت سجون و محتشدات فسيحة ونكثت عهود وثيقة، و زلزلت آمال وطيدة، ونثرت عقود نضيدة،و فصمت وحدة فريدة..» (2)

فهذه الفقرة تقترب من فقرة الإبراهيمي في وصف ثامن ماي من حيث المناوبة بين الجمل الاسمية والجمل الفعلية، فمن الجمل الاسمية التي تصف يوم ثامن ماي (يوم بيننا و بينه 8 سنوات) (لذكراه في النفس حسرات)، (في العين عبرات) ثم ينتقل من الجمل الاسمية إلى الجمل الفعليـــة المعطوفـــة التي تخبر عن ذلك اليوم (يوم فيه أزهقت أرواح بريئة)،(أريقت دماء زكية)، (عقلت ألسنة فصيحة)

---

(1) بن عمر، باعزيز،« ذكرى ثامن ماي»،جريدة البصائر، ع 1951،155.ص 1.

(*) هذا الوصف مأخوذمن قوله تعالى : « حتى إذا أخذت الأرض زخرفها و ازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس ». سورة يونس ،الآية 24 .

(2) بوزوزو، محمود،«8 ماي»، جريدة المنار ،ع 1953،42 . ص 1.

(ملئت سجون و محتشدات فسيحة) ،(نكثت عهود وثيقة)، (زلزلت آمال وطيدة)،(نثرت عقود نضيدة)، (فصمت وحدة فريدة)، و لا يخفى استعمال الكاتب للنعوت في أواخر الجمل الفعلية، و قد وردت هذه النعوت صفات مشبهة باسم الفاعل شكـــلت فواصل ذات إيقـــاع حسن تضـــاف إلى الأسجاع التي طبعت هذه المقالة (بريئة، زكية، فصيحة، فسيحة، وثيقة، وطيدة، نضيدة، فريدة).

2- المقارنة و ضـــرب الأمثلة:

من الطرق التي لجأ إليها الكتاب في وصف أحداث 8ماي 1945 في الجزائر ضرب الأمثلة والمقارنة بين الاستعمار الفرنسي و غيره من الطغاة و المستبدين، فالإبراهيمي يعود إلى التاريخ، فيقارن بين الاستعمار وأيامه والنعمان بن المنذر ويوميه ، «أين النعمان بن المنذر و يوماه من الاستعمار وأيامه؟»(1)

وهذا المثال إنما يستحضره الكاتب ليقرر أن جبروت المستعمر و جريمته يفوقان الجرائم التي حدثت في التاريخ بل إن وجه المقارنة بينها يكاد يكون مستحيلا.

ومحمود بوزوزو يعود أيضا إلى التاريخ فيستحضر مثالا منه يشبه به المستعمر، فهو في تجبره وغطرسته مماثل لفرعون الذي طغى في الأرض فكان مصيره الغرق و هو يطارد الحق. « أم أن الاستعمار الفرنسي شبيه بفرعون لا يؤمن بالحق إلا حين يدركه الغرق؟» (2)

و إن كان بوزوزو يتنبأ للاستعمار بالغرق كما حدث لفرعون، فإن باعزيز بن عمر لا يذهب بعيدا في التاريخ بل يذكر الاستعمار الفرنسي بقرينه الاستعمار الهولاندي الذي خرج من أندونيسيا عام 1949 صاغرا ذليلا .

«و هل كان مآل مؤامرة الاستعمار الهولاندي بأندونيسيا إلا أن يخرج منها مذموما مدحورا؟» (3)

ومثل ذلك سيحدث للاستعمار الفرنسي و لجميع الأنظمة المستبدة المتسلطة .

«لكل أديب رسالة، ورسالة الأدباء كافة هي التبشير بدين الحرية والإنحاء على صولة المستبدين» (4)

---

(1) الإبراهيمي، محمد البشير:عيون البصائر ،ج2. ص 369.

(2) بوزوزو، محمود،« ذكرى و عبرة»،جريدة المنار ،ع3 ،1951. ص 1.

(3) بن عمر، باعزيز،« ذكرى ثامن ماي»،جريدة البصائر ، ع155 ،1951 .ص 1.

(4) العقاد، عباس محمود: يسألونك، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي،بيروت ،لبنان ، 1967م .ص 13.

3-الحـــــوار و الخطابيـــــة:

من أكثر الأساليب شيوعا في المقالات التي تصف أحداث ماي ظاهرة الحوار و الأسلوب الخطابي ، لكنها ليست طابعا عاما عند كل الكتاب بل هي تتفاوت من كاتب إلى آخر فالإبراهيمي واحد من الكتاب الذين وظفوا هذه الطريقة في التعبير.« إن النزعة الخطابية تغلب كثيرا على أدب الإبراهيمي ولعلها تخضع لسبب موضوعي تفرضه طبيعة شخصية الإبراهيمي الأدبية، و هو كونه رجل إصلاح بل رجل ثورة...و لا شك أن مثل هذا الرجل لا يمكن أن تتم له عملية الاتصال بالجماهير إلا عن طريق الخطابة أو ما يماثلها كالمحاضرة و الدرس». (1) و قد اجتمعت لدى الإبراهيمي- وغيره من أدباء الحركة الإصلاحية - الطريقة الخطابية حين استعمال الحوار فهو بعد وصف أحداث ماي يقول:

« و من يكون البادئ يا ترى ؟ آ لضعيف الأعزل، أم القوي المسلح؟» (2) فالقارئ يشعر بأن الكاتب يحاوره شخصيا و يشركه في التجربة بأن يوجه إليه السؤال، ثم يقترح عليه اختيار الجواب. ثم يواصل استعمال أسلوب الوعيد و الإكثار من الاستفهامات التي تحمل كثيرا من التأنيب و السخط والاستنكار مخاطبا الاستعمار.

«لك الويل أيها الاستعمار! أهذا جزاء من استنجدته في ساعة العسرة فأنجدك واستصرخته حين أيقنت بالعدم فأوجدك؟ أهذا جزاء من كان يسهر و أبناؤك نيام، و يجوع أهله وأهلك بطان، و يثبت في العواصف التي تطير فيها نفوس أبنائك شعاعا؟» (3) إن هذه الفقرة تحمل كثيرا من التقريع للاستعمار الذي وجه إليه الإبراهيمي سهام غضبه.« و كأن هذه الأحاسيس التي تضطرم بها نفسه ويستعر بها كيانه لا تجد لها متنفسا إلا في الخطبة لما تحتوي عليه من عناصر الإثـــارة و ما يجده فيها من أدوات التحميس من توجيه الكلام إلى المخاطبين مباشرة، إلى تتابع المترادفات و تكرار العبارات والمفردات وإحداث الموازنات الموسيقية في الألفاظ حتى تلائم هذا الانفعال القوي الذي يحس به بين جوانحـــه، إلى استعمال الأدوات الاستفزازية من استفهام بجميع تخريجاته البلاغية من إنكار و تعجب و تعظيم». (4)

---

(1) عباس، محمد: البشير الإبراهيمي أديبا، ديوان المطبوعات الجامعية،وهران ، الجزائر ،دون تاريخ . ص 318.

(2) الإبراهيمي، محمد البشير:عيون البصائر ،ج2. ص 371.

(3) المصدر نفسه. المكان نفسه.

(4) ناصر، محمد: المقالة الصحفية الجزائرية، المجلد الثاني. ص 165.

و في فقرة موالية يقول الإبراهيمي:« يا يوم!...لله دماء بريئة أريقت فيك، و لله أعراض طاهرة انتهكت فيك، و لله أموال محترمة استبيحت فيك، و لله يتامى فقدوا العائل الكافي فيك، و لله أيامى فقدن بعولتهن فيك».(1)لقد استعمل الكاتب النداء (يا يوم) مخاطبا ثامن ماي من دون أداة تعريف، فهو أشهر من أن يعرف، ثم يكرر اللفظ (لله) متعجبا مندهشا من أفعال المستعمرين الشنيعة،و قد انتهت الجمل بضمير الخطاب (الكاف) الذي يعود على يوم ثامن ماي.

ولعل مما يبرر ظاهرة الحوار و الخطابية التي كثيرا ما تعتمد على التكرار و الاستفهام« أن أغلب الكتاب الصحفيين كانوا يجمعون إلى جانب عملهم هذا مهنة التدريس في الكتاتيب والمدارس، أو الوعظ و الإرشاد في المساجد، و كلا المهنتين تتطلبان من محترفيهما استعمال التكرار والاستفهام و ما إليه من عناصر الخطب، فتصبح بالتالي طابعا يميز الشخص بمميزات خاصة كثيرا ما تظهر لا في أحاديثه فحسب بل و في كتاباته كذلك» .(2)

فباعزيز بن عمر يستعمل الحوار عن طريق الاستفهام، ثم يجيب مستخدما النداء:« أربع سنوات تمر على هذه المجزرة البشرية، و هي كافية لعـــودة ألمانيا إلى الوجود السيـــاسي و ظهورها على مسرح السياسة العالمية من جديد ، كأنها لم تذق مرارة الهزيمة، و لم يأت العدو أرضها ينقصها من أطرافها. فماذا صنعنا نحن؟ و كيف مرت علينا هذه السنوات الأربع سراعا؟

اللهم إن الجواب عن هذا كله صعب و عسير علينا».(3) إنها أسئلة تحمل كثيرا من التأنيب للجزائريين لدفعهم إلى العمل الجاد من أجل تحرير الوطن. بل إن التأنيب ينقلب دعاء على هذا الشعب إن كان لا يعرف إلا البكاء على الماضي و لا يستفيد من حوادث التاريخ.« فتعسا لشعب لا تعلمه آلامه و أحزانه وذكرياته غير البكاء والدعوة بالرحمة والرضوان لضحايا الظلم و الاستعمار وتعسا لمن لا يفهم عنها إلا أنها محنة تولت، و يوم نحس يطويه التاريخ من بين أيامه السود طيا». (4) ومقالة(الخندق الفاصل) في جريدة الشعلة، تبدو فيها خطابية سافرة، و كأنها خطبة أعدت لتلقى على جمهور السامعين، فأساليب النداء تطبعها من بدايتها إلى نهايتها، بل إننا نحس فيها نفس الشابي في قصيدته (إلى طغاة العالم)(*) و هو يتوعد المستعمر معددا جرائمه و آثامه، في نبرة عالية و صوت حاد.

---

(1) الإبراهيمي، محمد البشير :عيون البصائر،ج2 . ص ص 371، 372.

(2) ناصر، محمد: المقالة الصحفية الجزائرية،المجلد الثاني. ص 165.

(3) بن عمر ، باعزيز، « ذكرى ثامن ماي»،جريدة البصائر، ع 79، 1949. ص 1.

(4) المصدر نفسه . المكان نفسه.

(*)ينظر ، الشابي، أبو القاسم: ديوان أغاني الحياة، الطبعة الأولى، دار صادر،بيروت ،لبنان ، 1999م. ص 220.

« بل إن بعضهم قد ترتفع به درجة الحرارة و يبلغ به الحماس مبلغه فلا يجد له متنفسا إلا في استعمال أدوات النداء و الاستغاثة و الندبة». (1) يقول الكاتب في مطلع مقالته : « يا لله لتلك الجراحات التي لا تكاد تنجبر حتى يأتي عليها ثامن ماي فتدمي على ذكراه من جديد! رباه إنها ليست بالجراحات التي تضمد فتبرأ ، و تتوالى عليها الأيام فلا يبقى منها إلا الأثر» .(2)

إن أول عبارة استهل بها صاحب المقالة تمثلت في أسلوب الاستغاثة (يا لله) و الاستغاثة من النداء و هي طلب الإعانة للتخلص من شدة أو دفع مشقة، و قد توافر أسلوب الاستغاثة على أداة النداء والاستغاثة (يا)، و المستغاث به (الله)، و المستغاث له(تلك الجراحات). بل إن الكاتب ينتقل من الاستغاثة إلى أسلوب الندبة، و الندبة من النداء أيضا، و هي نداء المتفجع عليه أو المتوجع منه أو المتوجع له، و الكاتب هنا ينادي المتوجع له و هو الله (رباه) ، و قد خـــتم المندوب بألف الندبة وهاء السكت، لكن الكاتب حذف أداة الندبة على خلاف القاعدة النحوية.

وفي المقالة نفسها كرر الكاتب النداء الموجه إلى المستعمر ست مرات مع تغيير في لفظ تابع المنادى، إذ ورد لفظ (المستعمر) مرتين، و لفظ (الغادر) ثلاث مرات، أما لفظ (الخائن) فمرة واحدة.

و مما تجدر الإشارة إليه أيضا أن الكاتب وظف من وسائل الخطاب (هاء التنبيه) المتصلة بـــ (أيّ) كما كان طيلة المقالة يخاطب المستعمر مستعملا ضميري الخطاب (الكاف)، و (تاء المخاطب) تنبيها للمستعمر وتقريعا له .

وهذه النبرة الخطابية العالية يفسرها حدة الانفعال و الضغط الاستعماري الشديد« و لعل هذه الطبائع أوجدتها المرحلة العصبية التي مر بها المسلمون الجزائريون تحت الحكم الاستعماري المتجبر فتوترت أعصابهم، و ألقت بهم في دوامة من الانفعالات الشديدة» .(3) ولعله ينتظر من كاتب المقالة ألا يبالغ في توظيف الأساليب الخطابية كي لا تصير مقالته خطبة تدبج على الورق بغرض إلقائها في جمهور السامعين.

و محمود بوزوزو يشبه الإبراهيمي في طريقة المحاورة و طرح السؤال بعد وصف المجزرة « من الجاني؟ فهل مر النازيون من هنا ؟ لم يمر النازيون بهذه الربوع، و ليس هذا من أثرهم ، إنه أثر من لم يكن في الحسبان...إنه أثر ممثلي الدولة الفرنسية» .(4)

---

(1) ناصر، محمد: المقالة الصحفية الجزائرية، المجلد الثاني. ص 165.

(2) « الخندق الفاصل، حوادث 8 ماي 45 »،جريدة الشعلة ،ع 22 ، 1950 . ص 1.

(3) ناصر، محمد: المقالة الصحفية الجزائرية، المجلد الثاني. ص ص 165، 166.

(4) بوزوزو ،محمود،« ذكرى و عبرة»،جريدة المنار ،ع3، 1951 . ص 1.

إن الكاتب يشرك القارئ في هذا الحوار من خلال ما يطرحه من أسئلة، لكنه لا يبخل عليه بالإجابة مقررا أن ما فعله الفرنسيون يفوق جرائم النازيين.

و لعل من الأمثلة الحسنة في هذا المجال تلك الفقرات الحوارية التي حاور فيها بوزوزو عدة أطراف عن طريق طرح السؤال، و الإجابة عنه بسؤال آخر تقريري، و طريقة المحاورة هنا سبيل إلى إبراز الحجة و شرح الموقف .« فإن قيل :« ثورة أخفقت!» قلنا لبعض:« ما الداعي لها؟ هل يثور إلا المظلوم، و هل يئن إلا المكلوم ، و هل الثورة إلا حجة على الحاكم للمحكوم؟»

و قلنا لآخرين: ما سبب إخفاقها ؟« و ذكرنا قول القائل:« العاقل لا يقاتل من غير عدة و لا يخاصم بغير حجة، و لا يصارع بغير قوة»... أو قيل « مؤامرة دبرت!» قلنا :« هل غير الخوف حاك حبالها ، و هل سوى الغدر حبر وبالها ؟ و لا يخاف الوفي، و لا يغدر السخي، و إلا فأين الدين والعقل و الضمير؟..أيـــن الحق والخـــير و الجمال؟». (1)

فهذه الفقرات احتوت تسع استفهامات مـــع اختلاف في الغرض، و أدوات الاستفهام التي تراوحت بين (هل، ما الاستفهامية و أين)، كما احتوت ألفاظ القول التي كثيرا ما تردد في أساليب الحوار، وقد بلغ عدد هذه الصيغ مكررة سبع مرات (قيل، قلنا ، قول ، القائل). كما لم تخل هذه الفقرات من علامات الترقيم التي غالبا ما تسود في الأسلوب الحواري مثل النقطتين(:) و علامة التنصيص(« »)، و علامة الاستفهام (؟) و علامة التعجب أو التأثر (!) .

و هذا الحوار و هذه الاستفهام المتوالية أقام فيها الكاتب الحجة على المستعمر (قلنا لبعض) حيث قرر بأن ثورة المظلوم و أنين المكلوم من الأمور المشروعة، و نوّر الجزائريين (قلنا لآخرين)حيث بين لهم بأن نجاح الثورة مشروط بحسن التأهب و الاستعداد ، ثم قرر أن المؤامرة دبرها الغادرون أي الاستعمار.

4-السخريـــــة و التهكـــــم:

« إن للسخرية أنواعا ، و فنونا، و إن كان الهدف الذي تسعى إليه جميعا واحدا و هو النيل من المتهكم به فكرة كانت أو شخصا، و ليس لها من غاية سوى أن تبعث في النفوس الضحك والازدراء أو الأسف و الرثاء». (2) و أسلوب السخرية و التهكم ،و إن ابتعد عنه الإبراهيمي و باعزيز بن عمر، وحل محله طابع الجد، فإنه لا تكاد تخلو منه بقية المقالات في أحداث ماي .

---

(1) بوزوزو، محمود، «8 ماي»،جريدة المنار ،ع 42، 1953 . ص 1.

(2) ناصر، محمد: المقالة الصحفية الجزائرية، المجلد الثاني. ص 189.

«و من العناصر التي يستعملها الكاتب إذا أراد هذا النوع من السخرية الهادئة الخفيفة أن يسمي المعاني تسمية زائفة أو معكوسة».(1) و الكتاب عادة ما يضعون الكلمات المراد بها السخرية بين مزدوجين أو بين قوسين.ومما وردمن ألفاظ السخرية في مقالة (الخندق الفاصل) كلمة (الرحيمة)وصفا لفرنسا:« و قد ظهرت حقيقة فرنسا«الرحيمة» من موقفها إزاء اعـــتدائك و ظلمك» .(2)

فلفظ (الرحيمة) يحمل معنى إيجابيا ، لكن الكاتب أراد نقيـــض المعنى و هو القاسية لأن قـــاموس الاستعمار يقر بالقسوة و لا يعترف بالرحمة ،و أي رحمة ترتجى منه بعد أن أقام مجزرة ماي ؟ ، ولعل هذا يؤيده و يبين عنه قول الكاتب، بعد استعمال هذا الوصف الســـاخر حين تحدث عن الأحكام القاسية في حق أولياء شهداء ماي:«وأي أمل يبقى وقد صدرت الأوامر بإيقاع الأحكام القاسية على أولياء الأموات الشهداء وإيواء المجرمين- بل مكافأتهم —من أبنائها الملطخين بالدماء».(3)

«والذين يحسنون هذا النوع من السخرية كتاب مارسوا مهنة الصـــحافة طويلا، وعرفوا دخيلة المستعمر فكانت بعض الفقرات التي يفرغونها في هذا القالب أذهب لغيظ قلوبهم، و أشفى لتوتر أعصابهم من الأسلوب الخطابي العارم الذي يشعر بقيمة المخاطب، و أهمية المتكلم عنه». (4)

ومحمود بوزوزو واحد من هؤلاء، فهو يصور نهاية الحرب العالمية الثانية في مشهد (كاريكاتوري) يحمل الكثير من السخرية و التهكم من فرنسا و الحلفاء.

«و كان يوم الهدنة يوم 8 ماي 1945 قـــام فـــيه « العالم التحريري» يحـــتفل بتحطيم المحور «الاستعبادي »، مستبشرا بانتصار القوات «الديمقراطية»على القوات (الدكتاتورية) وأرسلت أمواج الأثير (البشرى) في طول الدنيا وعرضها أن (قوات الخير) قد انتصرت على (قوات الشر)، فما على البشرية إلا أن تطرب و ترقص و تستعد لاستقبال عهد جديد تسود فيه الحرية». (5) فهو يصف الحلفاء بـــ (العالم التحرري)، و (القوات الديمقراطية)، و (قـــوات الخير)

ويقابلها بمعاني نقيضة يصف بها المحور،(الاستعبادي)،(القوات الدكتاتورية)،و (قوات الشر). لكن ما أبعدصفات الحلفاء عنهم ،وما أقربهم إلى الصفات التي اختارها للمحور ، فالحقيقة أن الكاتب أراد وصف الحلفاء بأنهم قوات استعبادية لا تحريرية ،و بأنهم قوات دكتاتورية لا ديمقراطـــية و بأنهم قوات شر لا قوات خير ،لكنه لم يصرح بذلك وسمى المعاني بتسميات معكوسة سخرية وتهكما .

---

(1) ناصر، محمد :المقالة الصحفية الجزائرية،المجلد الثاني . ص 191.

(2) « الخندق الفاصل. حوادث 8 ماي 45»،جريدة الشعلة،ع22، 1951. ص 1.

(3) المصدر نفسه. المكان نفسه.

(4) ناصر، محمد: المقالة الصحفية الجزائرية ،المجلد الثاني . ص 190

(5) بوزوزو، محمود،« ذكرى و عبرة» ،جريدة المنار ،ع3 ،1951. ص 1.

ولعل حقيقة الحلفاء هذه تبدوا بشكل واضح بعد هذه الفقرة مباشرة حين صور الكاتب مجزرة ماي بشكل مفصل يدعوا إلى الأسى و الحزن .

ثم يعلق محمود بوزوزو على آثار الجريمة تعليقا ساخرا من ممثلي الدولة الفرنسية:« إنه أثر ممثلي الدولة الفرنسية وفقا لروح الرسالة(التمدينية)».(1) فالكاتب حين يصف رسالة الفرنسيين بأنها (تمدينية) -كما كانوا يروجون لها منذ الاحتلال– إنما أراد أن يقول :أين مظاهر التحضر والمدنية لدى هؤلاء ؟ما أقربهم إلى الهمجية والبداوة! فتاريخهم الاستعماري منذ أن وطئت أقدامهم الجزائر في جوان 1830 إلى مجزرة ماي 1945 شاهد على همجيتهم ومسؤوليتهم الكبيرة في تجـــهيل الشعب ومنعه من الأخذ بأسباب الحضارة والتقدم،ليس هذا فحسب بل إن الجزائري كان طيلة العهد الاستعماري مستهدفا في بدنه و روحه .

5- صـــــور وأساليـــب تقليديـــــة:

تعتبر المقالات التي كتبت في أحداث 8 ماي 1945 في الجزائر مقالات سياسية أدبية،فهي سياسية من حيث موضوعها أدبية في أساليبها و طابعها الفني، و لعل من جماليات التعبير المتوافرة في هذه الكتابات حسن الاعتناء بالتصوير البياني،و توظيف السجع،بالقدر الذي يزين اللغة ويضفي عليها موسيقى كلامية مؤثرة نتيجة الفواصل المتتابعة في أواخر الجمل و العبارات. وتختلف درجة الاهتمام بالصور البيانية و المحسنات البديعية من كاتب إلى آخر ، بل هي تتفاوت من مقالة إلى أخرى للكاتب نفسه، و هذا يبدو جليا في الاختلاف الحاصل بين مقالات محمود بوزوزو الثلاثة، ففي حين كانت مقالته الأولى عام 1951 أقرب إلى الطابع السياسي، حيث اهتم فيها بالفكرة وتعليلها ولم يستعن بالصور البيانية أو المحسنات البديعية، نجده في مقالته الثانية عام 1952 يوظف البيان والبديع بقدر معتدل،أما مقالته الثالثة عام 1953،فيقترب أسلوبها من الأسلوب الذي شاع في فن المقامات،وذلك لأن الكاتب اهتم فيها اهتماما بالغا بتوظيف السجع الذي كان الطابع المميز للمقالة من بدايتها إلى نهايتها.

والكاتب لا يتهم هنا بالتكلف أو التصنع، بل إن هذا الاختلاف في مستوى اللغة بين مقالة وأخرى ينبئ عن تمكن الكاتب، و مقدرته على التنويع في طريقة التعبير في الموضوع الواحد، شأنه في ذلك شأن البشير الإبراهيمي،الذي اعتنى بطريقة التعبير،و توظيف الصور البيانية و المحسنات البديعية في مقالته حول ذكرى 8 ماي، لكن مستوى عنايته بهذه الجوانب ههنا لا يبلغ درجة العناية بها في (سجع الكهان) الذي يصفه الإبراهيمي بقوله: «هذه فصول إن لا تكن فيها روح الكاهن ففيها من

---

(1) بوزوزو، محمود،« ذكرى و عبرة» ،جريدة المنار ،ع3 ،1951. ص 1.

سجعه، وإن لا يجل في جوانبها صدى الكهانة ففيها من ذلك الصدى رجعه، فيها الزمزمة المفصحة، و التعمية المبصرة، وفيها التقريع والتبكيت، و فيها السخرية و التنكيت، و فيها الإشارة اللامحة،و فيها اللفظة الجامحة وفيها العسل للأبرار، و ما أقلهم ، و فيها اللسع للفجار، و ما أكثرهم؛ فلعلها تهز من أبناء العروبة جامدا ،أو تؤز منهم خامدا، فنجني شيئا من ثمرة النية، و نغير أواخر هذه الأسماء المبنية». (1)

والإبراهيمي لا يرى نفسه متكلفا و لا مغربا في هذه الكتابات، بل هو يتحدى بها معاصريه من الكتاب المتخلفين، أما المتبحرون في اللغة و أسرارها فلا غريب لديهم في سجع الكهان إذ يقول: « و في هذه الفصول من لبوس الألفاظ ما يعده المتخلفون من كتابنا غريبا،و ما غرابته في أذواقهم إلا كغربة الأعلاف النفسية في أسواقهم، و لو حفظوه و وعوا معانيه و أقروه في مواضعه من كلامهم وأحسنوا إجراءه في ألسنتهم و أقلامهم لأحيوه فحيوا به ،و لأصبح مأنوسا لا غريبا وأصبحوا به من لغتهم قريبا ؛ و لكن أعياهم الإحسان، فعفروا في وجوه الحسان. و عجزوا في جني الثمرة عن الهصر فرضوا من اللغة بما يباع في سوق « العصر» ». (2)

و لعل أهم فقرة من مقالة الإبراهيمي تجلى فيها الاهتمام بالصور البيانية و المحسنات البديعية هي تلك المقدمة الوصفية ليوم 8 ماي،بحكم ما جرى فيه للمجتمع الجزائري ، يقول الإبراهيمي :

« يوم مظلم الجوانب بالظلم، مطرز الحواشي بالدماء المطلولة، مقشعر الأرض من بطش الأقوياء مبتهج السماء بأرواح الشهداء، خلعت شمسه طبيعتها فلا حياة و لا نور و خرج شهره عن طاعة الربيع فلا ثمر و لا نور...»(3)

فقد وظف الكاتب مجموعة من الاستعارات المتتالية، كان لها دور في تجسيد المعاني و تشخيصها وتقديم صورة كئيبة مظلمة لهذا اليوم (يوم مظلم الجوانب بالظلم)، (مطرز الحواشي بالدماء) (مقشعر الأرض) ،(مبتهج السماء)، (خلعت شمسه طبيعتها)،(خرج شهره عن طاعة الربيع)،وإلى جانب الاستعارات فقد اعتمد الكاتب على المقابلة بين المعاني (مقشعر الأرض من بطش الأقوياء مبتهج السماء بأرواح الشهداء)،كما وفق الكاتب في استعمال السجع في أواخر العبارات(الأقوياء الشهداء) (لا نور، لا نور)، و على الرغم من قصر هذه المقدمة، فقد جمعت كثيرا من عناصر الجمال اللغوية والبلاغية بهدف التأثير في المتلقي، ليقاسم الكاتب مشاعره و يشاركه المعاناة من هول هذا الحدث .

---

(1) الإبراهيمي ، محمد البشير:عيون البصائر،ج2 . ص 595.

(2) المصدر نفسه. المكان نفسه.

(3) المصدر نفسه .ص 369 .

فالإبراهيمي من«أولئك الذين عنوا- إلى جانب الفكرة- بالتعبير و التصوير، و اهتموا باللغة وحدها لا من حيث نقاؤها وصفاؤها و مرونتها كما فعل السابقون، بل عنوا بها من حيث الإيحاء وجمال التعبير و مراعاة الصور البيانية».(1)

ولا يبتعد محمود بوزوزو كثيرا عن الإبراهيمي في أسلوب التصوير ،وتوظيف الصور وفق الأساليب العربية القديمة ،فمن مقالته سنة 1953 في وصف تلك المحنة قوله :

«تلك هي المفاجأة القاسية،و المصيبة الداهية، نزلت على الجزائر بحسرات و أتراح بينما «أحلافها» في مسرات و أفراح ، و ليتها لم تدفع في الحرب إلا ثمن الذهاب ، و لم تنل من الغنيمة سوى الإياب ومن العهود سوى السراب ، و لم تجد في استقبال العهد الجديد نارا بالباب، تلتهب وعيدا وتطلب مزيدا،فبذلت للحيف، مثلما بذلت للسيف، و لم تجن سوى العلقم المر، بدل العسل الحر.. »(2)فإلى جانب الصور البيانية التي حشدها الكاتب في هذه الفقرة ،(ثمن الذهاب) (لم تنل من الغنيمة سوى الإياب) ،(ومن العهود سوى السراب)،(بذلت للحيف مثلما بذلت للسيف)،(العلقم المر) (العسل الحر)،فإن ما يلفت النظر هو تلك الأسجاع التي طبعت الفقرة من بدايتها إلى نهايتها من خلال الفواصل (القاسية،الداهية) ،(أتراح،أفراح)،(الذهاب،الإياب،السراب،الباب) (وعيدا،مزيدا) ،الحيف السيف)، (المر،الحر)، ويبدو أن الكاتب هنا يهتم بالإيقاع الموسيقي للألفاظ بغرض التأثير في وجدان القارئ ، ليشاركه مشاعر الحسرة و الأسى لما حدث، و مما زاد في حسن هذه الأسجاع أن بعض الفواصل فيها وردت متجانسة من حيث حروفها جناسا ناقصا (أتراح، أفراح)
(الحيف،السيف) (المر،الحر)، يضاف إلى ذلك المقابلة بين المعاني (حسرات وأتراح مسرات وأفراح) (لم تدفع في الحرب إلا ثمن الذهاب، لم تنل من الغنيمة سوى الإياب)،(العلقم المر العسل الحر).

فكتاب المقالة السياسية إذن يهتمون بالفكرة كما يهتمون أيضا برونق الأسلوب وإحداث الموازنات الموسيقية في الألفاظ خصوصا في المواقف المفعمة بالانفعال الحاد، و بوزوزو واحد من هؤلاء الكتاب الذين يصفهم ركيبي بقوله :« من يكتب المقالات السياسية التي يراعي فيها قدرا من الجمال الأدبي مثل « أحمد توفيق المدني»، و بعض كتاب «حزب الشعب» الذين كانوا يتصدون للقضايا الوطنية بعد الأربعينات خاصة حين صدرت جريدة « المنار» ثم « المغرب العربي» بعد ذلك

---

(1) ركيبي، عبد الله: تطور النثر الجزائري الحديث. ص ص 138، 139.

(2) بوزوزو، محمود،« 8ماي»، جريدة المنار، ع 42 ،1953 . ص 1.

ومن هؤلاء الزاهري «أيضا في مرحلة ثانية غير الأولى التي اهتم فيها بالإصلاح لا بالسياسة ثم نجد «محمود بوزوزو»و«عبد الحميد مهري» و غيرهم من كتاب المقالة السياسية قبل الثورة التي يمكن أن تدرج فيما يسمى بالأدب السياسي ». (1)

6- الاقتبـــــــاس(*):

إن النص أفق مفتوح على مجموعة من النصوص السابقة، وإن المقالات التي تصف أحداث8 ماي يتجلى فيها تأثر أصحابها بالقرآن و الحديث بشكل واضح ، و قد يوظفون شيئا من الشعر القديم أو الأمثال، وهذا أمر طبيعي، فثقافة هؤلاء ثقافة إسلامية و ذاكرتهم تختزن المحفوظ من كتاب الله وسنة نبيه- عليه الصلاة و السلام- إلى جانب ما تحتويه من التراث شعره و نثره، لذلك كانت هذه المصادر من أهم الروافد التي أثرت لغة أدبائنا و تجلت في إبداعاتهم، «و بقدر ما يكون محفوظ الكاتب أجود أصلا، يكون إنتاجه أرقى وأقوى، و بقدر ما يكون ذهن الأديب أصفى وألطف يكون تفكيره أدق و أعمق» .(2)

وقد كان للقرآن حضور جلي في مقالة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي «ولو بحثنا عن العلة لتبين لنا أن الرجل كان من أحفظ أهل زمانه، فأتيح لذاكرته أن تختزن ما شاء الله لها أن تختزن من جيد المحفوظ: شعره و نثره، و قرآنه وحديثه» .(3)

ومن المواطن التي وظف فيها الكاتب لفظ القرآن الكريم قوله يصف الأمة الجزائرية أثناء الحرب:«أمة كالأمم حلت بها ويلات الحرب كما حلت بغيرها،و ذاقت لباس الجوع والعري والخوف». (4) فهذا الوصف فيه اقتباس من قوله تعالى:« و ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع ولخوف بما كانوا يصنعون» .(5)

---

(1) ركيبي، عبد الله: تطور النثر الجزائري الحديث. ص 138.

(*)الاقتباس تضمين النثر أو الشعر شيئا من القرآن أو الحديث الشريف من غير دلالة على أنه منهما و يجوز أن يغير في الأثر المقتبس قليلا.(الجارم،علي.أمين، مصطفى:البلاغة الواضحة مع دليلها،ديوان المطبوعات الجامعية،وهران ،الجزائر،(د،ت)ص 270.).

و من المصطلحات الشائعة في الدراسات الحديثة ما يسمى بالتناص (Intertextualité) إذ (إن كل نص هو عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات، و كل نص هو تشرب و تحويل لنصوص أخرى). القول لجوليا كريستيفا، نقلا عن،(الغذامي عبد الله محمد: الخطيئة و التكفير،دار سعاد الصباح،الكويت ،(د،ت) .ص 222).

(2) مرتاض ، عبد الملك:نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925- 1954، الطبعة الثانية،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر 1983م. ص 125.

(3) المرجع نفسه. ص ص 124، 125.

(4) الإبراهيمي، محمد البشير :عيون البصائر،ج2 . ص 370.

(5) القرآن الكريم، سورة النحل. الآية 112.

ومما أضافه الكاتب في هذا الاقتباس على جمال الصياغة القرآنية لفظة (العري) في العبارة فنتجت عنه صورة أخرى من صور التشبيه الموجودة في الآية فجمع التشبيه في عبارة (لباس العري)بين الشيء و ضده،وهنا تبدو براعة الكاتب في التأليف بين المعاني المتباعدة والمتناقضة عن طريق التشبيه

ويقول الإبراهيمي في سياق آخر من الفقرة نفسها:« فإذا بقي كلب منهم بالوصيد، أو من ديارهم قائم غير حصيد، قضى ذلك المنطق فيه بالإبادة و المحو، و جعل أيامه خاتمة لأيام الدم والحديد» .(1) فقد اقتبس الكاتب في هذا السياق من موضعين من القرآن الكريم،أما الأول فهو قوله تعالى في وصف أهل الكهف:« وتحسبهم أيقاظا وهم رقود، ونقلبهم ذات اليمين و ذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد» .(2)

وأما الثاني فهو قوله تعالى:« ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم و حصيد» .(3) وسر جمال هذا الاقتباس أنه أخـــذ لفظ (الوصيد) و (الحصيد) من موضعين مختلفين من القرآن و جمع إليهما فاصلة ثالثة (الحديد) فنتج عنها سجعا بديعا، كما أحدث الجناس الناقص بين (وصيد وحصيد)، و(حصيد و حديد). ويضاف إلى هذه المحسنات البديعية التي أحدثها الاقتباس أثر آخر وهو إظهار همجية المستعمر الذي محا الديار و أباد العباد و لم يسلم الحيوان أيضامن حملة الإبادة.

ومن مظاهر الاقتباس عند الإبراهيمي في هذا النص أيضا قوله: « أيشرفك أن ينقلب الجزائري من ميدان القتال إلى أهله...فيجد الأب قتيلا و الأم مجنونة من الفزع...» (4) فنحن نجد فيه اقتباسا من قوله عز وجل:« فأما من أوتي كتابه بيمينه ، فسوف يحاسب حسابا يسيرا، و ينقلب إلى أهله مسرورا».(5) وقد غير حالة الانقلاب إلى الأهل من السرور إلى نقيضه و هو الحزن و الأسى لما حدث لهم.وإذا كان الإبراهيمي ينهل كثيرا من كتاب الله ،فإنه يتأثر أيضا بمحفوظه من الشعر القديم ومن أمثلة هذا التأثر قوله:« أهذا جزاء من كان يسهر و أبناؤك نيام، و يجوع أهـــله و أهلك بطان، و يثبت في العواصف التي تطير فيها نفوس أبنائك شعاعا؟» (6)

---

(1)الإبراهيمي، محمد البشير: عيون البصائر،ج2. ص ص 370، 371.

(2)سورة الكهف. الآية 18.

(3)سورة هود. الآية 100.

(4)الإبراهيمي،محمد البشير: عيون البصائر،ج2 .ص 371.

(5) سورة الانشقاق .الآيات 7، 8، 9.

(6) الإبراهيمي،محمد البشير: عيون البصائر،ج2 .ص 371.

فقد أخذ الكاتب في هذه الفقرة من ألفاظ ومعاني الشاعر القديـــم قطري بن الفجاءة، و هو يثبّت نفسه في القتال:

أقـــول لـــها و قد طارت شعاعا مـــن الأبطال ويحك لن تراعي (*)

و باعزيز بن عمر تلميذ ابن باديس،والذي سخر قلمه في خدمة الحركة الإصلاحية ينعكس تكوينه العربي الإسلامي أيضا في كتاباته ،إذ أنه كثيرا ما يستوحي ألفاظه و معانيه من القرآن الكريم، و من أمثلة ذلك قوله يصف الاستعمار:« و الاستعمار قوة عمياء ، و المستعمر قوي أعمى، لكنه يرهب الضعيف، و لا يأمن العاقبة، و لا تزيده النذر إلا عمى وضلالا، و إمعانافي الطغيان و عتوا ونفورا، واستكبارا في الأرض». (1)فألفاظ (النذر،والعتو،والنفور، والاستكبار في الأرض) وردت متفرقة في مواضع من القرآن الكريم، منها قوله تعالى:« قل انظروا ماذا في السموات و الأرض و ما تغني الآيات و النذر عن قوم لا يؤمنون» .(2)

و قوله أيضا :« أمّن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا في عتو و نفور». (3)

و من قوله تعالى أيضا:« و أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا، استكبارا في الأرض» .(4)إن الكاتب قد أحسن التمهيد للاقتباس من هذه الآيات لينسجم مع قوله، و نقل هذه المعاني من وصف غير المؤمنين في السياق القرآني إلى وصف الاستعمار بالعتو و النفور و الاستكبار في الأرض و قوله:« أربع سنوات تمر على سقوط أربعين ألف من أبناء الجزائر الأبرياء و ذهابهم ضحية الاستعمار الغاشم الذي يتحين الفرص و يرقب السوانح لصب سوط عذابه كرة أخرى على هذه الأمة» .(5)

فيه اقتباس من قوله عزوجل:« و فرعون ذي الأوتاد، الذين طغوا في البلاد ، فأكثروا فيها الفساد، فصب عليهم ربك سوط عذاب» (6)و من مقالته الثانية بتاريخ1951 قوله:« و هل كان مآل مؤامرة الاستعمار الهولاندي بأندونيسيا إلا أن يخرج منها مذموما مدحورا؟».(7)

(*) شاعر أموي مجيد من الشعراء الشجعان ، توفي سنة 78هـ .ينظر (المنجد في الأعلام.ص 446).

(1)بن عمر ، باعزيز، « ذكرى ثامن ماي»،جريدة البصائر، ع 79،1949. ص 1.

(2)سورة يونس. الآية101.

(3)سورة الملك . الآية 21.

(4)سورة فاطر. الآيتان 42، 43.

(5)بن عمر، باعزيز،« ذكرى ثامن ماي» ،جريدةالبصائر، ع 79،1949. ص 1.

(6)سورة الفجر . الآيات 10، 11، 12، 13.

(7)بن عمر، باعزيز،« ذكرى ثامن ماي» ، جريدةالبصائر ،ع 155،1951،ص 1.

يتضح فيه اقتباس من قوله تعالى: «قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين ».(1)ويبدوجمال هذا الاقتباس في أنه يستوحي مشهد إخراج إبليس من الجنة، لوصف مشهد خروج الاستعمار الهولاندي من أندونيسيا في حالة من الذلة و الهوان، و قوله:

«في هذا اليوم تحركت القوة الاستعمارية العمياء في مقاطعة قسنطينة، فكانت لا تأتي على شيء في طريقها إلا جعلته كالرميم». (2) يقتبس فيه من قوله تعالى:« و في عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم» .(3)و كأن القوة الاستعمارية، تلك الريح المهلكة التي أرسلها الله على قوم عاد أتت على الجزائريين فجعلتهم هشيما مفتتا.و قـــول الكاتـــب:

« و لله تلك القرى التي كانت آمنة مطمئنة ، فجاءتها هذه القوة العمياء، فداستها في طريقها ،وسامت أهلها سوء العذاب، فجعلتها حصيدا كأن لم تغن بالأمس». (4)

وقوله أيضا:« في هذا اليوم عرض الاستعمار بهذه القطعة من الجزائر ، قوته و جبروته، فذبح الأبناء و لم يستحي النساء»، (5) في هذين المثالين يقتبس الكاتب عبارتين(و سامت أهلها سوء العذاب)،(فذبح الأبناء، و لم يستحي النساء) وردتا في سياق واحد من القرآن بينما يوظفهما الكاتب في موضعين مختلفين من مقالته ، و يبدو هذا الاقتباس من خلال قوله تعالى:« و إذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب، يذبحون أبناءكم و يستحيون نساءكم و في ذلكم بلاء من ربكم عظيم».(6)و جمال هذا الاقتباس أن الكاتب أضاف إليه من عنده حيث أن آل فرعون كانوا يذبحون أبناء بني إسرائيل ويستحيون نساءهم ، لكن الاستعمار كان أشد فتكا من الفراعنة حيث أباد الجميع أبناء و نساء. و أما العبارة (فجعلتها حصيدا كأن لم تغن بالأمس)، فهي مقتبسة من قوله تـــعالى:«حتى إذا أخذت الأرض زخرفها و ازّيّنت و ظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالأمس».(7) فالكاتب استعار هذا المثل القرآني في وصف الحياة الدنيا، لوصف تلك القرى الآمنة العامرة بأهلها فإذا هي كالحصيد، و تجدر الإشارة والتذكير هنا إلى أن الإبراهيمي قد سبق بن عمر إلى استعمال لفظ (الحصيد) في هذا المقام.

---

(1)سورة الأعراف. الآية 18.

(2)بن عمر، باعزيز،« ذكرى ثامن ماي » ،جريدة البصائر، ع 1951،155. ص 1.

(3) سورة الذاريات .الآية 42.

(4) بن عمر، باعزيز،« ذكرى ثامن ماي » ،جريدة البصائر، ع155،1951. ص 1.

(5)المصدر نفسه.المكان نفسه.

(6)سورة البقرة. الآية 49.

(7)سورة يونس. الآية 24.

وأما محمود بوزوزو فهو واحد من الكتاب الذين انتسبوا إلى جريدة البصائر قبل أن ينشئ جريدة المنار، و هو الآخر لا يحيد عن نهج سابقيه في الاقتباس لكن دائرة الاقتباس لديه أوسع،فهو يأخذ من القرآن الكريم والحديث الشريف ومن التراث كالشعر والأمثال ومن مواضع الاقتباس لديه قوله:

« أقدم الغرب على الفتنة يوقظها، و على النار يوقدها» .(1)هذا القول مستوحى من الحديث الشريف: «لفتنة نائمة لعن الله من أيقظها».(2)

وجمال هذا الاقتباس أن الكاتب أخذ اللفظ (أيقظها)من قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- و حوله إلى المضارع (يوقظها)، وأضاف إليه فاصلة متجانسة معه جناسا ناقصا (يوقدها) ، فنتج عنهما سجع جميل ،وإلى جانب اقتباس اللفظ فإن الكاتب اقتبس معنى الحديث أيضا، فالغرب يستحق اللعن لإيقاظه الفتن و إيقاده نار الحرب.وقول الكاتب:« فهل يلدغ المؤمن من جحر مرتين؟.» (3)

مقتبس من قوله- صلى الله عليه وسلم-: « لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين». (4)

و سر جمال هذا الاقتباس أنه نقل الأسلوب من الخبر إلى الإنشاء أي الاستفهام في حين يبقى الغرض الأدبي واحدا وهو النفي.وفي قول الكاتب يصف الغرب المحموم:« و عاودته الحمى طالبة بحرا جديدا فلم يسعه إلا أن يستجيب لها ويعالجها بدوائها، ولكل داء دواء» .(5)وظف الكاتب القول المعروف (لكل داء دواء)،والذي ورد على لسان أكثر من شاعر فقد ثبت عن أبي العتاهية قوله:

لكل داء دواء عند عالمه من لم يكن عالما لم يدر ما الداء (6)

و إلى جانب الاقتباس فإن الكاتب ضمن مقالته قولا آخر متداولا على الألسنة وهو:« عصفور في اليد خير من عشرة في الغد». (7)

و في مقالة بوزوزو الأخيرة عام1953أمثلةكثيرة من الاقتباس منها قوله يصف يوم ثامن ماي:

« يوم تراءت فيه للأمة الجزائرية من مطامحها قطوف دانية».(8)

---

(1)بوزوزو، محمود، « 8 ماي»،جريدةالمنار، ع 3، 1952.ص 4.

(2)المناوي، عبد الرؤوف: فيض القدير، الجزء الرابع،الطبعة 1، المكتبة التجارية الكبرى،مصر، 1356 هـ. ص 461.

(3)بوزوزو، محمود،« 8ماي»،جريدة المنار ،ع 3،1952. ص 4.

(4)البخاري: صحيح البخاري، الجزء الخامس، كتاب الأدب، ط 3، دار ابن كثير،بيروت ،لبنان، 1407هـ/ 1987م. ص 2271.

(5)بوزوزو، محمود،« 8 ماي»،جريدة المنار، ع 3،1952 .ص 1.

(6)أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم: الديوان، دار بيروت للطباعة و النشر،بيروت،لبنان، 1400هـ- 1980م. ص 11.

(7)بوزوزو، محمود،« 8ماي»،جريدة المنار، ع 3، 1952. ص 4.

(8) بوزوزو، محمود،« 8ماي»،جريدة المنار، ع42 ،1953.ص1.

إن هذا الوصف فيه اقتباس من قوله تعالى في وصف الجنة:« فهو في عيشة راضية ، في جنة عالية، قطوفها دانية» .(1)

ويبدو حسن تأتي الكاتب هنا في أنه اقتبس (القطوف الدانية)من السياق القرآني ليشبه بها مطامح الأمة الجزائرية في الاستقلال ، و قول الكاتب:« و الظلم ليس له قرار، و العدل الإلهي بالمرصاد» .(2) يقتبس فيه من قوله تعالى في آل فرعون:« فصب عليهم ربك سوط عذاب، إن ربك لبالمرصاد». (3) فقد نقل الكاتب المعنى القرآني وهو أن الله يرصد أعمال العباد ليجازيهم عليها، كما أنه يرصد ظلم المستعمرين و سيجازيهم عليه .و أما قوله مخاطبا الشعب الجزائري« خذ بالأسباب ،و ائت البيوت من الأبواب». (4)فهو مقتبس من قوله تعالى: « و ليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها و لكن البر من اتقى و أتوا البيوت من أبوابها و اتقوا الله لعلكم تفلحون». (5)

وقد أحدث هذا الاقتباس سجعا جميلا في آخر العبارتين نتج عن الفاصلتين (الأبواب والأسباب) وقوله أيضا يخاطب الشعب الجزائري:«و اذكر: «إن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيرواما بأنفسهم» ولن تجد لسنة الله تبديلا».(6)فيه تضمين لنص قرآني مأخوذ من قوله تعالى:«إن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم،و إذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له وما لهم من دونه من وال».(7)

كما اقتبس أيضا العبارة(و لن تجد لسنة الله تبديلا)دون تغيير في اللفظ القرآني من الآية: « سنة الله في الذين خلوا من قبل و لن تجد لسنة الله تبديلا». (8)

والكاتب لا يكتفي بتضمين كتاباته من القرآن الكريم والحديث الشريف فحسب ،بل هو ينهل من معين آخر من التراث، وهو الأمثال فقد ضمن الكاتب مقالته مثلا بنصه « إنك لا تجني من الشوك العنب»(9)، وذلك في حديثه عن الأمة الجزائرية: « و لم تكن تتوقع أن سيرها إلى النعيم ينتهي

---

(1)سورة الحاقة. الآيات 21، 22، 23.

(2)بوزوزو، محمود،« 8ماي» ، جريدةالمنار، ع 42،1953. ص 4.

(3)سورة الفجر. الآيتان 13، 14.

(4) بوزوزو، محمود،« 8ماي» ، جريدةالمنار، ع 42،1953.ص 4.

(5)سورة البقرة. الآية 189.

(6) بوزوزو، محمود،« 8ماي» ، جريدةالمنار، ع 42،1953. ص 4.

(7)سورة الرعد. الآية 11.

(8)سورة الأحزاب.الآية 62.

(9)الميداني، أبو الفضل: مجمع الأمثال، الجزء الأول .ص52.

إلى الجحيم و أن يوم المغنم، أشأم من يوم المغرم، تجني فيه الشوك بدل الحب ، و تصحح المثل « إنك لا تجني من الشوك العنب» ». (1)

و جمال هذا التضمن يبدو في أن الكاتب استعار المثل من مورده إلى مضربه بعد أن مهد لذلك تمهيدا حسنا ، ذلك أن الخير لا يطلب من غير أهله ، كما أن الجزائر لا ترتجي من فرنسا الاستعمارية أن تهبها الحرية مجانا.

(1)بوزوزو، محمود،« 8ماي »، جريدةالمنار، ع 42،1953. ص 1.

البـــــاب الثانـــــــي:

8مـــاي 1945 في الشـــعـــر الجـــــزائري المعاصر.

الفـــصـــــــل الأول:

مـــــضامـــيـــن قـــصـــائد8 مـــــــاي 1945.

الفصـــــــــــل الـــثاني:

الـــتـــشكيل الـــفني في قصائد 8 مـــاي 1945.

الفصـــــل الثالـــــث:

الصـــــــورة والموســـــــــيقى .

الـــفـــــصـــل الأول:

مـــــضامـــيـــن قـــصائد8 مـــــاي 1945.

1 -وصـــــف الدمـــــاء و الدمـــــــوع.

2ـــ اســـتـــــباحة الحـــرمات.

3ـــ عـــهـــود استـــعمارية مـــنكوثـــــة .

4ـــ الدعـــوة إلى الـــــثورة و النـــــضال .

5ـــ تمـــــجيـــد ماي و الإشادة بالشـــهداء.

1-وصـــف الدمـــاء و الدمـــوع:

إن جل الشعراء والأدباء يجمعون، بأن ماي هو شهر الدماء والدموع، فحينما يفتك المستعمرون بالأبرياء، و تسيل دماؤهم البريئة غزيرة تسقي التراب،فإن العيون تعبر عن المشاعر الإنسانية بالبكاء وتنهمر الدموع مطرا غزيرا،إن وصف الدموع ليس بدعا في الشعر الجزائري، بل لقد ورد هذا الوصف في شعر الشابي وإن كانت المآسي التي حدثت في الجزائر أكبر مما حدث في تونس،ففي هذا المعنى يقول أبو القاسم الشابي مخاطبا المستعمر الطاغي:

تـــأمّل هنالك أنّى حصـــــدت رؤوس الورى و زهـــور الأمل

و روّيت بالدم قلب التـــراب و أشربتـــه الدمـــع حتـــى ثمل (1)

لقد كانت أبعاد مجزرة8 ماي قاتمة فعلا ، بل هي حمراء قانية بلون الدماء، إن الرقم المسجل من الضحايا في ظرف قصير رقم كبير جدا، و إن حجم الدماء المهرقة سوف يكون بحجم هذا العدد الضخم من الضحايا، ثم ماذا يملك هذا الشعب الأعزل الذي جرد من كل أسباب القوة و السلاح في اليوم المشؤوم ثم بعده ؟ إلا من سلاح الإيمان بالوطن، فقد سيق الجزائريـــون وحدانا و زرافات إلى حتوفهم، فكان ماي شهر الدماء و العبرات،و البكاء و النحيب، فحيثما قلبت النظر و اجهتك صورة الدماء و الدموع.« و لكن ما لبث الشعر أن انتفض في ذكرى هذا اليوم المشؤوم، و انفجرت الدماء سخينة ، في ذكريات(ماي) السنوية، الذي سمي بعد ذلك بشهر (الدماء و الدموع) ». (2)

إذن فليس هذا البحث بدعا في الحديث عن هذا الموضوع ، بل لقد سبقت الإشارة إلى الدماء والدموع في أبحاث سابقة ، وإن كانت لاترصد الشعر الذي قيل في الموضوع رصدا كليا .ونحن هنا نعمق الفكرة ونترصد القصائد التي وصفت ماي بشهر الدماء والدموع.« إن محمد العيد توجه سنة 1947 إلى عين مليلة ، غير بعيد من باتنة، ليدير و يعلم في(مدرسة العرفان) بها و ليؤم الناس في جامعها الحر. و بينما هو هناك و عند حلول ذكرى ثامن مايو قال قصيدته السينية الوحيدة في هذه المناسبة.» (3) ولعل كلام سعد الله هذا كتب قبل نشر ديوان محمد العيد ذلك لأن للشاعر قصيدة في الموضوع بعنوان(ميلاد التحرير)كتبها بعد الاستقلال،أما قصيدته السينية فيقول في مطلعها:

---

(1)الشابي، أبو القاسم: أغاني الحياة. ص 220.

(2)خرفي، صالح: الشعر الجزائري. ص 212.

(3)سعد الله ، أبو القاسم: محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث. ص 46.

أ أكتم وجدي أو أهدئ إحساسي و (ثامن مـــاي) جرحـــه ما له آســـي

و أرقب ممن أحدثـــوه ضمـــاده و هـــم في جماح لم يميلـــــوا لإســـلاس

تمر الليالي و هو يدمي فلـــم نجد له مر هما منهم سوى العنف و البـــــاس

إذا ما رجونـــــا برأه ثــرداقفــا بأحداث سوء وقعها مؤلـــــم قاســـي

فيا لجريـــــح ظل ينكأ جرحـــه ويؤذى بلا ذنب على أعيـــن النـــاس (1)

فهذه القصيدة« إن تكن سجلت أول صدى شعري لهذه الأحداث، فإنها من غير شك دون مستواها الدامي الرهيب، و يبدو أن الشاعر استمدها من إنسانيته و لم يستمدها من وحشية المستعمر...و إذا كان هذا المطلع مطلع استعطاف و استرحام، فإنه يبرره الخطب الفادح عند (محمد العيد)». (2)

إن جرح ماي لا يتوقف عن الإدماء ، و ما كان من المستعمر من دواء إلا المبالـــغة في العنـــف و الاضطهاد دون رحمة، و هذا ديدن الطغاة الذين يصفهم الشابي بقوله:

سخـــرت بأنات شعب ضعيف و كـــفك مخـــــضوبـــة من دمـــاه (3)

«والربيع بوشامه يتملكه الجزع كلما لاحت الذكرى بملامحها الأصلية مرعبة مزعجة صاخبة ناحبة، إنه يتطلع إلى مواقف تغير هذه الملامح، و تكفكف تلك الدموع، وتضمد تلك الجراح.» (4) فهاهو يصرخ في وجه ماي، و هو إنما يلطم وجه المستعمر في قصيدة عنوانها (عجبا لوجهك كيف عاد لحاله...) نشرها عام 1949بلغ عدد أبياتها واحدا وخمسين بيتا في نفس العدد من البصائر الذي نشرت فيه المقالة الأولى لباعزيز بن عمر (ذكرى ثامن ماي).

قبحت من شهر مدى الأعوام يا ماي كم فجـعت مـــــن أقوام

شابت لهولك في الجزائر صبية و انماع صخـــر مـــن أذاك الطـــامي

و تفطرت أكباد كل رحيمـــــة في الكـــون حتى مـــهجـــة الأيـــــام

تاريخك المشؤوم سطر من دم و مـــدامع فـــي صـــفـــحـــة الآلام (5)

فالشاعر يفتتح القصيدة بالدعاء على المستعمر الذي جعل هذا الشهر على الجزائريين جحيما

---

(1)خليفة، محمد العيد محمد علي: الديوان .ص325.

(2)خرفي، صالح :الشعر الجزائري. ص ص 212، 213.

(3)الشابي، أبو القاسم: أغاني الحياة. ص 220.

(4)خرفي، صالح: الشعر الجزائري. ص 215.

(5) بوشامة، الربيع :الديوان،جمعه و قدم له الدكتور جمال قنان، منشورات المتحف الوطني للمجاهد،الجزائر، 1994م.ص 58.

وشقاءو لم يكن أمام شعراء الجزائر في هذه الفترة غير الدعاء على الاستعمار أمام عجزهم وضعف حالهم.إن هذا الشهر صار موضع اهتمام من هول ماحدث فيه من مجازر وسفك لدماء الأبرياء ، فهو يذكر الجزائريين بالفجائع والمآسي كلما استجدت الذكرى:

فمثلت مكروها و لست بمذنب و رماك مـــوتور بـــسهـــم حام
إذ ظن أنـــك فاتك شرب الدما علالا من الإخـــوان و الأعمام

.....

أصبحت رمز الفاجعات بذا الحمى تبدو بهيما مفزع الإظـــلام
و تروح ذكرى السوء تحمل قرحة مهما تعد تـــشرق بجـــرح دام

.....

هذا حرامك بالدماء مشـــــود قد عج بالأرواح و الأجســـــام (1)

والربيع بوشامة يكثر من ذكر الدماء و الدموع، فقد كان من الأدباء الذين اعتقلوا بعد الحوادث و لم يطلق سراحه إلا في فيفري عام 1946، و يعد الشاعر عضوا نشيطا في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و عاملا فعالا في الحركة الإصلاحية و التعليمية، ثم شارك في حرب التحرير، ليعاد اعتقاله وتعذيبه ثم اغتياله عام 1959 ليلقى ربه شهيدا. وللشاعر قصيدة أخرى بعنوان(سر على الدمع والدماء الغوالي)بلغ عدد أبياتها خمسة وستين بيـــــتا(مهداة إلى صدى النفوس المطلولة، و القلوب المسلولة) أرواح الشهداء في 8 ماي،يستهلها بهذه الصورة:

سر على الدمع و الدماء الغوالي يا شهيدا في ذمة المتعالـــــي
و امتط النور للسمـــاوات تحذو ك أغاني الرضا و روح الجلال

.....

و اترك الجسم للحديد و النيران نـــهبا مبعثر الأوصـــــال
تبتغيه الكلاب والوحش قوتا في بـــيـــوت و أنهج و جبـــال
لا تشيعه بالدموع و لا تشفق عـــليـــه من شقـــوة و نكال (2)

إن الشاعر يسمو بمكانة الشهيد ، و يرتفع بروحه ممتطيا النور إلى السماء، و لا شأن له بالجسم الذي غادرته روحه، فبقي فريسة تنهشه الكلاب و الوحوش.

---

(1)بوشامة، الربيع: المصدر السابق. ص 59.

(2)المصدر نفسه.ص 50.

إن الشهيد حين يتوارى و كأنه الشهاب الذي ، سينير درب الحرية، و ليس من شأن العداة إلا الاستهانة و الهزء و هم ينفذون الجريمة:

مهدر الدم و الحياة تواريت شـــهابا في الصخر و الأدغال

وتسارعت للأفول خلاصا مـــن وجود منافق محتـــــــال

.....

واستهانوا بقلبك الغض جهلا فأراقـــوا دمـــاءه كالغوالـــي

واستطالوا حمقا على ضعفك الأعـــزل بالنار والظبي والرجـــال

وابتغوكم للذبح- صبرا- على مر أى وسمـــع من صـــبية و أهال (1)

فإن أريقت دماء الشهداء أثناء حملات القتل الجماعي التي قادها المعمرون، فإن قلوب الجزائريين كلمى تدمى حزنا متواصلا.

إن تعاجل في زهرة العمر بالقتل فـــقدمت مـــوتـــة الأبـــطـــال

و تركت القلوب مجروحة أنكى جروح تدمي طـــوال اللـــيـــالي

آه للضعفاء من دماء عجـــز ساقـــهم للـــردى علـــى إذلال

.....

و البكاء المفجوع يصلى حشاهم من ضعاف في الشكل و الأهـــوال

إن دما حرا يهان اعتـــــداء لجديـــــر بالعـــز و الإجـــلال (2)

والذكرى للتذكر،و الجرح المروع لا يمكن أن يطويه الزمان، و الدماء الزكيةو الدموع و كأنها اللآلئ:

لن تميت الأقدار يومكمـــــو بين عويل النساء و الأطفـــال

كيف يطوي الزمان أروع ذكرى من دماء و أدمع كاللآلـــئ

و اعتداء نكر على حرمـــات و دماء زكية السيـــــــــــال(3)

وفي قصيدة ثالثة له بعنوان (برغمك ماي)، يتحدى الربيع بوشامة، شهرماي و هو في ذلك إنما يتحدى الاستعمار-تماما مثلما فعل في قصيدته السابقة حين دعا على ماي وهو إنما يدعو على الاستعمار- و يحلم بتحقيق الأماني، و قطف الثمار الجنية، بالرغم من شهر الشؤم و الشر

---

(1)بوشامة، الربيع: المصدر السابق. ص ص50، 51.

(2)المصدر نفسه. ص 51.

(3)المصدر نفسه. ص ص 51 ،52.

الذي أسال الدماء و حال بين الشاعر و أمانيه:

برغمـــك ماي أذوق الهنا و أسعد فيك بطيب المنـــى

و أهصر غصني بكلتا يدي و أقطـــف منه ألذ الجنى

.....

متى كان في (ماي) همة خير أما إنـــه رمـــز مكـــر الدنى

أسال دماء و أرهق شعبـــــا و حـــاول تحطيم كل منـــى (1)

أما الشاعر عبد الكريم العقون فهو ينتفض في الذكرى السادسة لحوادث 8ماي أي في عام(1951)، في قصيدة نشرتها جريدة البصائر، بعنوان (الكون ضاق بكل حكم جائر) ،هذا مطلعها:

ذكرى على مر الزمان تكـــرر لمجاهديـــن جهادهم لا ينكـــر

ضحوا بأنفسهم لشعب مسلم و النفس أنجع للفداء و أجدر

.....

كتبوا صحائفهم بحبر من دم نعم الدماء بها الشعوب تطـــهـــر

الكون ضاق بكل حكـــم جائر فاختار شرعة أحمد هي تـــنشـــر

والكون قد لبى نداكم مسرعـــا فغدا يضمد جرحكم و يكبـــر(2)

إن الشاعر يهجم على موضوعه فيتحدث عن الذكرى، دون تصريح باليوم ، كما جاء ذلك عند الربيـــع بوشامة و محمد العيـــد ، لأن الذكرى أشهر من أن تعرف ، فهو يقرر و يثبت بأن ضحايا ماي مجاهدون ضحوا بأنفسهم، وخلدوا أسماءهم في سجل الفداء، لتطهير الشعب الجزائري من رجس الاستعمار و بالتالي فإن الشعب بل الكون اقتفى أثرهم في التضحية ، حين ضاق بالظلم و الجور.

أما الشاعر أبو بكر مصطفى بن رحمون ،فله قصيدة في الذكرى السابعةعام (1952)، نشرت منها جريدة المنار سبعة و عشرين بيتا ، لكنها وردت كاملة في الديوان في ثلاثة و خمسين بيتا يستهل الشاعر القصيدة قائلا:

دوت كقصف الرعـــد في الآذان و تفجرت في الشرق كالبركان (*)

منها الجزائر لا تسل عن وقعـــها عما تكابد من أســـى و تـــعاني

---

(1)بوشامة ، الربيع :المصدر السابق .ص150.

(2)العقون، عبد الكريم ، «الكون ضاق بكل حكم جائر ...»، جريدة البصائر ، ع155، 1951.ص7.

(*) ورد هذا البيت في جريدة المنار،السنة الثانية ، ع4،الجمعة27شعبان1371هـ/23ماي1952م.ص3. كالتالي:

محن دوت كالرعد في الآذان و تفجرت في الشرق كالبركان.

في مشهد فيه الرصاص مع الدما كل يسح بوابـــل هـــتـــــــان

فلرب أرملة و رب يتيمـــــة تهمي جفونهـــما بدمـــع قـــان

فهـــنا دم ملء السهول وهاهنا دمع يسيل عليـــه كالعقيـــــان

.....

يا أيها الحكم الفخور ببغيهـــم أكذا مؤاســـاة الجـــريح العانـــي

جئتم لإسعاف الجريح، فلم يجد منكم سوى الـــتهديـــد و الخذلان (1)

فإن كان عبد الكريم العقون قد أشار إلى ماي بلفظ (ذكرى)دون ذكر اسم الشهر، فإن ابن رحمون يشرع مباشرة في وصفها فهي مدوية كقصف الرعد، متفجرة كالبركان، فقد امتزجت الدماء بالرصاص و كأنها الوابل الغزير، كما امتزجت الدماء بالدموع، و إذا كانت الدموع لدى بوشامة وكأنها اللآلئ فإنها لدى ابن رحمون كالعقيان(الذهب الخالص)، و إذا كان المستعمر قد ضمد الجراح بالعنف و البأس في سينية محمد العيد فإن الجريح لم يسعف في نونية ابن رحمون إلا بالتهديد والخذلان.

وفي الذكرى الثامنة للمجزرة نشرت جريدة المنار أيضا قصيدة عنوانها « كيف السلوّ؟،لكن دون ذكر اسم قائلها أوحتى الكناية عنه أو الإشارة إليه بلفظ مستعار كما عهدناه لدى بعض الشعراء الذين كانوا ينشرون كتاباتهم بأسماء مستعارة، و لعل هذا يؤكد على أن الشاعر الجزائري لا يزال متكتما،لا يجهر بذكر اسمه في مثل هذه المواقف الوطنية المنددة بالاستعمار،خوفا من بطش المستعمر وطلبا للسلامة (ما لم يكن الاسم قد وقع أثناء الطبع)،ومما ورد في مطلع القصيدة قول الشاعر:

هاجت شجوني و ساد الدمع و الأرق بمقلة ظل يذكي حـــرها القلق

يا ثامن اليوم من ماي أعدت لنا ذكرى مروعة دمعي بها غـــدق

تا الله قد كنت مثل الريح عاصفة أومثل صاعقة في صـــوتها صـــلق

كيف السلوّ و قد باتت تروعـــني مأساة ماي فيبكي القلب و الحدق(2)

إن ذكرى ماي المروعة تهيج شجون الشاعر فيصيبه الأرق و يجهش بالبكاء ، و إن كانت الحدثة في دويها و كأنها الرعد أو البركان في قصيدة ابن رحمون، فهي كالريح العاصفة،أو الصاعقة ذات الصوت الشديد المروّع، التي حالت بين الشاعر و بين السلو و النسيان.

---

(1)ابن رحمون، أبو بكر مصطفى : الديوان، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر، 1980م. ص ص 143، 144.

(2) « كيف السلوّ؟»، جريدة المنار، عدد 42، 1953.ص3.

وماذا عن شعرائنا الذين كتبوا باللغة الفرنسية و كانت غربتهم فيها أشد مضاضة على أنفسهم و إن اعتبر البعض هذه اللغة من غنائم الاستعمار .

إن مالك حداد يعترف باغترابه في لغة المستعمر، فهو صاحب مقولة (الفرنسية منفاي) (1) والشاعر يحمل الاستعمار المسؤولية ،لأنه طالما حارب اللغة العربية وسعى إلى ترسيم اللغة الفرنسية في الإدارة والتعليم والكتابة ، ومع ذلك فالشاعر يستطيع أن يتغنى باسم الجزائر ، ويعبر عن ولائه لها بجميع لغات العالم ، وفي هذا الشأن يقول مالك حداد :

إني أغني باللغة الفرنسية. يا صديقي الشاعر، إذا ما استهجنت لهجتي عليك أن تحاول فهمي:

لقد أراد الاستعمار أن تكون لدي عاهة لغوية...

سوف تقول في فم " مالك" دوما كلمات باللغة الفرنسية. هذا غير مهم ، لأنه يمكن لكلمة " الجزائر " أن تنطق باللغة الصينية.

نعم أيا " آراغون" هذه دراما اللغة.

لو كنت أتقن الغناء لغنيت باللغة العربية...(2)

إن لمالك حداد قصيدة من ديوانه (الشقاء في خطر)الذي ترجمه (يخلف عبد السلام)عام 2005 عنوانها (في يوم هو الثامن من مايو) يذكر فيها أنه لمح عـــيـــون أصدقائه و هي تـــقذف بالغضب و تذرف الدموع:

لأصدقائي عيون رأيتها غاضبة

لأصدقائي عيون لمحتها دامعة

أصدقائي الذين يخيطون العلم الوطني. (3)

العلم الوطني ، إنه العلم الذي رفعه المناضل الشهيد سعال بوزيد يوم المجزرة في مدينة سطيف كما حملته جموع المتظاهرين يوم 8ماي في مناطق أخرى من الوطن فارتبكت الشرطة الفرنسية، وكان رد فعلها عنيفا ، بل وحشيا وهمجيا، وقادت حملة قتل إبادية جماعية يدعمها ويذكي نارها المعمرون الأوروبيون . و فـــي جريدة المجـــاهد وردت قصيدة للشاعر (عيسى حمـــو النوري) بعنـــــوان (الجزائر و حوادث8 مـــاي 45) و وقد صحب القـــصـــيدة هذا التـــعليق:

---

(1)بوزواوي، محمد: قاموس الأدباء و العلماء المعاصرين، دار مدني للطباعة و النشر و التوزيع ،الجزائر،2003م. ص 108.

(2)حداد، مالك:الشقاء في خطر «شعر» ، ترجمة عبد السلام يخلف، الطبعة 1، منشورات الاختلاف ،الجزائر،2005. ص ص 16، 17.(نشر مالك حداد أول مجموعة شعرية له عام 1956 بالفرنسية: Le malheur en danger).

(3) المصدر نفسه .ص 40.

« هذه القصيدة التي تلقيناها من الشاعر الجزائري عيسى حمو النوري، تعتبر بحق وثيقة تاريخية من شاهد عيان، عاش حوادث ماي الدامية، و انفعل بها و عبر عنها و استوحاها في حينها...»(1) يقول الشاعر:

نكباتي أطلقت منّي اللسانا و محت من صفحة القلب الحنانا

تركتني بين أحضان الردى أسخط العالم طرا و الــزمانــا

.....

كيف تصفو لي حياة بعد ما نصب الخصم لي الحرب الــعوانا

قد سبى أرضي و قلبي و دمي ثم ماذا بعد مــا حز اللــسانا

.....

هذه دمعتي الحرى علـــى حاضري تسكب جمرا و أمــانــا(2)

إن وقع النكبة شديد على ذات الشاعر مما جعله يسخط على العالم و يلطم الزمان و يسكب الدموع بعدما استباح الخصم أرضه و قلبه و دماءه و جاهر بالحرب العوان.

و بعد هذا هل توقفت قصيدة ماي . أم تواصل الإبداع الشعري في هذا الموضوع بعد الاستقلال؟ إن موضوع أحداث ماي شائك ومعقد ،ومازال الجزم بإبرازوثائقه الأدبية والتاريخية غير كامل ،ومع أننا حاولنا قدر المستطاع جمع كل ماوصلت إليه أيدينا من مقالات وقصائد إلا أنه لايمكننا أن نجزم بأننا قد وصلنا لجمع كل ماقيل ،فالدارسون قبلنا أشاروا إلا أن الشعر قد صمت بعد الأحداث ، ومع ذلك فقد وجدنا هذا الكم من الكتابات الأدبية وقد يأتي بعدنا من يزيد على هذا ،وإذا كانت دراستنا للموضوع منهجيا تقف عند نهاية الاستقلال في الجزائر ،فإن حبل الإبداع الشعري مايزال متواصلا ، ولقد صار ماي رمز الإلهام الشعري لدى الشعراء بعد الاستقلال .

فكيف أصبحت طلعة هذا الشهر الأغر؟ أما زالت دماء الضحايا تمتزج بدماء أهليهم ؟

إن المتأمل في قصائد ما بعد الاستقلال يدرك أن الدماء لاتزال تطبع شهرماي في جل هذه القصائد وكيف تنسى الضريبة ضريبة الدماء؟ و قد كانت ثقيلة جدا، لكن الدموع قد كفكفت، فأصبح منظر الدماء يرتبط بالعيد و الصباح الجديد في جل القصائد . و ها هو ذا محمد الأخضر السائحي تستوقفه الذكرى عام 1965م، و قد امتزجت دماء ماي بدماء نوفمبر ، و إذا بوجه ماي،وقد ذهب عنه

---

(1) جريدة المجاهد ، ع 716، 13ربيع الثاني 1394هـ/5ماي 1974.ص40.

(2)النوري، عيسى حمو،« الجزائر و حوادث 8 ماي45»، جريدة المجاهد، العدد نفسه.المكان نفسه.

العبوس و الشؤم و عاد باسما مستبشرا في ذكراه العشرين:

أي شعر و أي لحن تعيــد أيهــا الشاعــر اتئد ما تريــد؟

هو أسمى من القريض بيانا ما القوا في يا صاحبي ؟ ما النــشيد؟

وجهه في تقطيبه بسمـــات رائعـــات وصمـــتـــــه تـــغريـــد

و الدم الطاهر المراق عليه لامع في جبـــينـــه وهو عـــيـــــد (1)

ذلك ما جاء في قصيدة السائحي (الكبير)، أما محمد الأخضر عبد القادر السائحي(الصغير) فما تزال ذكرى الدماء لديه مضمخة بالدموع على الرغم من أن الشاعر نظم قصيدته في أحداث ماي بعنوان (ذكريات ماي) ، وهي مؤرخة في 1968/5/7،كماورد في ديوانه(الكهوف المضيئة)،لكن الناظر في القصيدة يكاد يصنفها ضمن قصائد ماقبل الاستقلال بالنظر إلى مضمونها ،فهو يقول:

ذكريات الأسى

تذيب فؤادي

بنشيد مبرح التنهاد

كلما عاد ماي

شهر العوادي

ذكر الناس يوم حزن بلادي

.....

ماتت الفرحة الوليد

وعادت أدمعا

بل دما يغشى الجزائر. (2)

فقد ماتت الفرحة بيوم النصر و يوم السلام في مهدها و لّما يعش الجزائريون نشوتها فصارت دموعا ودماء.

أما شاعر الثورة مفدي زكريا فإنه خص الذكرى بقصيدتين في إلياذة الجزائر، و إنه لمن الغريب ألا يؤثر عن الشاعر شعر يصف المجزرة في حينها أو حتى في ذكراها المتجددة أيام الاحتلال ،ذلك ما لم

---

(1) السائحي، محمد الأخضر: همسات و صرخات،الطبعة الأولى، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر، 1981م . ص 81.

(2) السائحي، محمد الأخضر عبد القادر: الكهوف المضيئة، الطبعة الثانية، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر ، 1983م . ص ص 77، 78.

أجده –في حدود بحثي- في دواوينه المطبوعة لكنه يخلد الذكرى في قصيدتين له في الإلياذة ، ومما ورد في القصيدة الأولى قوله :

و لم ننس في أربعين و خمس ضحايا المذابح في يـــــوم نحـــس

طربنا مع الحلفاء اغتـــــرارا و قمنا نصفـــق في غـــير عـــــرس

.....

و علمنا « أشياري » الثنايا فبدد لون الدما كـــل لبـــس (1)

فالدماء المهرقة أظهرت حقيقة المستعمرين من خلال أعمال جلاديهم ، وعلى رأسهم (لستراد كاربونيل)طاغية قسنطينة ، و(آشياري)جلاد قالمة، فالعرس الذي أقامه الحلفاءيوم 8ماي ، ليس بعرس الجزائريين ، وهم غير مدعوين إلى الاحتفال و الفرح.

لكن دماء الشهداء في أحداث ماي 1945 امتزجت بدماء شهداء نوفمبر 1954 ،فسقت زهرة الحرية التي تفتحت أكمامها في الصباح الجديد ، صباح الاستقلال

و يا زهـــرة زرعتها دمانا و فتحنهـــا بالصباح الجديد

ألا ضمخى مهجات الضحايا بخراطة المجد ربض الأســـود (2)

و الشاعر محمد بن رقطان شاعر جزائري « نشأ و ترعرع بين أحضان ثورة نوفمبر الخالدة، فظل ينتقل مع والديه المطاردين من قبل الاستعمار الفرنسي، خلال حرب التحرير الكبرى- عبر- جبال هوارة - (قالمة) و في هذه الفترة ذاق أنواعا من البؤس و التشرد و الحرمان ، فكانت طفولته البائسة صورة صادقة لطفولة أجيال من أبناء هذا الشعب الصامد الأبي» (3)، وعلى الرغم من أن بن رقطان ولد بعد أحداث ماي، أي عام (1948)، فقد خلد ذكرى ماي بقصيدة عنوانها (مايو) في ديوانه (الأضواء الخالدة) كما أعاد تخليد الذكرى في ديوانه (زفرات البوح) بقصيدة عنوانها (عار الحضارة)، و قد أجريت معه حوارا ، ومما طرحت عليه من الأسئلة: ما صدى أحداث 8 ماي 1945 لدى شاعر الاستقلال و شاعر الثمانينات و التسعينات؟ و لماذا يكتب فيها؟

فكان من رده :« إن الشاعر ينظر إلى الحدث من خلال رؤاه الفنية و محصوله الفكري، و رؤيته الكونية ، فهو يربط الحدث بالصورة الكونية، إن فرنسا رفعت الشعارات و صدرتها ،وأنا أرى

---

(1) الشيخ، مفدي زكريا: الإلياذة ، المعهد التربوي الوطني ،الجزائر،دون تاريخ. ص 50.

(2) المصدر نفسه. ص 51.

(3) بن رقطان، محمد : الأضواء الخالدة « شعر»، الطبعة الأولى ، مطبعة البعث،قسنطينة، الجزائر، 12/ 1400 هـــ- 10/ 1980م . الصفحة الأخيرة من الغلاف.

أن هذه فرية كبرى، إن هذه الأفعال التي ارتكبتها لا تمت بصلة إلى الحضارة، فهي عندنا تدوس تلك الشعارات، و ترتكب المآسي . أنا أجرّم فرنسا و من حق الإنسانية أن تحاكمها . لكل شاعر رؤية خاصة، و المتشبع بالقيم الإسلامية يستلهم التاريخ و يقوم بإسقاط أحداث سياسية على أحداث حاضرة». (1)

فالشاعر إذن يكتب من أجل إدانة فرنسا و تجريمها بارتكابها جرائم في حق الشعب الجزائري وفي حق الإنسانية، ومن العدل أن تحاكم على هذه الجرائم:

فإن تسألواعن بنيهـــــا الغـــلاة و ما خلفوا بعدهم من قـــذاره
فكـــــل الدماء التي سفكوهـــا تدين فرنسا بـــكل جـــــــداره
و مأساة قالمـــة و ســـطيـــف تفـــند ما تـــدعي من طهـــاره (2)

أما الشاعر محمد الشبوكي فهو من الجيل الذي بفترض أنه عايش أحداث 8ماي 1945 ،ومع أنه شاعر مكثر بالقياس إلى غيره من الشعراء الجزائريين ، إلا أننا نستغرب تأخر صدى ماي لديه إلا فترة متاخرة جدا ، إذ لولا مناسبة إحياء الذكرى عام 1985 ،فقد لانجد له مثل هذه المساهمة ، فهو لا يكاد يذكر ماي لولا نوفمبر، ولا يكاد يترنم باسمه لما يحمله من ذكريات مؤلمة تحز في نفس الشاعر و تحمل إليه الحزن:

لولا نوفمبر مارنت بك الكـــلـــم يـــا شهر ماي و لا غنى بك القلم
و لا احتفى بك شعب عاش ملحمة نكراء فيك ادلهمت شرها عمم

.....

يا (مايو) يا أيها الشهر الذي انهمرت فيك الدماء وعمت أرضنا الظلم(3)

هذه أبيات من قصيدة (لو لا نوفمبر) نظمها الشبوكي بمناسبة إقامة ذكرى 8 ماي 1945م بمدينة قالمة بتاريخ _ ماي 1985 م ، بعث الشاعر بهذه القصيدة إلى الأستاذ محمد بن رقطان أمين محافظة جبهة التحرير الوطني و المشرف على المهرجان.

---

(1) من حوار أجريته مع الشاعر(بن رقطان محمد) بمنزله بمدينة قالمة يوم الأحد 28 أوت 2005 م،وهومثبت بالمقابلة في ملاحق هذا البحث .

(2) بن رقطان، محمد: زفرات البوح « شعر» ، منشورات فرع قالمة لاتحاد الكتاب الجزائريين،مطبعة المعارف، عنابة ، الجزائر 2005م .ص 13.

(3) الشبوكي، محمد : الديوان، منشورات المتحف الوطني للمجاهد،الجزائر ، 1995م . ص 93.

2-استباحـــــة الحرمـــات:

منذ أن وطئت أقدام الاستعماريين أرض العرب و ديدنهم الفتك بالعباد و تخريب البلاد،وإن كان العرب في جل البلاد العربية المستعمرة قد كانوا سندا للحلفاء ضد دول المحور، تغريهم الأحلام الكاذبة و الوعود المعسولة، فحين طالبت سوريا باستقلالها ثارت ثائرة الفرنسيين، وزحفت فرنسا

بجيوشها بعد الحرب العالمية الأولى لتفرض الانتداب على البلاد السورية، و حين اصطدامها بالمقاومة انتقمت فرنسا من السوريين، فصبت نيران مدافعها على مدينة دمشق، فقـــتلت العديد من سكانهـــا و حطمت دورها و آثارها عام 1925، فكان الشاعر العربي حاضرا ليسجل الحدث و يصف جبروت المستعمرين و قسوتهم ووحشيتهم، فها هو شوقي يصور فظائع المأساة و الاعتداء على الحرمات ، واستباحة أستار النساء الحسان المصونات، بعد أن دكت المدينة دكا فعم الرعب والدمار:

رباع الخلد ويحك مادها ها أحق أنهـــا درســـت أحـــق؟
و هل غرف الجنان منضّدات؟ وهل لنعيـــمهنّ كأمس نســـق؟
و أين دمى المقاصر من حجال مهتكـــة و أســـتـــار تشـــــق؟
برزن و في نواحي الأيك نار وخلف الأيـــــك أفراخ تـــــزق
إذا رمن السلامة من طريق أتت من دونه للـــمـــوت طـــرق
بليل للقذائـــف و المنايـــــا وراء سمـــائه خـــطف وصـــعـــق
إذا عصف الحديد احمرّ أفـــق على جـــنـــباتـــه و اســـودّ أفـــق
سلي من راع غيدك بعد وهـــن أبـــين فـــؤاده و الـــصخر فـــرق؟
رماك بطيشه ورمى فرنســـا أخو حرب بـــه صلـــف و حمـــق
إذا مـــا جاءه طـــلاب حق يقول: عصابـــة خـــرجوا و شـــقوا
دم الثوار تعرفـــــه فرنســـا و تـــعرف أنـــه نـــور و حـــــق(1)

أما شاعر القطرين خليل مطران، فإنه يرى بأنه إذا ما ارتفع صوت أبناء الشعوب المغلوبة على أمرها ينادي بالحرية و الاستقلال ، يجن الاستعمار و يصب جامةغضبه عليهم، و يمعن في تعذيبهم و التنكيل بهم:

---

(1)شوقي ، أحمد : الشوقيات، الجزء الثاني، دار الكتاب العربي،بيروت،لبنان، دون تاريخ. ص 75.

شردوا أخيارها بحرا و برا واقتلوا أحرارها حرا فحـــرا
إنما الصالـــــح يبقى صالحا آخر الدهر و يبقى الشر شـــرا
كسروا الأقلام ، هل تكسيرها يمنع الأيدي أن تنقش صخـــرا؟
قطعوا الأيدي ، هل تقطيعها يمنع الأعيـــن أن تنظر شـــــزرا؟

أطفئوا الأعين هل إطفاؤهـــا يمنع الأنفاس أن تصعد زفـــــرا؟

أخمدوا الأنفاس ، هـــذا جهدكم و به منجاتنا منكم فشكـــــرا (1)

«ولقد نجح الشاعر محمد العيد في تصوير فظائع العدو من جهة و تصوير ألوان العذاب التي تجرعها الشعب الجزائري من جهة أخرى...فوصف بدقة الديار المحترقة،و الأحباس المكتظة بالمواطنين ولمعتقلات الرهيبة، فكل هذه الصور الفنية تعبر عن إحساس الشاعر المرير وإحساس الشعب الموجع و تبعث في نفوسنا مشاعر الكآبة و الحزن». (2)

فظائع ماي كذبت كل مزعم لهـــم ورمـــــت ما روجـــــوه بإفـــلاس

ديار مـــن السكان تخلـــى نكاية و عسفا و أحيـــــاء تســـاق لأرماس

و شيب و شبان يسامـــون ذلة بأنـــــواع مكـــــر لا تحد بـــمقياس

و أحباس شر أجمعت سجناؤهـــا و معتقلـــــوها أنها شـــــر أحبـــاس

و معتقلات في العـــــراء مبيدة عليها لصوص فـــــي ملابس حراس

وغيد مـــن البيض الحسان أوانس تهـــــان على أيـــــدي أراذل أنكاس

و يسلبن من حلـــي لهـــن مرصع بكـــل كريم مـــن جمـــان و ألمـــاس

و ينكبـــن في عـــرض لهن مطهر مصون الحواشي طيب العرف كالآس (3)

أما الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الذي عرف ناثرا أكثر منه شاعرا، فقد خص الذكرى بالتصوير في مقالة مطولة(درسناها في الباب الأول من هذا البحث)، لكن فظاعة ما حدث جعله يخلد الذكرى بقصيدة نشرها في جريدة البصائر في ماي 1948، صور فيها وحشية المستعمر ، و فتكه بالآلاف من الشيوخ العزل و النساء و الأطفال:

---

(1) نقلا عن :الرمادي ، جمال الدين :خليل مطران شاعر الأقطار العربية ،دار المعارف ، مصر ، دون تاريخ.ص72.

(2)دراز، أنيسة بركات: أدب النضال في الجزائر من 1945 حتى الاستقلال، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1984م .ص 81.

(3)خليفة، محمد العيد محمد علي: الديوان. ص 326.

ربع الحمـــى فيكـــا و الأهـــل في غـــــفلـــــــه

لـــم يعف عافيكـــا طـــفـــــلا و لا طـــفلـــــــه

* * *

لهفـــــــي عـــلى هاو على شـــفـــــا العمـــــــر

قد تلـــــــه غـــــاو فخـــــر للصـــــــدر

* * *

لهفـــي علـــى مرضع قـــــد عفرت أمـــــه

ما خـــــب أو أوضـــع إلا الشـــقـــــا أمـــــه

* * *

الشعـــــــب مستـــه فيـــك اليـــــد العَسرا

أضحـــى فمستـــــــه بالضـــر و العـــُســـرى (1)

ونذكر هنا بأن الإبراهيمي كان من الذين شملهم الاعتقال بعد أحداث ماي، على اعتبار أنه رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين آنذاك،وفي هذا الشأن يقول نائبه (محمد خير الدين)في كتابه (مذكرات): «وفي فجر 9ماي 1945 داهمت الشرطة العسكرية منزل الرئيس الإبراهيمي ، وحملوه إلى السجن العسكري بالعاصمة ، ثم حولوه إلى السجن العسكري بقسنطينة حيث يقيم سجينا كل من عباس فرحات والدكتور سعدان.وفي صباح هذا اليوم داهمت الشرطة المدنية المنزل الذي نقيم فيه أنا والشيخ العربي التبسي وحملونا إلى سجن الحراش بالجزائر العاصمة » .(2)و حين عادت جريدة البصائر الثانية إلى الظهور عام 1947 ، ظل الإبراهيمي مسؤولا عن إدارتها إلى أن توقفت في 1956.

ونجد الإبراهيمي في طليعة كتاب البصائر البارعين، و لعل كتاباته النثرية كانت من أرقى ما نشر في البصائر، لذلك فهو في مقالته حول أحداث ماي كان أكثر شعرية ،و أجمل تصويرا لأحداث 8 ماي 1945، منه في هذه القصيدة.

وكما أن الإبراهيمي كان من المبادرين و المكثرين كتابة حول الأحداث في الذكرى الثالثة، فإن الربيع بوشامة كانت له مع ماي قصة خاصة أيضا. إن هذا الشاعر من أكثر شعراء الجزائر وصفا مجزرة ماي ، وقد كان مقيما بخراطة التي كانت مسرحا من مسارح أحداث 8ماي 1945 فهو يقول في وصف مشهد من مشاهد التقتيل الجماعي في هذه المدينة:

---

(1)الإبراهيمي، محمد البشير : عيون البصائر،ج2. ص ص 367، 368.

(2) خير الدين ، محمد : مذكرات ، الجزء الثاني ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دون تاريخ.ص21.

مـــــايوم «حنوز»وجرح مصابه بمـــحجب أبـــــدا ولا ملتام

.....

ألقوه في الأغلال نضوا صاديا و استيق بين الجند للإعدام

ورموا بـــه و بولده من حالق جزر السباع كجيفة لســـوام

الله فـــي أهل كرام صرعـــوا في لحظة - دركا- بلا إجرام
و تتابـــع الأولاد ثم أبوهـــم يسقون في النيران كأس حمـــام
ذهبوا و أصبحت دارهم مفحومة تبكي رزينهـــا و ذل مقام (1)

ففي هذا المقطع يصف الشاعر مشهدا من مشاهد الإبادة الجماعية التي استهدفت العائلات الجزائرية ، حين أعدم الفرنسيون الشهيد (حنوز محمد) بعد أن مثلوا به ، وقتلوا أبناءه أمام عينيه ،وفي هذه الحادثة يقول (الشاذلي المكي) واحد من قادة حزب الشعب: «كانت الضحاياكثيرا ماينفذ فيهم الإعدام أمام ذويهم وأقاربهم نكالا وتعذيبا ،ولقد صرع أبناء السيد (حنوز محمد واعراب)مساعد طبيب بخراطة ،صرع أبناؤه الأربعة أمامه وهو ينظر ...وعندما جاء دوره طلب منه أن يهتف بحياة فرنسا فأبى ، فقطعت يداه ورجلاه ،ثم أعدم ».(2)

وفي قصيدته اللامية تصوير آخر لمشاهد الإبادة واستباحة الحرمات ،يقول الشاعر:

و اعتدى حقهم به كل طـــاغ مستبـــــد بـــالنفس و الأمـــوال
و رماهم من حالـــــق متنـــاء في جحيم مضاعـــف الأقـــفـــال
أخذوهم بـــاسم الأمان و عاثوا في حماهـــم بالحرق و التـــقتـــال
و استباحوا الأعراض جهد انتقام من نساء و صبيـــــة و رجـــــال
حسرتا حسرتا علـــى والد فد و ولـــــــد مكارم أشبـــــــال
صرعوا كلهم - دراكا- و ألقوا في صخـــــور معلقي الأوصـــال
قدمـــوهم للموت صفوا و خلو هم ضحايـــــا البهتان و الأدغـــال
و البكاء المفجوع يصلى حشاهم من ضعاف ، في الشكل و الأهـــوال (3)

إن الأبيات من القصيدتين تكاد تكوّن صورة واحدة في وصف عملية القتل الجماعي للآباء

---

(1)بوشامة، الربيع: الديوان. ص ص 58،59.

(2)القول للشاذلي المكي،نقلا عن :ابن العقون ،عبد الرحمن بن إبراهيم: الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر. ص 339

(3) بوشامة ،الربيع:الديوان .ص51.

والأبناء معا، و استباحة الأعراض و إخلاء الديار، بل إن بعض الضحايا قتلوا مكبلين رميا من أعالي الجبال أو من الطائرات التي لم تدخر جهدا في قنبلة القرى و المشاتي دون تمييز.«و شهد شاهد من أهلها...(شارل أندري جوليان) المؤرخ الفرنسي المعروف يذكر في كتابه (إفريقيا الشمالية تسير) نقلا عن شاهد عيان آخر من أهلها هو (هـــ.بينازي) قال: " لقد كان القمع ضاريا

لا يرحم...فكل عربي كان هدفا للقتل بسطيف و نواحيها، حيث أعلن القانون العرفي (l'état de siége) ، و في الريف كان الجنود السنغاليون و جـــنود اللـــــفيف الأجنبي ينهبون و يحرقـــون و يغتصبون النساء...و دمرت الطائرات أربعة و أربعين 44 مشتى». (1)

وإذا كان الربيع بوشامة قد صور سوق الجزائريين جماعات إلى الإعدام (واستيق بين الجند للإعدام) فإن هذه الحقيقة يقرها الشاعر ابن رحمون باللفظ نفسه تقريبا حين يقول :

أيجرد الشعب الأمين كبيره و صغيره حتى من القـــضـــبان؟

و يساق للإعدام أعزل آمن أسروه بين الدرب و الدكان (2)

و في قصيدة (كيف السلو؟) يسجل الشاعر استباحة الأموال من قبل و من بعد، أما المنازل فقد خلت من أهلها الدآر ، بعدما استيق ساكنوها إلى الإعدام:

ويح الجزائر قد باتت يروعهـــا قوم لخيراتها من قبل قد سرقوا

كم من منازل في ماي بها خربت و كم أفاضل في ماي بها زهقوا (3)

و للشاعر أحمد الطيب معاش الباتني قصيدة متميزة من حيث أسلوبها و طريقة تناولها لموضوع ماي بلغ عدد أبياتها ثمانية و سبعين ، عنوانها(ذكرى 8 ماي ، بين دلال الألب و جلال الأطلس). «لقد شارك هذا الشاعر في الحركة الإصلاحية و ساهم في النهضة التعليمية و لعب دورا فعالا في تعبئة الشعب للنضال. و قد قال الشاعر هذه القصيدة و هو يعالج في فرنسا و هي مقابلة بين جبال الألب و جبال الأطلس». (4) وصف في مطلعها جبال الألب المتألهات الصاعرات خدها تيها و تجبرا ثم صور استباحة الحرمات في ماي قائلا:

---

(1)رمضان، محمد الصالح،« الحروب الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، هل هي جرائم حربية عادية؟ أم جرائم ضد الإنسانية؟». مجلة لثقافة، العدد 104، السنة 19، سبتمبر/ أكتوبر 1994 م .ص 102.

(2)ابن رحمون، أبو بكر مصطفى : الديوان. ص 143.

(3)« كيف السلو؟» ،جريدة المنار ،ع42 ،1953 .ص3.

(4)درار، أنيسة بركات: أدب النضال في الجزائر من 1945حتى الاستقلال. ص 83.

متألهات في الجمال العاري يعنو لها متألـــه الأدهـــار

.....

من ضل معتمدا و ضلل غيره و أحل محظورا من الفجار

و عتا يهين من العباد ضعيفهم و أتى على الحرمات و الآثار

لا الدين يردعه -و لا دين له- أو خلة من خلقه المنهـــار (1)

« يتحدث الشاعرفي هذه الأبيات عن جبال (فرنسا) و عن جبال (الأطلس) ، قد أرسلت تلك أبناءها إلى هذه يستعمرونها، فلم يأل هؤلاء جهدا يوم ثامن ماي 1945 في محق السكان العـــزل و تحطيم المدن و القرى». (2)

ومالك حداد بدوره يحاول عد الضحايا من أصدقائه الذين سقطوا في أحداث ماي ، لكنه لا يستطيع إحصاءهم وتسميتهم بأسمائهم ، فتتحول أسماء الضحايا إلى أرقام :

أبدأ بحساب أصدقائي واحدا واحدا

مات كل أصدقائي

أكف عن الحساب

و من الناتج الفظيع

و عندما أبلغ اللانهاية

أكف عن الحساب

حيث تتحول الكلمات إلى أرقام (3)

بل إن من الأصدقاء من قتل في سجنه، كما حدث في سجن قالمة حين أعدم المساجـــين انتـــقاما وتنكيلا.

كان يا مكان

هناك

في وطني

---

(1) معاش،أحمد الطيب،« ذكرى 8ماي بين دلال الألب وجلال الأطلس »، جريدة البصائر ، ع230 ، الجمعة 9رمضان1372هـــ/22ماي 1953م.ص5.(وردت القصيدة في ديوان الشاعر :التراويح وأغاني الخيام،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986م.ص ص 53-56.)

(2)الطمار ،محمد:تاريخ الأدب العربي،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر ،1981م.ص363.

(3)حداد ، مالك:الشقاء في خطر. ص 42.

صديق الطفولة

طفـــــل

يرجو بالونا

كانت عيناه كالأرض المدورة

قتلوه في سجنه

دون بالونه

وكلما رأيت الآن بالونا

لا أصدق أن الأرض مدورة (1)

أما الشاعر عيسى حمو النوري، فإنه يخاطب الخصم في لهجة من التحدي (اقتل، و مزق مهجا وامحق الشعب) ،فالجبن ليس من شيمة الجزائريين الأحرار:

انفث الســـم و مـــزق مهجا و اصبغ الآفاق طـــرا بدمانا

و التمس إسكات شعب ساءه أن يسام الخسف صبرا والهوانا

واقتل الشعب و حاول محقه جاهرا أنك لا تلقى جبانـــــا(2)

و ها هو الشاعرمفدي زكرياء بعد الاستقلال يذكر بالمجازر و يذكر أماكنها:

وكانت مجازرهم بسطيف و قالمة للشعب، دقات جرس (3)

ثم ينادي الشاعر عام خمسة و أربعين مسترجعا الذكرى الأليمة ، و يقرن بين آثام أحلاس فرنسا و اليهود:

فيا أربعين و خمس أعيـــدي فضائح جنـــد غبي بليـــد

وآثام أحلاس جيش عميـــل عديم الحيا، كضمير اليهود (4)

و أحمد معاش يخص الذكرى بقصيدة مطولة ثانية عام 1985 بمناسبة إحياء الذكرى الأربعين لأحداث 8ماي 1945وقد بلغ أبيات القصيدة مئة وعشرا، و صف فيها أعمال المستعمرين الوحشية:

---

(1)حداد ، ملك: المصدر السابق .ص 48.

(2) النوري ،عيسى حمو ، « الجزائر وحوادث 8ماي 45»،جريدة المجاهد، ع716، 1974م.ص40.

(3)الشيخ، مفدي زكريا: الإلياذة. ص 50.

(4)المصدر نفسه. ص 51.

يا للسفاهة يبقـــرون حوامـــلا و يقامرون على الجنين الأمرد

و يراهنون على إصابة هارب بتقاسم لحشاه أو بتفـــــرد

و يسارعون إلى اغتصاب لذائذ في كل كوخ صارخ مستنجد

و يفاخرون ببيضة مسروقـــة أو قدر سمن أو بقايا مـــزود

و إذا تعالت صرخة من بائس عمد الغزاة إلى إبادة مورد (1)

وفي شأن هذه الانتهاكات يقول صلاح العقاد : « أما النساء فقد امتهن شر امتهان ،وانتهكت حرماتهم انتهاكا جديرا بأعمال وحوش الاحتلال الأولين –سنة 1830- وقطعت آذانهن من أجل الأقراط،وأيديهن من أجل الخواتم،وأرجلهن من أجل الخلاخل ،وكان الجند يتباهى بتلك الغنائم ويتفاخر بالإحراز على أكبر عدد منها».(2)

وبن رقطان يذكر الجريمة بنفس مفعمة بالحسرة و قلب ينتابه الأسى، فيطرح الأسئلة مستنكرا ما حدث نافيا عن فرنسا كل أسباب التحضر و المدنية.

حضارة من هذه المفتـــراة و آلام من هذه المستشـــاره
أهجمة وحش و قانون غاب أرى كل وصف عليها خساره
لأن لسلوك الذي مارســـوه هنا لا يمت لأي حضاره (3)

و الشاعر محمد الشبوكي يعدد أماكن المأساة كسابقيه، و يصف المـــجزرة التي اقـــترفها الرعاديد والمشردون وفضلات الحرب العالمية الثانية الذين لم يقووا على الصمود أمام ألمانيا ،فاستأسدوا على الضعيف و استنسروا بأرضه ، فعاثوا فسادا و تقتيلا:

خراطة و سطيف ثم قـــالمـــة مناطـــق عمها التقتيل والنقم
تلك الضحايا التي كانت مكثفة قد غالهـــا فيك جيش كله نهم
هو الفلول التي جاءت مشردة من حرب (هتلر) لا نبل و لا ذمم
شراذم من رعاديد الحروب أتت لتأخذ الثأر ممن أرضهـــم سلم (4)

و مولود مهري بن عمار العطوي شاعر جزائري من وادي الزناتي بولاية قالمة ، ورث الـــشعر

---

(1) معاش ،أحمد الطيب : التراويح وأغاني الخيام .ص502.

(2) صلاح العقاد من الكتاب العرب الذين وصفوا أحداث ماي في كتابه (الجزائر المعاصرة)وهذا القول له نقلا عن:
ابن العقون ،عبد الرحمن بن إبراهيم :الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر .ص351.

(3)بن رقطان ، محمد:زفرات البوح.ص13.

(4)الشبوكي ،محمد :الديوان.ص93.

والإمامة لمسجد وادي الزناتي بعد وفاة والده الشاعر الإمام عمار مهري،و قد كان رفقة صفيه و صهره و صاحبه الشاعر عبد الرحمن بن ابراهيم بن العقون، من منظمي مظاهرات 8 ماي 1945 بوادي الزناتي ،و يذكر الشاعر آنذاك بأن قائد فرقة اللفيف الأجنبي، التي استقدمت إلى وادي الزناتي بالمناسبة أخبره بعد التحريات أن وادي الزناتي هو منبع الشر و أن قالمة و سطيف و خراطـــة و بقية المناطق التي شهدت المظاهرات ذهبت ضحية دعاياته، و بالتالي وجب تدميره. (1)

لقد خص الشاعر مولود مهري أحداث ماي بقصيدة بلغت أبياتها واحدا و خمسين يشهد فيها الثامن ماي على المجزرة،ويصف الخراب والدمار الذي حل بقالمة، و"كاف بومبا"،و سطيف، وخراطة كما خص نفسه ببث لواعج الألم و التأثر:

فسلوا عن فرنسا ثامن ماي — فـــهو أصـــدق شاهد لا يمارى
حيث قامت فيه فرنسا جهارا — بالرزايا التـــي تـــشيب الصغارا
ضد شعبي الذي حباها جميلا — وبه نالت العـــلا و افتـــخـــارا
سلحت ضده جنود الأعادي — بعدما انتصرت وصاروا أســـارى
كـــي تعبر عن عداء أصيل — ضد ملتنا و قومي الخـــيـــــارا
إن قلبـــي قد أضعفته هموم — حيث قالمة باتت تعاني الـــدمـــارا
من جرائم يعجز الوصف عنها — فهي حقا ستمـــــلأ الأسفـــــارا
فلقد حار " كاف بومبا" مكانا — فيه تردى الورى و يصلون نـــارا
إن قلبي قد أضعفته همـــوم — حيث قاسى بنـــو سطيف البـــوارا
من مجازر يعجز الوصف عنـــها — حيث عمت صغارهم و الكبارا
و أهالي خراطة قـــد أبيـــدوا — و غدت دارهم يبابـــــا قفـــارا
حيث عاث العدو فيهم فسادا — و أبادوا ديـــارهم و العقـــارا (2)

و قد أوردت مجلة الوحدة هذه الشهادات لبـــعض من شاهدوا الأحداث من أبـــناء قالمة آنـــذاك و تعرضوا للاعتداءات : « عمي عمر المعروف في قالمـــة « بعـــمر المخ» فقد 13 شهيدا من عائلته (سرايدي) ».(3)،و مما ورد أيضا في مجلة الوحدة:«عمي لخـــضر- الذي مازال لحد اليوم يشكو من الرصاصات التي أفرغها فيه الدركي الفرنـــسي في فخذه- روى لنا حكاية « البيلدوزير» الذي كان

---

(1) ينظر ،مهري ، مولود ، ضمن كتاب : رحاب، محمد الصالح.: رجال و مواقف،(شهادات حية يرويها فضيلة الإمام مولود مهري)، مساهمة مكتبة رحاب، بور سعيد. مطبعة م. ر برج الكيفان،ا لجزائر، 2005م. ص ص 5- 9.

(2) - المصدر نفسه. . ص 13.

(3)حميش ،سليمان./ بولطيور جمال،«نرحب بقانون نورمبرغ»،مجلة الوحدة، ع516،السنة15،16/ 22 ماي1991م.ص14.

يدفع الجثث إلى الخنادق التي حفرت خصيصا لتغطية هذه الجرائم، و لم ينس أن يذكرنا بمكان البُمبة « القنبلة»و هو عبارة عن تل من التراب مرتفع كان العدو يحمل إليه المواطنين بعد التعذيب يعدمهم هناك...و في ذلك اليوم نفسه- 8 ماي 45- يشهد عمي لخضر بإطلاق سراح السجناء الإيـــطاليين و إعطائهم السلاح و أمرهم بإطلاق النار على الجزائريين». (1)

و مما أورده الأديب و الشاعر عبد الرحمان بن ابراهيم بن العقون ، و هو من أبناء منطقة وادي الزناتي بولاية قالمة قوله : « و إذا كانت الحالة في سطيف و خراطة و ضواحيها بهذه الصفة الفظيعة ،فإنها بقالمة و ضواحيها لا تقل عنها فظاعة ،بل إن (الكولون) المعمرين في قالمة ،و على رأسهم «آشياري» رئيس الدائرة (نائب العامل) كانوا يختارون الضحايا من المناضلين و المثقفين و العلماء ،فيفتشون عنهم في المقاهي و في البيوت ،و حتى في المستشفيات ثم يعبئونهم بالمئات في الشـــــاحنات العسكرية و يذهبون بهم إلى (كاف البومبة)حيث يعدمون جماعيا برصاص الرشاشات ».(2)

ثم يخص مولود مهري بلدته « وادي الزناتي» بالحديث، فلقد كانت مستهدفة بالتدمير من طرف قائد اللفيف الأجنبي الذي استقدم من قسنطينة، « و أمر بنصب المدافع لتخريب المدينة، و لقد كان في ذلك اليوم بوادي الزناتي الشيخ محمد بن مصطفى بن باديس والد الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمهما الله...فاتصل حينا بمدير الشركة الفلاحية الجزائرية المسمى جاكي...و كان من أكبر المعمرين الذين لهم نفوذ كبير في الأوساط الرسمية الفرنسية و طلب منه إقناع هذا الضابط الصليبي بالعدول عما عزم عليه». (3) يقول مولود مهري :

إن وادي الزناتي أضحـــى كئيبا إذ له خططوا الردى و الدمارا
فلتخريبـــه أتـــوا مسرعيـــــــن بالمدفع قاصديـــن الديارا
إذ جيوش العـــــدو قالت جهارا إنه مخطر يدبـــــر البوارا
فهو مسؤول عن جميـــــع الحوادث بدليـــــل لا يقبل الإنكارا
و لقد عم سائـــــر القطر قمـــع ذاق شعبي منه الرزايا الكبارا
كم ألوف ضاعت ضحايا اضطهاد ما عرفنا لهـــم و لا آثـــارا
كم أتى مـــن ميدان حرب شباب ما لقوا أهلـــهم و لا ديـــارا(4)

---

(1) حميش ،سليمان./ بولطيور جمال ،المرجع السابق .ص14 .

(2)ابن العقون ،عبد الرحمن بن إبراهيم :الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر.ص323.

(3)مولود، مهري ،ضمن كتاب:رحاب محمد الصالح :رجال ومواقف .ص9.

(4)المصدر نفسه. ص ص 13، 14.

إن هذه شهادات إبداعية و أخرى تاريخية كتبت بأقلام جزائريين كان الكثير منهم اقرب إلى مجريات أحداث 8 ماي 1945، بل إن من هؤلاء من حشرضمن المعتقلين بعد الأحداث كالإبراهيمي ومحمد خير الدين ،و ابن العقون .

3- عهود استعمارية منكوثة:

لا فرق بين كذب الأقوال، و كذب الأفعال في تضليل العقول و العبث بالأهواءوخذلان الحق، و استعلاء الباطل عليه. و المستعمر الفرنسي خذل الجزائريين، وعبث بأهوائهم و أحلامهم و استعلى على الحق، فوعد الجزائريين كذبا بالاستقلال إذا ما آزروه في حربه ضد دول المحور، فانطلت الحيلة على الكثير منهم، لكن أخلف عرقوب وعده فكان ما كان مما سبق وصفه من فظائع.و ما نبه به شوقي السوريين، كان الأولى بالجزائريين أن يفقهوه، فالحرية عروس مهرها الدماء و خاب من ظن أنها منحة من الأعداء، و انخدع من حسب أن ما أخذ بالقوة يسترد باللين و السلم.

بني سورية اطرحوا الأماني و ألقوا عنكم الأحلام ألقوا
فمن خدع السياسة أن تغـــروا بألقاب الإمارة و هي رق
نصحت و نحن مختلفون دارا و لكن كلنا في الهم شـــرق (1)

والشاعر محمد العيد سجل في سينيته خدعة المستعمرين، بعد أن أدرك الجزائريون الحقيقة التي لا يشوبها الزيف، فما روجته فرنسا من شعارات ووعود كاذبة بمنح الاستقلال للجزائريين ، كذبته فظائع ماي، فانجلى السراب، و امحى حبر القراطيس:

رأى ما ادعوا من رعيه محض خدعة فأوجس منهم خيفة أي إيجاس
فظائع ماي كذبـــت كل مزعم لهم ورمت ما روجوه بإفلاس

.....

و ماوعدهم إلا سراب بقيعـــــة و ماعهد هم إلا مداد بقرطاس (2)

أما البشير الإبراهيمي فيذكر المحنة التي ألمت بالجزائريين بعد أن أعانوا فرنسا في جوعها بالقمح و في حربها بالنفس والنفيس حتى ارتفعت عنها ذلة الاستسلام للمحور،و لكن(اتق شر من أحسنت إليه).

---

(1)شوقي ، أحمد: الشوقيات، الجزء الثاني .ص76.

(2)خليفة، محمد العيد محمد علي: الديوان. ص ص 326، 327.

فيك اعترت لمـــه رهطا من الشمـــس
فقتلوا أمـــــــه أحيتهم أمـــــــس

* * *

ساقت لهم نصـــــرا جازوه بالكســـــر
كمن فدى الأســـرى فبات في الأســـــر (1)

و الربيع بوشامة يصف المتصلفين- و إن أعلنوا يوم ثامن ماي عيدا للسلام و يوما للأحلام - فقد ألقوا بالجزائريين وسط الضرام،و اقتسموا أموالهم و كرعوا من دمائهم ، و جازوهم بالكسر بعد أن حرروهم بكفاحهم في حربهم على المحور:

إن أعلنوا فيك السلام لقد رموا بابن الجزائر في سواء ضرام

و تناهبوا أمواله وحياته و تشربوا مهجاته بهيام

طلبوه للهيجاء حتى حرروا بكفاحه، فجزوه بنت حسام (2)

إن الإحسان صار ضربا من الذنوب في عقيدة المستبدين:

و تباروا في القمع و العسف و الإذ لال و المنكرات جهد النكال

دون ذنب إلا جهادك في تحريرهم من ظلم العدو المغالي (3)

بل إن اللذة كل اللذة يحسبونها في إيلام ذوي البر و الإحسان و هل من سادية أشد من هذه؟!

يقول الشاعر ابن رحمون يصف أحداث ماي وجحود الفرنسيين :

يرمي بها الشعب الكريم عصابة لذاتهم إيلام ذي الإحسان (4)

إن الشاعر يستنكر هذا الفعل الشنيع الذي أهل الظلمة أن يكونوا ثعابين و أفاعي،و هل تؤمن الأفاعي و الثعابين؟ !

أبذا ترون الفخر في أوساطكم و ترون شكر المحسن المعوان؟

و الجو يسري من أفاعي الإنس في هذا الورى كالسهم في الأبدان

---

(1)الإبراهيمي، محمد البشير: عيون البصائر،ج2.ص 367.

(2)بوشامة، الربيع:الديوان. ص 58.

(3)المصدر نفسه. ص 51.

(4)ابن رحمون، أبو بكر مصطفى:الديوان. ص 143.

شر البريئة من يكون وجوده في الأرض كالأفعى و كالثعبان

.....

يا مصلحا يجزى على إحسانه بأشد ما يجزى الأثيم الجاني(1)

فإن كان الاستعماريون الغلاة يعتبرون إحسان الجزائريين ذنبا لدى الشاعر الربيع بوشامة ،فقد رأوه إثما و جناية لدى ابن رحمون.

وجريدة المنار في عددها الرابع عام 1952(أي العدد نفسه الذي نشرت فيه قصيدة ابن رحمون) نشرت قصيدة عنوانها (أثامن ماي!..) ، وقد كتب تحتها اسم (ابراهيم)، و تبقى هوية هذا الشاعر مجهولة على اعتبار أن هذا الاسم لم يشع في الأسماء المستعارة التي اختارها بعض الشعراء المعروفين أمثال مفدي زكريا، و مما ورد في القصيدة التي كانت أكثر ذاتية و وجدانية بيت هو أقرب إلى مطلع سينية محمد العيد و موسيقاها:

أأكتم وجدي أو أهدئ مهجتي و ثامن ماي جرحه فاض كالنهـــر (2)

و في إشارة إلى نكث فرنسا للعهود ينوه الشاعر بما أبداه الجزائريون من بر وإحسان، و يخلد مآثرهم في نبرة حزينة و قلب مكلوم:

أيا شعرأحشائي تذوب من الأسى فروح عن الأحشاء ما اسطعت يا شعري

ونوه بما أبدى ذو و البر من يـــد فما خلـــد التاريـــخ إلا ذوي البـــر

إذا المرء لم يثمر من السعي طيبا فذره و لا تجن الرحيـــق مـــن المـــــر(3)

أما الشاعر عبد الرحمن بن ابراهيم بن العقون أديب وادي الزناتي و شاعرها و الذي كان واحدا من منظمي مظاهرات 8 ماي 1945 ببلدته رفقة صفيه و خليله الشاعر المولود مهري بن عمار، وكلاهما كان منتميا إلى حزب الشعب ، و قد ناله الاعتقال بعد حوادث ماي، و أثناء الثورة و رغم هذا فإنني لم أعثر له على قصيدة في حدود بحثي في الصحف و لدى أسرته و أصدقائه بوادي الزناتي، بل إن ديوانه (أطوار)المطبوع عام 1980 م ، و الذي قدم له المولود مهري، يخلو من شعر في حوادث ماي في حين يقول في تقديمه للديوان: «و قد سلكت في كتابة هذا الديوان طريقة المسجل للأحداث وأطوارها، المنسق للحوادث حسب تواريخها و ظروفها.. ومن ثم سميته "أطوار"» (4)

---

(1) ابن رحمون، أبو بكر مصطفى:الديوان. ص ص 144 ،145.

(2)ابراهيم، « أثامن ماي!...» ،جريدة المنار،ع4 ،1952.ص 3.

(3)المصدر نفسه .المكان نفسه.

(4)ابن العقون، عبد الرحمن بن إبراهيم: ديوان أطوار، الشركة الوطنية للنشر التوزيع، الجزائر،1980م.ص14.

و لم ترد في الديوان إلا إشارة عابرة إلى المذبحة، و ذلك في قصيدة نظمها عام 1953 يندفيها بالقمع الذي قابل به الجندي الفرنسي ثورة الشعب التونسي ،و يا حبذا لو كانت القصيدة منسوبة إلى أحداث ماي، فمضمونها لا يختلف عما نظمه الشعراء في الموضوع، و لعل الشاعر أسقط ما جرى في الجزائر على ما يجري في تونس ، و الأمر سيان.

يا طاغيا و عظات الدهر تردعه هلا صحوت؟ كـــفاك اليوم إدمانا

بالأمس أعلنتها حربا على وطن أولاك برا فصغتم منه نيرانا

و اليوم تزعج أختا لها لم تجئ نكرا و ما بغت مثلكم في الأرض عدوانا

تدوس ويلك باسم العدل حرمتها و تهرق الدمع و الدماء وديانا (1)

والشاعر عيسى حمو النوري يذكر المستعمر بأن الجزائريين لم يقيموا المظاهرات إلا للمطالبة بحقهم في التحرير، و يطالبه بإنجاز الوعد ، فوعد الحر دين وجب صونه و تأديته:

إيه يا مستعمرا أحنقه صوت شعب سيم خسفا و هوانا

رفع الصوت يدوي معلنا أن حق الشعب في التحرير حانا

بعد حرب و ضعت أوزارها شنها البغي فكانت دبرانا

يطلب الإنجاز للوعد الذي عده الحر على الحر مصانا

وعد تحرير لشعب يائس سلب العزة بغيا و امتهانا (2)

والسائحي الصغير بعد الاستقلال يصور فرحة الجزائريين بعودة السلام إلى المعمورة، وتوقهم إلى التحرر بعد قهر النازيين، و لكن أنّى يكون لهم ذلك؟! و اللئام كانوا هناك،وقد أعدوا العدة لقمعهم ومنعهم من التعبير عن أحلامهم ومطالبهم :

هب شعبي إلى السرور

و لكن هل يطيب السرور بين اللئام؟

قهر النازي

يا سلام تبختر

أين منا السلام و الظلم غادر

.....

هب شعبي إلى المنى

(1)ابن العقون، عبد الرحمن بن ابراهيم: الديوان. ص 56.

(2)النوري، عيسى حمو،« الجزائر و حوادث 8 ماي 45»، جريدة المجاهد،ع716، 1974 . ص 40.

و نشيد ضاحك

في رؤى الفتى و الفتاة

و اغتباط موشح بالأماني

و ابتسام مضمخ بالحياة

غير أن اللئام كانوا هناك (1)

ومحمد بن رقطان في قصيدته (مايو)، و التي يعود تاريخها إلى 8 ماي 1977 يقرر أن الشعب كان يحس في سريرته أن وعود فرنسا سراب و كذب، و مع ذلك فإن آماله في التحرر وتنفيذ الوعود، دفعته إلى الخروج للاحتفال والتعبير عن مطالبه :

يوم تعانق فيه الحزن و الطـــرب ناغاه شعب سرى في روحه الغـــضـــب
و بات يهتف للآمال في غـــده و في الضلوع هتاف الشوق يـــضطـــرب
و في حناياه إحساس يقول له إن الوعـــود النشاوي كلها كـــــذب!
طال العناء به في اليأس يا وطني حتى غدا من عذاب اليأس ينـــــتحـــب(2)

وفي قصيدة (عار الحضارة) يسجل الشاعر أن الغزاة الغادرين أرادوا للجزائريين أن يناموا على الضيم و أن ينسوا الوعود ، وحين عبروا عن مطالبهم المشروعة بأسلوب متحضر لا عنف فيه ، ردّ عليهم الغزاة بالعنف و الغارات:

و كانت مدينتنا يا رفاقـــي ضحيـــة غدر بكل مـــــراره
أراد الغـــزاة لها أن تنـــام على الضيم رغم ارتفاع الحـــراره
و تنسى الوعود التي قطعوها لكل بنيها و لو بالإشـــــــاره
وراحت مدينتنـــــا تتغنـــى بعوده نـــور الضحـــى للعمـــاره
و تبـــدي مطالبها باحترام وتعلن عـــن رأيـــها في عبـــاره
فلم يقبلوا حسها الحضري وردوا عليها بعـــنـــف و غـــاره (3)

و الشاعر يعلم علم اليقين أن فرنسا ذات وجوه متعددة، فمن جانب ترفع الشعارات الجميلة و النبيلة ، و من جهة تدوس ثمار هذه الشعارات و تفتك بالشعوب الضعيفة.

---

(1)السائحي، محمد الأخضر عبد القادر:الكهوف المضيئة. ص ص 78، 79.

(2)بن رقطان، محمد: الأضواء الخالدة « شعر » ،الطبعة الأولى، مطبعة البعث ،قسنطينة ، الجزائر،12- 1400هـ/ 10- 1980م. ص 35.

(3)بن رقطان،محمد : زفرات البوح. ص 13.

و إنا لنعلم أن فرنســـــــا لها عندنا أوجه مستعاره
فكم رفعت في الدنا من شعار و تحت الشعار تدوس ثماره (1)

والشاعر محمد الشبوكي يصف فرنسا بالتصلف ،و التيه أمام الضعفاء الذين قدموا لها إحسانا فجازتهم بالإساءة والنكران.

جنت فرنسا فتاهت في تصلفها أمام شعب بريء ليس ينتقـــم

بالأمس ظل بنوه في خنادقهـــــا و سط المعامـــع و النيران تضطرم
قد قاتلوا(الدتشي)والألمان ليس لهم في الحرب نوق ولا أرض ولاغنم(2)

و مولود مهري يشهد التاريخ على أن الجزائريين حبوا بني فرنسا النصر و العزة بعد أن كانوا أذلة منكسي الرؤوس، و لكنهم جزوهم بما جزي " سنمار".

سجلن يا تاريخ و اشهد جهارا مساوي بني فرنسا الشـــــرارا
لا يضاهيهم في السفالة جنس فهم ألأم الورى و النصـــــارى
قد حباهم بنو بلادي انتصارا بعدما ذاقوا ذلة و انكســـارا
و توالت عليهـــــم المزعجات و بقيد الهوان سيقوا أسارى
وغدت أرضهم تعاني احتلالا و رزايا شديدة بل دمـــــارا
و جنود الألمان عاثت فسادا و هم منكسو الرؤوس احتقـــارا
فبدا في الميدان أغلى شباب من بني وطني يشيد الفـــخـــارا
فلجيش الألمان أعطوا دروسا في البطولة نوعهالا يجـــــارى
و بهم حققت فرنسا الأماني إذ كسوها مهابة و انتـــصـــارا
و بهم أصبحت فرنسا تباهى تتحدى كل الشعوب الكبـــارا
هل بهذا الجميل كان اعتراف من فرنسا أو أنكرت إنكـــارا؟
ليتها اقتصرت عليه و لكن قد جزتنا بما جزي سنمـــارا (3)

إن الاستعمار الفرنسي استمر متصلبا أمام الجزائريين،وأمام هذا التصلب والتشبث بالمستعمرات ومحاولة كبت كل حركة تحررية فيها، قام تصلب آخر في شعوب هذه المستعمرات التي لم تعدكسابق عهدها، بعد أن راودتها المطامح الكبرى في الاستقلال الذي لابد له من حسن التأهب والإعداد.

---

(1) بن رقطان ،محمد : زفرات البوح.ص13.

(2)الشبوكي، محمد: الديوان. ص 93.

(3)مهري ، مولود:ضمن كتاب :رحاب، محمد الصالح :رجال ومواقف. ص 13.

4- الدعـــوة إلى الثـــورة والنضـــال:

إن الجهاد باب مفتوح، بل هو فريضة مكتوبة متى تعرضت ديار الإسلام للغزو ظلماوعدوانا فليس كالقوة و السيف رادعا للأعداء ، و قديما أشاد أبو تمام بهما:

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد و اللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهن جلاء الشك و الريب

و العلم في شهب الأرماح لامعة بين الخميسين لا في السبعة الشهب(1)

كما نوّه ابن الوردي في نص حواري له " بين السيف و القلم" بمفعول السيف: «فإن السيف عظيم الدولة، شديد الصولة ، محا أسطار البلاغة، و أساغ ممنوع الإساغة، من اعتمد على غيره في قهر الأعادي تعب، و كيف لا ، و في حده الحد بين الجد و اللّعب؟!» (2)

أما الشاعر صفي الدين الحلي فقد أقر أن من فاته العز بالقلم أدركه بقوة السيف ،وأن الحلم والتسامح لايحسنان إلا في مواطنهما :

من فاته العز بالأقلام أدركه بالبيض يقدح من أعطافها الشررا

لايحسن الحلم إلا في مواطنه ولايـــلـــيق الـــوفا إلا لمن شكرا (3)

وحديثا قرر أحمد شوقي أن الحقوق لا تنال إلا على جسر من الضحايا و أن الحرية عروس مهرها الدماء.

و من يسقي و يشرب بالمنايا إذا الأحرار لم يسقوا و يسقوا؟

و لا يبني الممالك كالضحايا و لا يدني الحقـــــوق و لا يحق

ففـــي القتلى لأجيال حياة و في الأسرى فدى لهم و عتق

و للحرية الحمـــــراء باب بـــكل يد مضرجـــة يدق (4)

و الشاعر أحمد محرم يؤكد أن هذا الزمان عصر الناروالدماء ،و من ظفر بقوة النار تغلب و تحكم.

---

(1)أبو تمام: الديوان، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، المجلد الأول، دار المعارف، مصر، دون تاريخ . ص ص 40، 41.

(2)نقلا عن ،رمضان، محمد الصالح/شاهين، توفيق محمد: النصوص الأدبية ،الجزء الثالث، الطبعةالأولى، دار مكتبة الشركة الجزائرية للتأليف والترجمة والطباعة والتوزيع والنشر، الجزائر ،1388هـ/1968م.ص 149.

(3) نقلا عن ، سليم ،محمود رزق : صفي الدين الحلي، الطبعة الثانية ،دار المعارف ،مصر،1971م.ص110.

(4)شوقي ، أحمد: الشوقيات، الجزء الثاني. ص 77.

هذا زمان ليس يفهم أهله إلا حديث النار أو لغة الدم

القوة الدنيا، فمن يظفربها يظفر بدنيا الغالب المتحكم (1)

أما عبد الحميد بن باديس في قصيدة " شعب الجزائر" فقد تفاءل باقتراب الصبح، و استشرف هذه الحقيقة قبل حوادث ماي،لكن ذلك مقرون بالأهبة و الاستعداد لخوض غمار المحن و الخطوب.

يا نش ء أنت رجاءنا و بك الصباح قد اقتـــرب

خذ للحياة سلاحهـــا و خض الخطوب و لا تهب

و ارفـــع منـــار العـــدل و الإحســـان و اصدم من غصب

و أذق نـــفـــوس الظـــالميـــــــن الســـــم يمـــزج بالرهـــب (2)

وبعد فجيعة 8ماي 1945،هل أدرك الجزائريون أن ما أخذ بالقوة لايسترد إلا بالقوة، وإن أدركوا هذه الحقيقة،فكيف كانت ردود أفعالهم ،وكيف كان موقف الأدباء والشعراء ؟- باعتبارهم لسان حال الأمة-هل وقفوا يبكون الديار، ويصورون مظاهر الخراب والدمار التي ألمت بالجزائر ؟أم أنهم بدأوا التفكير في طرق أنجع للتعامل مع هذا الاستعمار المتحجر الذي لايريد أن يتنازل عن مستعمراته عامة ،وعن الجزائر بالتحديد ؟

إن جل الكتاب و الشعراء أكدوا على عدم نسيان فظائع ماي، و ما حيلة الضعيف الأعزل أمام القوي المدجج بالسلاح و الإصرار على الظلم؟لكن عدم النسيان هو الوفاء، و الوفاء لذكرى الشهداء هو التصميم على الثأر لهم، و الثأر لا يتأتى إلا بحسن الاستعداد و التحضير للثورة.لقد«كان شاعر الحركة الإصلاحية خير معبر عن هذا التحول في درجة الوعي النضالي لدى الشعب الجزائري و لما نستشهد بشاعر كمحمد العيد آل خليفة فلا شيء سوى لكونه يمثل تيارا من الوعي الإصلاحي البعيد عن التفكير في ممارسة العنف ». (3)يقول الشاعر محمد العيد ملوحا بالثورة :

و لا خير في عد المظالم وحدها إذا لم نبن عن مرهفات و أتراس

سئمنا من الشكوى إلى غير راحم و غير محق لا يدين بقسطاس

.....

---

(1)محرم، أحمد:الديوان- السياسيات- من عام 1922 حتى عام 1945، جمعه وحققه و شرحه محمود أحمد محرم، الجزء الثاني الطبعة الأولى ،مكتبة الفلاح، الكويت، 1404هـ/ 1984م. ص 919.

(2)ضمن كتاب :الطالبي، عمار: ابن باديس حياته وآثاره، الجزء الثالث. ص 571.

(3)حمادي، عبد الله: أصوات من الأدب الجزائري الحديث. ص 229.

فيا أيها المستعمرون تنزهوا و لا تسموا وجه الحياة بأرجاس

و لا تطمعوا أن تستلينوا قلوبنا فتلك قناة لا تلين لجساس

و يا أيها الشعب المروع لا تضق بدنياك ذرعا و اطرح خلق الياس

و قل للذي آذاك لا وصل بيننـــا و موعدنا العقبى فما أنا بالناسي(1)

«وبالرغم من هدوء الأبيات، و سأم الشكوى إلى غـــير راحم ، و الجزع من الاستكـــانة لليأس

و التهديد بقطع حبل الوصل ، و هو موقف إلى الغرام أقرب منه إلى السياسة، فإنك تحس بالنار تحت الرماد ، و بهبوب العاصفة وراء الهدوء، تحس بغيظ لابد متربص، و دم مطلول متوعد». (2)

و محمد العيد و إن كان يلمح إلى التحضير للثورة بذكر المرهفات و الأتراس و بتوعد المستعمرين فإنه يصرح في أبياته بلفظ المستعمر بعدما كان يلمح إليه الشعراء بألفاظ، الدهر والزمـــن، والقدر والحياة و غيرها من الألفاظ التي تفيد دلالات و احتمالات كثيرة وموهمة.والجهر بلفظ المستعمر يعد شيئا جديدا و جريئا في أدبيات الحركة الوطنية فكيف بذلك عند حركة الإصلاح و شاعرها. ولا نبرح حركة الإصلاح بل نقف مع رئيس جمعية العلماء المسلمين بعد ابن باديس ؛ الشيخ الإبراهيمي فكلاهما عرف شاعرا في مواطن الجد و مواقف الحد، فالإبراهيمي يؤكد هو الآخر على عدم النسيان بل يعد النسيان من باب الغدر و الخيانة:

ذكـــراك يـــا يـــوم تـــحـــز في الأحـــشا
إذ أقـــبل الـــقـــوم وحـــش تـــلا وحشا

* * *

ذكـــراك يـــا يـــوم لا تـــأتـــلي حـــوما
تـــعتـــاد في الـــنوم فتـــطـــرد الـــنومـــا

* * *

يا يـــوم ذكـــراكا لـــم تـــبرح الـــبالا
لـــو طـــاف مسراكا باللـــيث مـــا صـــالا

* * *

---

(1)خليفة، محمد العيدمحمد علي: الديوان .ص ص 326، 327.
(2)خرفي ، صالح:الشعر الجزائري. ص 213.

زرعت أحساكا منبتهـــــا الصدر
فكيف ننساكا إنا إذن غـــدر (1)

والربيع بوشامة يرى أن ثامن ماي لا يمكن أن يطوى و تقلب عليه الصفحة بل هو يدعو إلى تخليده ليستمد منه الشعب القوة في الكفاح فيوم ثامن ماي يوم سرمدي و رمز خالد في صفحات

التاريخ الجزائري.وكيف للشاعر أن ينسى ماي وله معه تجربة خاصة من بين الشعراء، فقد فقد فيه الأب و الأصحاب،كما اعتقل و شرد أهله وأحبابه، بل لقد حكم عليه فيه بالإعدام.

لي فيك يا ماي النوائب و الردى ذكرى ستبقى طيلة الأعـــوام
فقدان خير أب ، و أكرم صحبة و جحيم سجن حف بالإعدام
في ذمة التاريخ تسعة أشهـــــر قضيتها في عـــزّة و صدام (2)

لذلك نجده يصرخ في وجه ماي و يدعوه إلى الانتقام و الثأر من الظالم المستبد، و لكن الثأر لا يتأتى إلا بالقوة و الغلبة التي افتقدها الجزائريون آنذاك، فيعود و يدعو متضرعا إلى الله للانتقام من العدو الظالم الهدام و سوقه إلى الإعدام . قصاصا للضحايا الأبرياء الذين ساقهم إلى الإعدام، و أصدر في حقهم أحكاما بالإعدام.

ياماي مالك واجما لم تنتقـــم أو ما سقاك الظلم أسوأ جام؟

.....

فارفع إلى مولاك شكوى ضارع يبرأ من الحكام والأحكام
و اسأل يد الجبار عاجل نقمة للظالم المستهتر الهـــدام
يا ماي إنا في انتظار حكومة فمتى يساق الظلم للإعدام
أنت ابن ذي الأهوال إن رام امرأ ألوى به في لحظة كحطام
عجل لهذا (الغرب) من رب السما بقواصم مجتاحة و« غـــرام» (3)

« إنها دعوة صريحة إلى المجابهة و هي إعلان واضح عن تطور درجة الغليان الشعبي بعد تمحيص شهر ماي للإرادات المتخاذلة و النوايا الطيبة التي ما يزال في قلوب بعضهم شيء من أمل معقود على فرنسا». (4)

---

(1)الإبراهيمي ، محمد البشير: عيون البصائر،ج2.ص ص367، 368.

(2) بوشامة، الربيع:الديوان. ص 59.

(3) المصدر نفسه. ص ص59،60.

(4) حمادي، عبد الله: أصوات من الأدب الجزائري الحديث . ص 238.

وإن كان بعض الدارسين يرى أن بوشامة من الذين قدموا أصداء باهتة و سطحية لحوادث 8ماي1945،« فالشاعر أحد الذين عاشوا المأساة السابقة سجنا و تعـــذيبا و لوعة فقـــدان الوالد و الأصدقاء ، و عندما يتلمس الدارس انعكاسات الجوانب السابقة على مشاعر الشاعر يجدها كما تبدو من القطعة السابقة دونما يتوقع بكثير». (1)

و إذا كان بوشامة في قصيدته الميمية أقرب إلى الدعاء و الرجاء ،فإنه في اللامية كان أوضح رؤياو أجلى مقصدا ،فهو يتوعد الطغاة بالجزاء القضاء ،ويدعو الشعب إلى التخلي عن الرجاء و التمني و الخيال و الوهم، فالحرية تطلب بالنضال و الشاعر يصرح هنا بلفظ النضال ، و يثني عليه بالكفاح بل هو يصدع بهما صراحة (نريد الحياة في استقلال) بعد أن صدع محمد العيد قبله بلفظ المستعمر. إن هذه لهجة جديدة في أدبيات الحركة الوطنية، لم تكن لتوجد في ظل انعدام حرية التعبير و تواصل التنكيل بالجزائريين.

إن دما حرا يهان اعتـــــداء لجدير بالعـز و الإجلال
سوف يعلو - تاجا- على مفرق الدهر و يغدو أســا لأغلى منال
لن تميت الأقدار يومكمـــــو بين عويل النساء و الأطفال

.....

كيف يطوي الزمان أروع ذكرى من دماء و أدمع كـاللآلى
سوف تبقى في الدهر رمزا يؤدي عبرا حـية إلى الأجيـــال
ليت شعري يدرون عقبـى اغتيال لرجال غر كرام الفعـــال؟

.....

سوف يلقى الطغاة أو فى جزاء من قضاء يمـلي بـلا إهمال
و يرون الضعيف - بالله- أقوى كائن، ينفث الردى كالصلال
ويل شعب مستعبـــد يترجـى رحمة من عـدوه القتـال
و يمنى سعادة و ازدهـــــارا من دخيل مستعمر دجـال
يا عزيزي ، يا ابن الجزائر هذا حلم خادع و شـر الضلال
خل عنك الخيال و الوهم و اطلب عيشك الحر بالقوى و النضال

---

(1)شرفي، أحمد: الشعر الوطني الجزائري 1925-1945.ص104.

لا تخف سطوة الظلوم و لا تر هب جنـا بالجـند المختـال
رغـــم قواته الكبرى المنسقة و آلاتـه، بكـــل مـجـال
ليس هذا – و عز روحكـــم- إلا هـبوات تفنى كلـمح الخيال
لم تكن قـــــوة الدواليب يوما -وحـدها – سـر عزة أو كمال

إنما قـــــــوة الخلائق و النفس أعــز القــوى على كــل حــال
و هي روح الشعوب قام أساســا ومــلاكا في صرحــها المــتــعالي
أيها الشعب صحــح العزم و الإيمان واثبت- عوضا- ثبــات الجـــبال
وتيقـــــــظ للحادثــات و للكيد وكفـــــاح مســتــوثــق الآمال
إننا أمــة الكرامـــــــة والعــز نريد الحياة فـــي اســتــقــلال
و نقاضي الخصوم للحق و الدنيـــــا جميعا، باسم الهـــدى و الكــمــال
ثم نرجو الأقدار و الدهر يجـــــري حكمها العــادل الشــديد المحــال (1)

و الشاعر عبد الكريم العقون هو الآخر يقتفي أثر بوشامة في ذكر النضال و الكفاح ،بل يستهل القصيدة بذكر الجهاد و المجاهدين:

ذكــرى عــلى مر الزمان تكرر لمــجاهــدين جهادهم لا ينكر (2)

ثم يتوجه إلى شباب الجزائر يدعوهم بأن يهبوا إلى العلياء و الحقوق، و يخلعوا قيودهم كما فعل أسلافهم الذين ملكوا الأرض بعدلهم ، فالكون لم يعد يتحمل الجور و الظلم فوجبت الثورة على الحكم الجائر.

يا فتية الوطن الكرام و جنده هبوا إلى العلياء لا تتأخـــروا
جدوا فإن الشعب يخلع قيده رغم الطغاة، و بالحقوق سيظفر
هيا اعملوا كي تخلفوا أحدادكم في الكون إن جدودكم ما قصروا
ملكوا زمام الكون بالعدل الذي في شرعة الإسلا م راح يقــرر
الكون ضاق بكل حكم جائر فاختار شرعة أحمد هي تنشر

.....

---

(1)بوشامة، الربيع: الديوان. ص ص 51، 52.

(2)العقون، عبد الكريم،« الكون ضاق بكل حكم جائر...»، جريدة البصائر ،ع155، 1951. ص 7.

هذي دروس في الحياة مفيدة « للشعب»، إن رام العلا يتحذر
آن الأوان فجددوا بنضالكم مجدا تليدا للبلاد يسطـــر (1)

إن قصيدة عبد الكريم العقون تدل على وعي وطني وصفاء فكري ،فقد كان في قصيدته أقرب إلى الثورة من سابقيه ،لذلك فإنه لايدعو على المستعمر دعاء الضعيف اليائس ،بل هو يدعو إلى العمل

من أجل التحرر صراحة . أما ابن رحمون فهو يصرح برفض سياسة الاندماج التي كانت تنادي بها بعض الجهات فالجزائر عربية مسلمة و لا يمكن أن تكون فرنسية و لو أرادت،يقول الشاعر:

و الله بالإيمان يفصل بيننـــــا و الجنس و الأمواج و الحيتان
تأبى العروبة أن تلين قناتها في أمـــة الإســـلام و القرآن

.....

شعـــب فتي عقله و لسانه و الروح و الإحساس كالإخوان
بالطبع يأبى الاندماج بأمـــة تفكيرها و لســـانـــها ضـــدان (2)

وبعد أن يرفض الشاعر سياسة الاندماج بفرنسا يدعو الجزائريين إلى التسلح بالصبر و الشجاعة لمقابلة الأهوال،فشرف الثبات إنما يتحقق في بسالة الجزائري في ميدان المعركة.

صبرا على عسف الخطوب فإنما شرف الثبات ينال في الميـــدان
لا تيأسن إن الزمان قسا فقد يتفجر الينبـــوع من صفـــوان
الحق سيف الله يأبى أن يرى في كف ذي خور و كف جـــبـــان
بل ليس يرضى أن يقلد سيفه إلا قـــوي العزم و الإيمـــان
الظلم ليس و هو في ظلماته كالكوكب الدري في اللمعـــــان
فيه اقتبل جيش الحوادث باسما للهول للأزمـــــــــات للأقـــران
و اجعله عدتك القوية و ادرع بالصبر في الإســـرار و الإعـــلان (3)

وابن رحمون يذكر لفظ الثورة في قصيدته، و يذكر المستعمرين أن الخبز ليس كل ما يريده الشعب و الكتان ليس كل ما يطلبه،وليس أدل على ذلك من أن الجزائريين أثناء مظاهرات 8ماي1945 لم يرفعوا لافتات يطالبون فيها بالطعام والغذاء ، بل كانت مطالبهم سياسية.

---

(1) العقون، عبد الكريم،« الكون ضاق بكل حكم جائر...»، جريدة البصائر ،ع155، 1951. ص 7.

(2)ابن رحمون، أبو بكر مصطفى: الديوان. ص ص 144، 145.

(3) المصدر نفسه.ص 145.

و ترونه إن قام ينشد حقه أهـــلا لكل مذلة و هوان
و تعد ثورته على آثامهم غضبا لفقد الخبز و الكتان (1)

وفي قصيدة « أثامن ماي» يستنكر الشاعر الوقائع الهوجاء و يخلدها في خلده و خلد الجزائريين ثم يدعو إلى الصبر مثلما فعل الشاعر ابن رحمون ، أما مصير الجزائريين فقد انكشف أمام الجزائريين وأمام العالم فهو كالشمس الساطعة، و لا سبيل إلى تحقيقه إلا بالثورة و شرف الاستشهاد.

أثامن ماي لا تكن صدورنـــــــا لوقعتك العظمى سوى أعظم النكر
و هل راعت الأعقاب عهدك حلفة؟ فعهدك أحرى بالرعايــة و الذكــر
وقائعك الهوجاء ما انفك نقعهــا يجول بأجـــواء الجزائر لايــسري
وقائعك الهوجاء ما انفك ذكرها يدور بفكري ،خلــدتــه يد الدهر
فكيف يطلب العيش و هو مكدر؟ وكيف تنام النفس و هي على الجــمر؟
مضى الأمر يا نفسي الشجية فاصبري فليس دواء للهمــوم سوى الصبر
مصائرنا كالشمــس باديــة السنا وكل امرئ – لا ريب- سوف بها يدري
مصائرنا كالشمــس باديــة السنا نمــوت جميعا أو نميت ذوي الجــور(2)

وفي قصيدة (كيف السلو؟) يؤكد الشاعر على عدم النسيان أيضا كسابقيه عن طريق الاستفهام الذي يراد منه النفي.

كيف السبيل إلى نسيان حادثة نكراء يرفــض من تذكارها الأرق
كيف السبيل إلى نسيان كارثة قد عمنا من لظاها الذعر و الفرق (3)

و يخلص في آخر القصيدة إلى التهديد بالثورة و ما هذا إلا هدوء يسبق العاصفة.

لا تحسبوا أن نار الشعب خامدة فخصمه بلظاها سوف يحترق (4)

و أحمد معاش يتحدث عن جبال الأطلس العظيمة، و يتحدث بلسانها، فالأطلس العظيم لم يحن هامته للأعادي، ولن يحنيها . كيف؟ و هو رأس إفريقيا و رمز شمالها بل رمز الجزائر التي لم تنحن يوما للغزاة فهي تقاوم و تستعيد حريتها و تسترد عذريتها بعد كل غزو تتري، ثم يقرر الشاعر أن إحياء

---

(1) ابن رحمون، أبو بكر مصطفى:الديوان.ص 144

(2)إبراهيم، « أثامن ماي»، جريدة المنار، ع4، 1952 . ص 3.

(3)« كيف السلو؟» ،جريدة المنار، ع42، 1953. ص 3.

(4)المصدر نفسه. المكان نفسه.

الأمة يكون عن طريق الموت و التضحية، و أن الشقاء هو الذي ينقذ أبناءها من الاستعمار.

لكن أصلع في الشمال مجربا أودى الزمان بريشــه المعطــار

رفع العقيرة و انبرت أصداؤه ملء الأثير تصيح في (التاتـــار)
و يلي و يلكمو إذا دام العدا فأنا و أنتم طعمـــــة الأغيار
أنا رأس إفريقيا و رمز شمـــالها ما للرؤوس الشوس مـــن قهار
إني أنا العاتي إذا ديس الحمـــى و أهين شبلي في الحمـــى أوجاري

.....

في الموت إحياء الموات و في الشقا إنقاذ أشـــبال من استعـــمار
أبلى و أبلى في الذيـــاد شبوله دون استـــباحة معقل الأحـــرار (1)

و في آخر القصيدة يخلص الشاعر معاش إلى دعوة الجزائريين إلى اليقظة ، فإن محجتهم إلى تحرير وطنهم صارت بيضاء ليلها كنهارها، لأن الله قد ألهمهم ودلهم على طريق الخلاص لتحرير بلادهم من ذئاب الاستعمار.

فهل استفاق من الكرى متقاعس و رأى محجتهم ذوو الأبصار
فالله يلهـــم عبـــده و يدلـــه ما لم يخض بالإثم في الأقذار
و الخلق رهن فـــعاله و بخـــيرها يرقى مراقي صفوة الأخيار
خير الجزا يجـــزى به متديـــن حي العقيدة في الإله الباري
ترك التدين و التخلق و النهى ترك البلاد لأذؤب استعمار (2)

أما مالك حداد فإن « الحرب تثير في نفسه ذكرى أليمة هي ذكرى الثامن ماي 1945 حين كان فتى صغيرا و شاهدا لمآسي آلاف الضحايا ، إذ كان يشعر بالغثيان لما يسمع، إنه يتمنى أن ينشد أعذب الألحان، و لكن ذلك لا يتأتى له إذا كانت رائحة البارود تملأ الجو و تزكم الأنوف و تسد الحلوق» .(3)

وفي هذا الشأن يقول الشاعر مالك حداد:

---

(1)معاش، أحمد الطيب، « ذكرى 8ماي بين دلال الألب وجلال الأطلس»،جريدة البصائر،ع230 ، 1953. ص 5.
(2) المصدر نفسه .المكان نفسه.
(3)ركيبي، عبد الله:الشعر في زمن الحرية، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر،1994م.ص 147.

لاحقا

سننظم مقاطع للغناء

أتقزز من البارود

و أفهم في البارود

لكني أفضل خطوبة الزنبق في شهر مايو

شهر يذكرني بقالمة

و لا وجود فيه ليوم غير مشهود (1)

ثم يصور الشاعر تلك الريح العاتية ، ريح الثورة و الغضب، التي ستثأر للجزائريين جميعا،بقوله :

ريح عاتية

واقفة

عريضة

تاريخية

تمنحنا عنفوان الشباب

كي نثأر لشعراتنا البيضاء (2)

و الشاعر عيسى حمو النوري يخاطب المستعمر بلهجة فيها تحذير صريح من شعب لايعترف بالجبن و الخور.

قد تعالت همـــم الأحرار في قوة تنشد في المجد كيـــانا

فاحذر البادرة الكبرى على يقظات الغد لن تلقى سوانا

نحن شعب خاب من ظن بنـــا خورا أو أننا نثني العنانـــا(3)

و يواصل الشاعر في لهجة تحمل الكثير من التحدي و الوعيد بثورة يفتك فيها الحـــق عنـــوة و تكال فيها فرنسا الكيل كيلين.

و اقتل الشعب و حـــاول محقه جاهرا إنك لاتلقـــى جبانا

إن تـــحاولـــه تحـــاول عبثـــا فلهيب الحرب يذكيه أسانا

---

(1)حداد، مالك: الشقاء في خطر. ص ص 27 ،28.

(2) المصدر نفسه.ص41.

(3)النوري، عيسى حمو،« الجزائر و حوادث 8 ماي 45»،جريدة المجاهد، ع716، 1974. ص 40.

إن للثامن مـــن مايو الذي كان في وجه فرنسا سرطـــانا

خير تصميم لحـــرب مقبل يشهد العالم فيه مـــن نمـــانا

فتكـــت فيه بشعـــب آمن ثم قالت إن عنـــدي مهرجانا
فستأتي ساعـــة نرقبهـــا فنكيل الشـــر أضعـــافا عدانا
نأخذ الحـــق كريما عنوة كيف ترضـــى الحق مجانا عـــيانا
بدم قد يكتب الله لـــه نصـــرة إن كـــان في الله تفانى

.....

فارتقب يا خصم يوما إنه صورة من يومكم هذا نـــمانا
فيه تجني المر مما اكتسبت لك يمـــناك زمانا بحمانـــــا (1)

« ومما يزيد في قيمة هذه القصيدة الوثائقية، أن الشاعر لم يكتف فيها بـــنقل الحـــدث بحرارتـــه و عنفوانه، بل لقد تجاوز ذلك إلى استشراف ما بعد الحدث، مشيرا إشارات صريحة إلى ثورة نوفمبر التي كانت المردود الإيجابي الكبير لمجازر الثامن من ماي 1945».(2)

وإذا كانت قصيدة أحداث ماي قد قامت برسالتها في التعبئة السياسية و إعداد الشعب للثورة من أجل افتكاك الاستقلال ، فكيف أصبح الشاعر ينظر إلى الثورة و إلى الاستقلال و الحرية بعد تحقيقهما؟

إن الشاعر بعدما أكد على عدم النسيان، و كان يتقلب بين الألم و الأمل و يراوح، بين الدعاء و الرجاء ،و طورا يجنح إلى التهديد و الوعيد، و أحيانا يصرح بعـــدما كـــان يـــلمح إلى الـــثورة و الاستقلال، فهاهو بعد الاستقلال يبقى وفيا لهذه الثورة متغنيا بها، لكن حلقات النضال و الكفاح متواصلة بعد الاستقلال، ومضمون الثورة ينتقل من تحرير الأرض إلى الاهتمام بالمحتوى الاقتصادي والاجتماعي ،وفي هذا يقول عبد الله ركيبي : « إذا كان الشعراء ...قد ركزوا على الجانب السياسي في مفهومهم للحرية و الاستقلال و عبروا عن تعطشهم للحرية و شوقهم إليها و نضالهم في سبيلها فإنهم بعد تحقيقها أصبحت نظرتهم تهتم بمحتواها الاجتماعي إلى جانب المحتوى السياسي بل أيضا اهتموا بالمحتوى الاقتصادي». (3)

---

(1)النوري، عيسى حمو،« الجزائر و حوادث 8 ماي 45»،جريدة المجاهد، ع716، 1974. ص 40.

(2) عن جريدة المجاهد ، العدد نفسه.المكان نفسه.

(3)ركيبي، عبد الله: الشعر في زمن الحرية. ص 95.

« ولعل أبعاد عدم النسيان التي استسرها كل من « العيد و الإبراهيمي» عقب أحداث 8 ماي صدعت بها قصيدة « ميلاد التحرير» التي حيا بها « محمد العيد» استقلال الجزائر». (1) حيث أشاد بالكفاح الذي حقق السيادة و التحرير، و قضى بتعريب الجزائر، بعد ما كان يراد لها أن تكون

فرنسية لغة و هوية، و بعدما أبان الشعب عن المرهفات و الأتراس و قطع حبل الوصال مع الباغي خاطبه بلغة السلاح فانبلج الصباح.

وطني المفدى بالكفاح تحررا و مصيره بعد النجاح تقررا
فابن الجزائر صار سيد أرضها و الغاصب المحتل ولى مدبرا
بشرى لنابحكومة عربية شعبية رعت البلاد لتعمرا
قد كان تحرير الجزائر غاية مثلى لثورتنا و فتحا أكبرا
أبدى نظاما للرشاد ممهدا وأقام حكما للبلاد مطورا
و قضى بتعريب الجزائر كلها مستقبحا تغريبها مستنكرا
سوت حكومته مشاكل أمنها فاستأمنت شعبا وعزت عسكرا
جمعية الأمم اصطفتهادولة و بنت لها بين المنابر منبرا
هي سؤلنا الأسمى الذي من أجله ثرنا على الباغي المغير لنثأرا
لم ننس (مايو) لا و لا مأساته حتى جبهنا الغاصب المتجبرا
لما ازدرى بحقوقنا متصلبا في كبره قلنا له (أطرق كرى)
و تحولت لغة التخاطب بيننا لغة بها جو السلاح تعكرا (2)

وإذا كان الشاعر محمد العيد آل خليفة ،يعد أول من كتب في أحداث 8ماي 1945 شعرا في قصيدة (لا أنسى) ،وبقي وفيا لهذه الذكرى حين حياها بقصيدته (ميلاد التحرير)بعد الاستقلال،فإن أحمد الطيب معاش هو الآخر شاءت له الأقدار أن يعيش فرحة الاستقلال، بل ويساهم في العمل السياسي وفي بناء الدولة الجزائرية المستقلة ،وليس غريبا من شاعر ومجاهد وطني كمعاش أن يبقى وفيا لذكرى شهداء 8ماي 1945 بحيث يخلدها في قصيدته الثانية (في ذكرى الشهداء) التي نظمها عام1958 .وإذا كان محمد العيد قد نادى بتعريب الجزائر ورفض فرنستها ،فإن معاش هو الآخر يؤكد على هذه المعاني الوطنية في قوله :

---

(1)حرفي،صالح:الشعر الجزائري.ص214.

(2)خليفة،محمد العيد محمد علي:الديوان .ص ص 443، 444.

متعربون برغم فرنسة طغت مستبسلون بدعم حزب مفتدي

.....

فتراثنا يأبى التفرنس والهوى وبلادنا لاتطمئن لملحد
إن التفرنس نكبة مدروسة ومخطط يرمي لمابعد الغد (1)

ومن باب الوفاء للشهداء فإن الشاعر يوجه الكثير من النصح للجزائريين كي يحافظوا على الاستقلال، ويدعوهم إلى الوحدة ،ويحذرهم من الطامعين ومن ذئاب الأمس الذين يحنون إلى ديار الجزائر ، بل إلى ديار العرب جميعا ،وكأني بالشاعر يستشرف الأحداث التي ستقع بعد الثمانينيات من القرن الماضي ،يقول الشاعر :

يا أيها الأحياء هل من عــودة للصف بــعــد المشــرب المتعدد؟
يا أيها الأحياء هل من أوبــة منا لنــهج واحد و مـــــوحــد؟
فالدين في غبن فهل من ناصــح و العرب في خطر فهل مــن منجــد؟
و الطامعون بنفــطنا و دمائــنا يخفون ناب الــغدر طــي تـــــودّد...
و نعاجنا تعطي الكثــيرتكــرما و جزاؤها نــصل و طعــنة معــتــد
فذئابهــم دومــاتحــن لحــيــنا و كلابهــم تعــنى بكــل ممـــــدد..
أيديهــمو ســود بنــصل أبيض و جسومــهم بيــض بــقــلب أسود(2)

إذن وكما قامت القصيدة بدورها النضالي في التعبئة السياسية ، ونشر الوعي وتحريض الجزائريين على الثورة لافتكاك الحقوق ،بقيت القصيدة تلعب دورها بعد الاستقلال في الحفاظ على مكاسب الثورة التي دفعت الجزائر ضريبتها ثقيلة طيلة العهد الاستعماري ،ولعل الشعراء الذين عاشوا هذه الحقبة المظلمة ،وشهدوا أحداث 8ماي 1945 ،وبعدها أحداث ثورة نوفمبر ، كانوا من أكثر الشعراء إجلالا للشهداء ،كما كانوا أقدرهم على فهم حقيقة الاستعمار.

---

(1) معاش ، أحمد الطيب :التراويح وأغاني الخيام .ص ص502 ، 503.

(2)المصدر نفسه.ص 503.

5- تمجيــد ماي و الإشادة بالشهــداء:

لكل أمة أيام من التاريخ تحييها كلما حلت الذكرى ، و لا فرق في ذلك بين أيام السعد و أيام النحس، ففي كل عبرة.والدهر يبتلي الإنسان كما يبتلي الأمم ، و الأمم تمر بفترات تأخذ فيها بأسباب القوةو الغلبة فتقهر الزمان، و قد تبتلى بالضعف و الخنوع فتسام الخسف، وتلبس جلباب الذلة و الهوان ،يقول الشاعر الأندلسي أبو البقاء الرندي:

فجائع الدهر أنواع منوعة و للزمان مسرات و أحزان

وللحوادث سلوان يهونها وما لما حل بالإسلام سلوان(1)

وحديثا ابتليت الأمة العربية بالاستعمار،وكان أن دفعت ضريبة الدم من أجل الخلاص، وقدمت قوافل من الشهداء في سبيل الغادة الحمراء فكان المهر غاليا، و ليس أغلى من هذا المهر أن نجود بالدموع على الشهداء الخالدين و أن نشيد بمآثرهم تكريما و إجلالا ووفاء لذكراهم،كلما حلت الذكريات و استجدت المناسبات ،و شعراؤناكثيرا ما بكوا ماي ذارفين الدموع و العبرات، حتى أسمي ماي بشهر الدماء و الدموع،يقول الشاعر الربيع بوشامة :

كيف يطوي الزمان أروع ذكرى من دماء و أدمع كاللآلى

سوف تبقى في الدهر رمزا يؤدي عبرا حية إلى الأجيال (2)

فمن حق ثامن ماي أن يمجد و من حق شهداء المجزرة أن يكرموا و يشاد بذكرهم الطيب، تماما مثلما نمجد نوفمبر و نشيد بثورته، و هل ثورة نوفمبر إلا سليلة ثامن ماي ، و ما أحداث الثامن ماي إلا الأم الشرعية الأصيلة لثورة نوفمبر 1954، فقد كانت النذير للغاصبين و الموقع لشهادة جلاء الظالمين، فهي أحق بالذكر و التشريف،يقول الشاعر ابن العقون :

ذكرى على مر الزمان تكرر لمجاهدين جهادهم لا ينكر

ضحوا بأنفسهم لشعب مسلم و النفس أنجع للفداء و أجدر (3)

و شاعر الاستقلال حين يذكر ماي يمجد ذلك اليوم و يشيد بفضل الشهداء ،يقول السائحي الكبير:

أيها الذاهبون أمس ضحايـــا أخصبت بعدكم رمال وبيد (4)

---

(1) نقلاعن :الدقاق ،عمر : ملامح الشعر الأندلسي ، دار الشرق العربي،بيروت ،لبنان ،دون تاريخ.ص311.

(2)بوشامة، الربيع:الديوان. ص 52.

(3) العقون، عبد الكريم ،« الكون ضاق بكل حكم جائر ...»،جريدة البصائر ،ع155 ،1951.ص 7.

(4) السائحي ،محمد الأخضر :همسات وصرخات .ص81.

فالجزائر قد أزهرت فيها نبتة الحرية التي سقتها دماء الشهداء ، و بعد أن تحقق الحلم ذابت الأحزان و بقيت العبرة و الدرس في قلوب ثورية الأهواء.

أيها الذاهبون أمس ضحايا لم تضع في التراب أي ضحية

ذكركم لا يزال كالأمس حيا في قلوب تعي الكرامة حية (1)

و ثامن ماي حقق المجد و السيادة للوطن الجزائر، و الشهداء أجدر بالتحية على مر العصور:

يومكم يوم مجدنا و علانا يا ضحايا الجـــزائر العربـــية

فعليكم مدى القرون سلام وعليكم مـــدى القرون تحيـــة (2)

و السائحي الصغير مثل السائحي الكبير يرى أن دماء شهداء ماي التي سقت شجرة الحرية ،كانت سببا في نمو الحياة و الشعوب.

يا دماء الشهيد

لست دماء

أنت نار على العدى و خطوب

أنت نور إلى الجزائر يسعى

فيه تنمو الحياة، تنمو الشعوب (3)

وأما شاعر الثورة مفدي زكريا فيخلد الذكرى في الإلياذة و يتيه مفتخرا بالشهداء الخالدين بل يعدد الأماكن التي قدمت بالأمس أفواج الشهداء ، و هاهي اليوم تزدهي بالبطولة و تنتشي بالصباح الجديد.

و يا ذكريات الدمـــاء الغوالي أفـــيضي جلالك ملء نشيـــــدي

و يا لعنات السماء انـــزلي صواعـــق، فوق الظلوم الحـــقود

و يا زهرة ، زرعتـــها دمانا وفتحنها بالصبـــــــاح الجديـــد

ألا، ضمخي مهجات الضحايا بخراطـــة المجد ربـــض الأســـود

تنافحك عموشـــــة الخـــالد ين، عبيرا ، فيخـــجل عطر الورود

وهـــزي بـــعـــزتنا في بـــني عـــزيزالمغاويـــر،صـــدرالوجـــود

---

(1)السائحي، محمد الأخضر: المصدر السابق. ص 81.

(2)المصدر نفسه .ص 81.

(3) السائحي، محمد الأخضر عبد القادر: الكهوف المضيئة. ص 80.

و تيهي بمن شيدوا للبقآ و من كتبوا صفحات الخلود

و من قرر للبلاد المصير بنار الحجـــــى ، و بنار الوقود (1)

وإن ذكر مفدي زكريا خراطة وعموشة وبني عزيزفهو لا ينسى قالمة التي صبت سخطها على الآثمين و عصفت بلئام فرنسا أمثال (لستراد كاربونيل) طاغية قسنطينة،و (آشياري) جلاد قالمة اللذين كان لهما أياد سوداء على الجزائريين في أحداث8ماي1945.

و قالمة تزهـــو بحمامهـــــــا يهدهد معسول أحلامـــها

يشيع البخار تباريحهـــــــا ويشكو مواجع آلامهـــا

و يرجـــــف بركانها ساخطا فيمسخ صناع آثامـــهـــا

.....

و يا تربة أغرقت في الدمـــاء هواتك حرمـــة أرحامها

و يا بلدة عصفت باللئـــــام و حمق فرنسا و حكامـــها

و لفت شرارتهـــــــــا آشيا ري و كان عدوا لإسلامها

و فار بتنـــــــــورها كاربنال فأصبح كاربون حمامهـــا (2)

و ابن رقطان يؤكد وفاءه لماي و أن الجزائر ستلتقي معه في كل منعرج من السنة لتخليد من ذهبوا ضحايا الغدر ، و الوفاء لهم ببناء الوطن و تشييده، و الاستنارة بقيم ماي.

سنلتقي معه في كل منعـــرج من الزمان نجاري أعظم الأمم

و نبتني في ربى التوحيد نهضـــتنا يبلى الزمان ولا تبلى من القدم

إنا انطلقنا مع الدنيـــا عباقرة نعيد أروع ما شدناه من قيم (3)

و أحمد معاش يستهل قصيدته الثانية في تخليد شهداء ماي بالدعوة إلى تأديـــة الـــتحية للـــشهيد و تخليد ملاحمه والسعادة بالتحرر بفضله، و لذا كان الشهيد أجدر بالدعاء و الترحم في كل صلاة.

حي الشهيد يوم ماي الأسود و اكتب ملاحمه بباب المسجـــد

و اسعد بحظك في التحرر بعـــده و اركع بذكراه الأليمة و اسجد (4)

---

(1)الشيخ، مفدي زكريا: الإلياذة. ص 51.

(2)المصدر نفسه. ص 57.

(3)بن رقطان، محمد: الأضواء الخالدة. ص 36.

(4)معاش، أحمد الطيب:التراويح وأغاني الخيام. ص 501.

وماي رمز البطولة و الفداء و العزة ، ففي ذكراه الأربعين يهنئ معاش الشهداء الذين بفضلهم تحقق الحلم.

يا يوم قالمة الجريحة مـــثلنا يا يـــوم واديّ الدمـــاء،الأمـــجد

يا ماي أبطال التحرر و الفدا يا شهر عزتنـــا بيـــومـــك أوغد

يوم الجزائر كلها لا تنكروا يوم البطـــولـــة والفـــدا و المـــحتد

يا ثلث قرن أو يزيد فإننا جئنا نبايع بالفؤاد وباليد
جئناك عام الأربعين نزفها بشرى لسيدة الجهادو سيد
و نقول للجمع الذي ضحى هنا بالروح، روحك أثمرت في الموعد
و تحقق الحلم الذي قد طالما ملأ النفوس برغم ماي الأسود (1)

وإذا كان الشاعر قد استهل القصيدة داعيا إلى تذكر الشهداء حين الركوع و السجود ،فإنه يؤكد على هذا المعنى في أكثر من موضع من هذه القصيدة المطولة التي تدل على نفس طويل في الشعر وقدرة فائقة على النظم.

والشاعر وابن رقطان في قصيدته(عار الحضارة)، التي خلد بهاذكرى8ماي رفقة معاش في السنة نفسها (1958) ، هو الآخر يخلد ذكرى شهداء ماي و يؤكد على الوفاء لهم:

فيا أيها الراحلون الكرام سقطتم على أرضكم بحراره
ثقوا أيها الخالدون الأباة بأن الجزائر تبقى مناره
و يبقى الوفاء بأرض الوفاء مآثر شعب يحب الصداره (2)

ومحمد الشبوكي في السنة نفسها أيضا يخلد ذكرى ماي في قصيدته " لولا نوفمبر" ،ويؤكد على معاني الوفاء، حيث أن الشعب اتحد و اتجه بعد معركة التحرير إلى معركة البناء، و يشهد ماي على عروبة الجزائر و إسلامها ،كما فعل قبله محمد العيد و معاش.

و راح شعب الفدا بيني جزائره الرأي متحد و الصف ملتئم
تقوده جبهة التحرير رائده لا يعتريه ملال لا ولاسأم
هذي المشاريع في الميدان شاهدة في كل صقع يرى كسب و مغتنم

---

(1)معاش، أحمد الطيب:التراويح وأغاني الخيام ،المصدر السابق. ص 501.

(2)بن رقطان، محمد: زفرات البوح. ص 13.

مسيرة الخلق و الإنتاج زاحفة بقطرنا الحر و الآمال تبتسم
فاشهد لنا شهر ماي أننا عرب تسمو بنا الضاد و الإسلام والشيم (1)

« إن الكلمة لا تخلد الحدث في ذاكرة الأمة فقط، و لكنها حين ترى الأمة بحاجة إلى التعبئة للتخلص من الاستعمار، فالشاعر يدعو إلى استخلاص العبر و إلى التحرر، والمتشبع بالقيم الإسلامية يستلهم التاريخ و يقوم بإسقاط أحداث سياسية و تاريخية على أحداث حاضرة». (2)

ويشيد الشاعر المولود مهري ببلدته وادي الزناتي التي قدمت الأحرار في سبيل الشهادة، بل هو يذكر بعض الشهداء بأسمائهم تخليدا لذكرهم:

إن " وادي الزناتي" قاسى اضطهادا لا يطاق إذ أنجـــــب الأحرارا

منهم الشهيدان مغزي محمـــد و " الطويل" من نالا الاستبشارا (3)

وإذا كان ابن رقطان قد أكد (بأن الجزائر تبقى منارة)، فإن المولود مهري يؤكد هو الآخر أن (ثامن ماي) يبقى منارا) يستنير به الشعب في بناء فخر الوطن،كما يختم القصيدة بوقفة ترحم و دعاء لمن بهم الجزائر أضحت منارا :

فاعلمي يا فرنسا علما يقينا أن ثـــامـــن مـــاي يـــبقـــى منارا

كي يضيء الطريق في كل وقت لشـــباب بهـــم نعـــيد الـــفـــخارا

.....

فارحم الله السادة الشهداء وجميع الصنـــادد الأحـــــرارا

فبهم حققت بلادي الأماني ولكل الشعوب أضحـــت منارا

من سناه فازوا بخـــير المـــبادي كي ينالوا سيـــــادة و فـــخارا

و بتاج الرضوان تـــوج إلاهي من بهم نلنا رفـــعـــة وفـــتخارا

فلقد باعوا أنفسا طـــاهرات كي نعيد العلا و نحـــيي ازدهـــارا

و بخير الجزا تفضل علـــيهم أعطهم في الجنان أعـــلـــى قرارا (4)

هذه خلاصة لما جمعناه من تمجيد الشعراء لذكرى أحداث 8ماي 1945 ،ولما ينبغي أن يخلد به شهداء تلك الأحداث ،وشهداء الجزائر عامة في كل مراحل كفاحها ضد الاستعمار .

---

(1)الشبوكي ، محمد:الديوان.ص94.

(2)من حوار أجريته مع الشاعر بن رقطان محمد.

(3) مهري ،مولود،ضمن كتاب:رحاب ،محمد الصالح:رجال ومواقف .ص13.

(4) المصدر نفسه.ص14.

الفـــــصـــل الـــثـــاني:

الـــــتشـــكـــيل الفـــني في قـــصـــائـــد 8 مـــاي 1945 .

أولا:ظـــواهـــر لـــغـــوية وتـــعـــبـــيرية:

تـــمـــهـــيد.

1 - ألـــفـــاظ ودلالات.

2 - تـــكـــرار العبارات.

3- ثنائيـــة القوة واللين في التعـــبير.

4 - الخـــطـــابـــيـــة.

ثـــانـــيا: الـــــــصـــورة والموســـيقـــى:

تـــمهـــيد

1- الصـــورة الـــشعـــرية:

أ - بنية الصورة الشـــعرية.

ب- الـــرمـــز.

2- المـــوســـيـــقى:

أ - الأوزان.

ب- الـــقافية.

ج- ظـــاهرة التصريع.

أولا:ظـــــواهـــر لـــــغوية وتـــعبير

تـــمـــهـــيد:

بداية لابد من القول بأن اللغة هي الأداة الأهم في الأدب وفي قصيدة الشعرية على وجه الخصوص ،ثم إن الأسلوب لايعني مجرد هذه اللغة التي يوظفها الأديب وإنما يعني كذلك المعاني التي تتضمنها النصوص الأدبية والشعرية على وجه الخصوص ،ولذلك فإننا حين نتحدث عن المعاني فليس ذلك بعيدا عن أسلوب الكاتب أو الشاعر. ولابد كذلك أن نشير إلى أن النصوص التي قيلت حول أحداث 8ماي 1945 هي نصوص أدبية قبل كل شيء ولذلك فإنما يقال عن اللغة والأسلوب في أية قصيدة شعرية يقال كذلك في قصائد 8ماي 1945 مع فارق في الموضوع الذي تطرقه هذه القصائد بخلاف غيرها من القصائد في موضوعات أخرى، وسنحاول في هذا السياق إبراز أهم الظواهر اللغوية والتعبيرية التي تشير إلى أساليب الشعراء في هذه القصائد .

1-ألفاظ ودلالات:

أ- الاستعمار :

إذا كانت مادة الشعر الألفاظ والكلمات ،فإن هذه الألفاظ والكلمات تحمل دلالات ومعاني قد تكون حقيقية وقد تكون رمزية إيحائية في لغة الشاعر ، ومن الألفاظ التي كانت حاضرة بشكل مكثف في قصائد ماي لفظ الاستعمار بمرادفاته المختلفة ،هذا اللفظ الذي كان الشاعر الجزائري يتحفظ في توظيفه على الرغم من أن الاستعمار حاضر في وجدانه ضاغط على مشاعره، ويلاحظ الدارس أن الشعراء الجزائريين أيام الاحتلال كثيرا ما كانوا يلجأ ون إلى مسميات أخرى للاستعمار بألفاظ تلمح ولا تصرح«فلا مخرج من اللف والدوران في تجسيد محنة الجزائر ،ولا مهرب من بنيات الطريق في مطاردة المتهم الطاغية، إن التلميح والتعريض هنا عين البلاغة بينما يثير التصريح متاعب جديدة ،الشعب في غنى عنها بتخبطه في تركة لمتاعب سابقة .إن (الدهر) و(الزمن) و(الحياة) و(القدر)، لا تحمل وراءها إلا مسمى واحدا هو (المستعمر) ». (1)

وحسبنا أن نمثل ببعض الشعر الجزائري الذي كتب قبل أحداث ماي ، يقول الشاعر محمد اللقاني ابن السايح مخاطبا الدهر :

---

(1) خرفي ،صالح:شعر المقاومة الجزائرية ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر، دون تاريخ.ص239.

يا دهر رفقا بأغنـــام مقطعـــة عشـــى بمربضنـــا سيد ليبلينـــا

يا دهر مالك لا ترثي لحالتنـــا يا دهر رفقا بأقـــوام مصابينـــا

إن كان شأنك إرضاء العدو بنا فدون هذا به يرضى معادينـــا(1)

ويقول الشاعر محمد السعيد الزاهري في هذا المعنى :

طوى الدهر قومي غير أن حديثهم سيبقى مع الأيام رغم المكابـــر

سيحييـــهم النـــشء الجديد فـــإنه يغار على أجداده في المقابـــر(2)

أما الشاعر أبو اليقظان، فهويخاطب الغرب قائلا :

لا تته يا غـــرب فالـــظلـــم لـــه أمـــد إن حل حلـــتك بلايـــا

فبنوك الصـــم عاثـــوا وبـــغـــوا فأثاروا عنـــهم كل الرعـــايا(3)

إن لفظ الاستعمار ومدلوله في هذه الأمثلة المختارة - وغيرها كثير- هو(الدهر ،والعدو والمعادي والمكابر، والغرب)،إن كل هذه المسميات وإن لم تشر إليه صراحة فهي تعنيه في عمق الشاعر وذاته فالاستعمار غائب حاضر في الآن نفسه .

يذكر يحي الشيخ صالح في دراسة له في هذا الشأن حول(كتاب شعراء الجزائر في العصر الحاضر)، لمحمد الزاهري «بالنسبة للمصطلح نلحظ شجاعة عند محمد الزاهري في استخدام لفظة " الاستعمار" أحيانا،وهي لفظة لم تكن شائعة كثيرا آنذاك لدى الكتاب والشعراء ، الذين كان الكثير منهم يستبدل بها كلمات أخرى مثل الدهر ،الظلام وغيرها». (4)

وهذا الحديث فيه إشارة إلى أن الزاهري كان يذكر لفظ الاستعمار في شروحه وتعليقاته حول الأشعار التي حواها الكتاب،ومن ذلك قوله في مقدمة الجزء الأول :

« وماذا عساك تجد من الإسعاف في أمة أدباءها معدمون ،وأغنياءها – إلا القليل- منهم جاهلون لا

---

(1) الزاهري ،محمد الهادي :شعراء الجزائر في العصر الحاضر ،الجزء الأول ،الطبعة الأولى ،المطبعة التونسية، تونس 1344هـ-1926م.ص ص 38،39.

(2) المرجع نفسه .ص74.

(3) المرجع نفسه.ص119.

(4) الشيخ صالح،يحي، «البعد الوطني عند أدباء العشرينات من خلال كتاب شعراء الجزائر»،مجلة العلوم الإنسانية ،ع9،منشورات جامعة قسنطينة ،1998م.ص130.

تسمع لهم في الصالحات ركزا ،مع ما للاستعمار من توغل وللجهل من تأصل ».(1)

ولكن بعد تقصينا وبحثنا في كتاب(شعراء الجزائر في العصر الحاضر) وجدنا أن محمد الزاهري لا يذكر لفظ الاستعمار في هذا المقام فحسب،بل هو يصرح باللفظ في آخر قصيدة له من الجزء الأول من الكتاب إذ يستهلها بقوله:

أين أرضي وجنـــتي وديـــاري ؟. أصبحت ضيعة للاستعمـــــار(2)

بل هو يكررااللفظ في آخر القصيدة مستعملا اسم الفاعل (مستعمر) .

كـــم لمستعمـــر البلاد فصـــول مثلت مـــن وراء ذاك الستـــــار(3)

وإذا كان شاعر العشرينيات يملك هذه الشجاعة والجرأة في أن يصدع بكلمة الاستعمار (لفظا ودلالة) ،فما مصير هذا اللفظ في الأدبيات الشعرية للحركة الوطنية بعد مجزرة 8 ماي 1945؟

لقد أصيب بعض الشعراء بالذهول ،ولاذوا إلى الانطواء والصمت بعد الأحداث،وحين خرجوا من صمتهم ظهرت في أشعارهم نبرة الأسى والحزن ،وشاعت ألفاظ التلميح والاحتمال حول مدلول (الاستعمار) .وإن كان معدل الكلمات التي تذكر الاستعمار صراحة في قصائد ماي ضئيلا جدا ،مع أن المنطق يتوقع حضورها بشكل مكثف ،فقد أفسح المجال لكلمات هي في حقيقة الأمر معاني قريبة من اللفظ أو صفات له «وما أعظم الفرق بين أدب يقبل عليه أصحابه ،وهم آمنون مطمئنون لايسعى إليهم الخوف ولايدبر لهم الكيد،وأدب ينتجه قوم يختلسون الفراغ له اختلاسا ويسترقون العناية به استراقا،ويجدون من حولهم ماهو خليق أن يبغض إليهم الأدب ويصرفهم عنه صرفا يشقون في أنفسهم ويشقون بشقاء من حولهم من الناس،ولاتتاح لهم الوسائل اليسيرة للإعراب في صراحة وأمن عما يجدون من شقاوتهم وشقاوة الناس »(4) إلا أن محمد العيد وعلى الرغم من أنه كان من شعراء الإصلاح، فقد كان من المبادرين إلى الكتابة في أحداث ماي،كما كان من المبادرين أيضا إلى ذكر المستعمرين باللفظ ،وذلك في موضعين من قصيدته السينية فأما الموضع الأول فقوله :

---

(1) الزاهري ،محمد الهادي:شعراء الجزائر في العصر الحاضر ،ج1.ص9.

(2) المرجع نفسه.ص199.

(3) المرجع نفسه .ص200.

(4) حسين ، طه :خصام ونقد ،الطبعة الحادية عشرة، دار العلم للملايين،بيروت،لبنان،مارس1982م.ص164.

وينعى علـــى المستعمرين دجنـــة من الحكم طالت لا تضاء بنبراس(1)

وأما الموضع الثاني ،فقوله يخاطب المستعمرين :

فيا أيها المستــعمرون تنزهـــــوا ولا تسموا وجه الحــياة بأرجاس(2)

لقد ذكر الشاعر لفظة المستعمرين مرتين في القصيدة، وربط معنى الاستعمار بالظلامية (دجنة)والرجس،كما أنه يستعمل في مواضع أخرى من القصيدة ألفاظا هي صفات للاستعماريين مثل (الأراذل ،الأنكاس ،غير راحم ،غير محق).إن ذكر المستعمرين مرتين في القصيدة ثم تعميق المعنى بهذه المرادفات التي تحقره وتحط من شأنه في قصيدة تعد من أول ما كتب في أحداث 8ماي يدل على جرأة الشاعر وشجاعته في قول الحق ،على الرغم من أن محمد العيد هو شاعر الحركة الإصلاحية المتمثلة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتي كثيرا ما اتهمت بسياسة اللين والمهادنة مع الاستعمار،وإذا كان هذا يصدر من شاعر الحركة الإصلاحية فإن هذا يعني أنها حركة مقاومة للاستعمار مناهضة له وبالأخص بعد أحداث 8ماي 1945.وإذا تركنا محمد العيد وجدنا الإبراهيمي رئيس الحركة الإصلاحية آنذاك هو الآخر قد توعد العدو في مقالته حول أحداث ماي بلفظ صريح (لك الويل أيها الاستعمار) ،كما صرح باللفظ كتاب المقالات المدروسة في الباب الأول من هذا البحث ،وذلك في قصيدته (ذكرى 8 ماي) حين وصف الاستعمار بالوحش ،ودعاه بالقوم .

ذكـــــراك يــا يـــــوم تحــز فــي الأحشـــــا

إذ أقــبــل الــقــــــوم وحــش تلا وحشـــــــــا(3)

والربيع بوشامة يصرح بلفظ المستعمر مرة واحدة في قصيدته اللامية .

ويل شعب مستعبد يترجـــى رحمـــة مـــن عـــدوه القتـــال

ويمنّى سعادة وازدهـــــارا من دخيل مستعمر دجـــال(4)

كما يوظف الشاعر من الأسماء والصفات للاستعمار(الناقم ،الغشام ،الحكام ،الظالم ،المستهتر الهدام، الظلم ،الغرب ،المنافق ،المحتال ،الخصم ،الطاغي ،الطغاة ،المستبد ،العدو ،القتال ،الدخيل الدجال ،الظلوم، الخصوم) . والشاعر عبد الكريم العقون يصف المستعمرين بالطغاة :

---

(1) خليفة ،محمد العيد محمد علي : الديوان .ص326.

(2) المصدر نفسه.ص327.

(3) الإبراهيمي ،محمد البشير :عيون البصائر ،ج2 .ص367.

(4) بوشامة ،الربيع:الديوان .ص52.

جـــدوا فإن الشعب يخلع قيده رغم الطغاة ،وبالحقوق سيظفر(1)

والشاعر ابن رحمون يصفهم بـــ (العصابة، والحقود الشاني ،والباغين) .

والظلم في كل المصـــائب لين إلا على ظلم الحقود الشاني(2)

وفي قصيدة(أثامن ماي !..) يستعمل الشاعر ألفاظا و معاني طالما تكررت في قاموس الشعراء الجزائريين في العشرينيات مثل (الدهر ،الدنيا ،ذوي الجور) .

مصائرنا كالشمس باديـــة السنـــا نموت جميعا أو نميت ذوي الجور (3)

وفي قصيدة (كيف السلو؟..) يصف الشاعر المستعمرين (بأهل البغي، والخصم) .

ما ذنبهم عند أهل البغي غير هوى سام فللغادة الحمراء قد عشقـــوا

لا تحسبوا أن نار الشعب خامـــدة فخصمه بلظاها ســـوف يحـــترق(4)

وأحمد معاش يذكر الاستعمار مرتين في قصيدته عام 1953 ،كما يصف المستعمرين بالذئاب في آخر بيت من القصيدة .

في الموت إحياء الموات وفي الشقـــا إنقـــاذ أشبـــال من استعمـــــار(5)

.....

تـــرك التديـــن والتخلق والنهـــى تـــرك البـــلاد لأذؤب استعمـــار(6)

كما يستعمل الشاعر كغيره من الشعراء من الألفاظ و المعاني والصفات ما هو مرادفات للاستعمار مثل (العدو ،الأشرار ،العدا ،الغازي ،الحكام المتجبر ،العاتي ،المستكبر) ،وعيسى حمو النوري يوظف كلمة مستعمر ،كما يستعمل من المسميات (فرنسا ، الخصم ،البغي ،العدا) .

إن هذا الموروث اللغوي حول معاني لفظة (الاستعمار) استمر و شاع حتى بعد الاستقلال في قصائد 8 ماي 1945 ،ذلك لان الشاعر يوحي و يوعز و لا يصرح ،فمن الألفاظ الدالة على الاستعمار في قصائد ماي بعد الاستقلال (الغاصب ،المحتل ،الباغي ،المغير ،المتجبر ، اللئام ،الغادر العدا ،الدخيل ، الشقاء ، الأحلاس ،الظلوم ،الحقود ،المعتدي ،القامع ،المتطاول ،الغزاة) .

و إذا كان بعض الدارسين يرى بأن لفظة الاستعمار غير موظفة بشكل واسع أيام الاحتلال فإنها

---

(1)العقون ، عبد الكريم ،«االكون ضاق بكل حكم جائر ... » ،جريدة البصائر ،ع 155، 1951 .ص 7 .

(2)ابن رحمون ، أبو بكر مصطفى :الديوان . ص 143 .

(3)إبراهيم ،« أثامن ماي ! » ، جريدة المنار ، ع 4 ، 1952 .ص3 .

(4)« كيف السلو ؟..» ،جريدة المنار ، ع 42 ،1953 . ص 3.

(5)معاش ،أحمد الطيب ، «ذكرى 8 ماي بين دلال الألب و جلال الأطلس» ،جريدة البصائر ،ع 230 ،1953 . ص 5

(6)معاش ،أحمد الطيب ،المصدر نفسه . المكان نفسه .

كانت حاضرة في قصائد أحداث 8 ماي 1945 ،كما أن الشعراء توسعوا في معنى هذه اللفظة عن طريق بدائل لفظية أخرى هي في حقيقة الأمر مسميات أخرى للاستعمار أو مرادفات أو صـــفات له و هي في مجموعها تحمل دلالات سلبية عمقت المعنى ودلت على ظلم الاستعمار و ظلاميـــته،و بغيه و تجبره ،وهذا يعني أن روح المقاومة لدى شعراء الجزائر كانت حاضرة و إن تعددت بألفاظ و تعابير مختلفة ،ومن الألفاظ الأخرى التي يقارب توظيفها ،توظيف لفظ الاستعمار كلمة الثورة .

ب - الثـــــورة:

إن ثورة السلاح ،لا بد أن تسبقها دائما ثورة فكرية ، أو لنقل ثورة أدبية ، تهيئ النفوس وتشحذ الهمم في الشعوب ، لتنفض عن جفوننا الخمول والنوم ، فتترع ثوب الذلة والهوان «فالأدب يثور قبل أن تثور السياسة ،وثورة الأدب هي التي تمهد الطريق لثورة السياسة ، لأنها تهيئ قلوب الناس ونفوسهم وعقولهم ،تبغض إليهم نظاما قائما ،وتحبب إليهم نظما تحقق لهم آمالا تمتد إليها عقولهم وتقصر عنها أيديهم،و ليست الثورة السياسية آخر الأمر إلا استجابة لثورة العقول و القلوب والنفوس التي يحدثها الأدب ، وتحدثها مع الأدب مؤثرات أخرى ».(1)

والأدب الجزائري قبل الثورة لم يشذ عن هذه القاعدة « فإن التوقيت المعروف للثورة المسلحة الأخيرة ،لن يكون بذي بال بالنسبة للشعر ،فإن ما يمكن أن يطرحه هذا التوقيت من مواقف وبطولات ،عاشه الشعر تطلعا واستشرافا من سنين عديدة ». (2) ولعل ما يؤكد هذا الرأي شيوع مسميات كثيرة للثورة منذ العشرينيات في قاموس الشعراء الجزائريين ، فالشاعر محمد اللقاني بن السايح يدعو الله تعالى قائلا :

فامدد بروح منك ينهض شعبنـــا مـــن غفـــلة أودت به ورقـــاد

دام هذا الحال بـــــين رؤوسنـــا فالموت أشرف عائـــد أو عـــاد(3)

فالنهضة من أجل تغيير الحال لا تتم إلا عن طريق الموت الشريف ،والشاعرأبو اليقظان يستعمل الموت والجهاد كمعاني للثورة في قصيدته (مدارج الخلاص والتحرير) .

إن فـــي المـــوت لطلاب العلا لحيـــاة لا حـــياة أهـــل الدنايـــا

إنما الدنيـــا جهـــاد من ينـــــم يومه داســـته أقـــدام الرزايـــا(4)

---

(1) حسين، طه :خصام ونقد . ص157 .

(2) خرفي ،صالح:الشعر الجزائري.ص223.

(3) الزاهري، محمد الهادي:شعراء الجزائر في العصر الحاضر،ج1.ص53.

(4) المرجع نفسه.ص ص 117، 118.

أما مفدي زكريا فهو في (نشيد الشهداء) الذي نظمه بسجن بربروس في الزنزانة رقم65عام 1937م،وفي سنة 1956 صدر الأمر من جبهة التحرير الوطني إلى المحكوم عليهم بالإعدام أن يرددوه قبل الصعود إلى المقصلة، يردد الشاعر اللازمة وفيها لفظا الكفاح والجهاد .

لا نـــمل الكفـــــــاح لا نمـــل الجهـــــــاد

في سبـــيل البـــــــــلاد(1)

ومع أن هذا الكلام جريء ومبكر،لكن هل نشر هذا النشيد في وقته أم بقي مخطوطا ،وبالتالي يفقد جرأته إن لم يظهر إلا بعد نشر الديوان ،«ومن الظواهر التي تؤكد ميلاد الثورة في 1945 ،هذا المولد المفاجئ لـــ (النشيد الثوري) في ظل أحداث ماي الدموية». (2)

من جبالنا طلع صوت الأحـــرار ينـــادينـــا للاستـــقـــلال

ينـــادينـــا لـــلاستقـــلال لاستقـــلال وطنـــنـــا

تـــضحيتـــنـــا لـــلوطـــن خـــيـــر مـــن الحـــيـــاة

أضحـــــــي بحيـــاتـــــي وبمـــا لـــي عـــلـــيـــــه(3)

إن هذه الأناشيد التي هتف بها الشعب و لم يعرف لها قائل ،تدعو إلى التضحية وتؤكد على الاستقلال . «كان نشيد (من جبالنا طلع صوت الأحرار) بعد عام من نكبة ماي صرخة صادقة تتغنى بالجبال ملاذا أخيرا للمقاومة الوطنية ،صرخة من الأعماق نطق بها لسان مفدي زكريا ».(4) فما هي مسميات الثورة في قصائدأحداث ماي ؟ إن القاموس الخاص بمعاني الثورة لم يتطور كثيرا عما كان سائدا من مسمياتها قبل الأحداث ،فإلى جانب (الجهاد والكفاح) يستعمل الربيع بوشامة لفظ (النضال) كسبيل إلى العيش الحر ،في قوله مخاطبا المواطن الجزائري عام :

خـــل عنك الخيـــال والوهم واطلب عيشك الحر بالقوى والنضـــال(5)

وعبد الكريم العـــقون يوظف لفظ الجهاد في مطلع قصيدته عام 1953 كلفظ ديني كما يصف الثائرين في ماي بالمجاهدين:

ذكـــرى علـــى مـــر الزمان تكـــرر لمجاهديـــن جهـــادهم لا ينكـــر(6)

---

(1) الشيخ ،مفدي زكريا:اللهب المقدس.ص84.

(2) خرفي،صالح:الشعر الجزائري.ص217.

(3)كتاب الأناشيد الوطنية ، دار الآفاق ،الجزائر،دون تاريخ.ص4.

(4) رماني،إبراهيم:أوراق في النقد الأدبي،الطبعة الأولى،دار الشهاب ،باتنة ،الجزائر،1985م.ص55 .

(5) بوشامة ، الربيع:الديوان.ص52.

(6) العقون ،عبد الكريم،«الكون ضاق بكل حكم جائر ...»،جريدة البصائر،ع155، 1951.ص7.

كما نلفي الشاعر يوظف ألفاظا أخرى دالة على الثورة مثل (الفداء ،النضال ،الموت الكفاح) وإن كان استهل القصيدة بالأسلوب الخبري، فإنه في آخر القصيدة يستعمل الأمرفي الدعوة إلى النضال :

آن الأوان فجـــددوا بنضـــالكـــــم مجـــدا تليـــدا للبـــــلاد يسطـــر(1)

أما ابن رحمون فهو -من خلال النصوص الشعرية في أحداث ماي -أول من استعمل لفظ الثورة يصف به الأحداث :

وتـــرونـــه إن قـــام ينشـــد حقـــــــه أهـــلا لكـــل مذلـــة وهـــــــوان

وتعـــد ثورتـــــه علـــــى آثامهـــــم غضبـــا لفقد الخبـــز والكتـــــان (2)

إنها ثورة على آثام الاستعمار ،ثورة تطالب بالحقوق المشروعة في الحرية والاستقلال،وإن وصفتها بعض الجهات الفرنسية والأجنبية بأنها (ثورة طعام)،وفي قصيدة (أثامن ماي **!..**) يؤكد الشاعر في آخر بيت أن تحقيق المصير مرهون بالموت تعبيرا عن الثورة:

مصائرنـــا كالشمس باديـــة السنـــــا نموت جميعا أو نميت ذوي الجور(3)

أما قصيدة (كيف السلو؟**..**) التي أغفل فيها اسم ناظمها ،فهي لا تغفل معنى الثورة بل إن الشاعر يحشد لهذا المعنى من الألفاظ (النار ،اللظى ،يحترق)، وهذا في آخر بيت من القصيدة.

لا تحسبـــوا أن نـــار الشعب خامـــدة فخصمـــه بلظاها سوف يحتـــرق (4)

«والارتباط واضح بين النار والثورة ،والشعرهو جسر الرؤية الثورية ».(5)ومعاش لا يذهب بعيدا عن المعنى الوارد في قصيدة (أثامن ماي **!..**)في الدلالة عن الثورة إذ يرى أن الموت سبيل إلى الحياة والتخلص من براثن الاستعمار .

في الموت إحياء الموات وفي الشقـــــا إنقاذ أشبال مـــن استعمـــــار(6)

أما عيسى حمو النوري فيتخذ لمعنى الثورة لفظ الحرب ،وهي ليست ببعيدة لا عن معنى الثورة ولا عن تاريخ اندلاع الثورة:

---

(1) العقون ،عبد الكريم،«الكون ضاق بكل حكم جائر ...»،جريدة البصائر،ع155، 1951.ص7.

(2) ابن رحمون،أبو بكر مصطفى:الديوان.ص144.

(3)إبراهيم، «أثامن ماي ! ..»،جريدة المنار ،ع4، 1952.ص3.

(4) «كيف السلو؟.»،جريدة المنار ،ع42، 1953.ص3.

(5)رماني،إبراهيم:أوراق في النقد الأدبي.ص11.

(6) معاش ، أحمد الطيب،«ذكرى 8ماي بين دلال الألب وجلال الأطلس»،جريدة البصائر ، ع230، 1953.ص5.

إن للشـــامن مـــن مايـــو الـــذي كان في وجـــه فرنـــسا سرطانـــا

خيـــر تصميـــم لحـــرب مقبـــل يشهد العالـــم فيـــه مـــن نمانـــا

فستـــأتـــي ساعـــــة نرقبهـــــا فنكيل الشر أضعافـــا عدانـــــا(1)

إن هذا الاستشراف متميز لدى هذا الشاعر،حيث توعد بالثورة واستعمل التسويف القريب (فستأتي ساعة نرقبها)، «فالشعر تسجيل رائع للثورة وهي ماتزال جنينا إلى أن تولدوهي حين تخرج موفورة القوة إلى الحياة ،يكون الشعر هو أول من يستقبلها ويهش لها ويقيم لها الأفراح ،ألم يشارك الشعر نفسه في وضع بذرتها وفي تعهدها ؟! »(2)،وإذا كانت الألفاظ الدالة على الاستعمار حاضرة بشكل واضح في قصائد8ماي فذلك يدل على أن هذا الشعر كان شعرا مقاوما،وكذلك حضرت هذه الألفاظ في قصائد ماي بعد الاستقلال أيضا بالكلمات(الفداء،صوت الرصاص،الملحمة) .

وفي سياق الحديث عن الألفاظ التي وظفها الشعراء في إطار ردود أفعالهم حول أحداث 8ماي وفي إطار المقاومة بشكل عام ،نلاحظ توظيف الحرية وإن اختلفت مسمياتها.

ج- الحريـــــة :

كما اعتنقت القصيدة الثورة - وإن اختلفت مسمياتها - منذ سنوات قبل انطلاقها،كذلك عانق الشاعر الحرية والاستقلال وإن اختلفت التسميات ،فالصلة بين الثورة والاستعمار والحرية وطيدة جدا وما الأولى إلا طريق للثانية ،وما الثانية إلا نتيجة للأولى وكلتاهما رد فعل ضد الاستعمار فأينما قلبت النظر في الشعر الجزائري، وجدت التحام معاني الثورة بمعاني الحرية ،فأبو اليقظان يستهل قصيدته (مدارج الخلاص والتحرير) بقوله :

ابن صرح المجد عن أس الضحايـــا وأشد عرش العـــلا رغم البلايـــا

خض غمـــار الهول غوصـــا إنمـــا لؤلـــؤ التيجـــان فـــي بحر المنايـــا

إن فـــي المـــوت لطـــلاب العـــلا لحيـــاة ،لا حيـــــاة أهـــل الدنايـــا(3)

إن (المجد والعلا) ما هي إلا مسميات أخرى للحرية،ثم إن الشاعر لا يكتفي بهذا التلميح ،بل إن رؤياه واضحة وصريحة ،فهو يسمي الأشياء بمسمياتها في القصيدة نفسها حين يجهر بلفظ الحرية قائلا:

---

(1) النوري ،عيسى حمو، «الجزائر وحوادث 8ماي 45 »،جريدة المجاهد، ع716، 1974.ص40.

(2) إسماعيل،عز الدين:الشعر في إطار العصر الثوري ،الطبعة الثانية ،دار الحداثة ،بيروت ،لبنان،1985م .ص97.

(3)الزاهري،محمد الهادي:شعراء الجزائر في العصر الحاضر،ج1.ص117 .

أي شعب نـــال ما نـــال إذا لم يقدم سلفـــا تلك الهدايـــــا

أي شعـــب نـــال حريتـــــه وهو لم يطلع لها تـــلك الثنايـــا(1)

وهو يربط بين الجهاد والاستقلال في موضع آخر من القصيدة حين يقول :

فلكم شعب ضعيف هـــب من نومه وافتـــه أصناف التـــحايـــا

فإذا جـــاهد فـــي استقلالـــه مستميتا نال أنـــواع العطايـــــا(2)

ولقد وجدنا في سياق القصيدة عبارة يلفها شيء من الغموض جاء فيها : (ومنها بعد بيتان لا يتعادلان مع مزاج الضيف الثقيل)،ومع أننا لانعرف بالضبط صياغة البيتين ومضمونهما إلا أننا نشير إلى أن ماقام به الزاهري من حذف يعد ظلما في حق الشاعر،فمالذي يمكن أن يحذفه الزاهري أشد من هذا ؟فالشاعر قد جاهر بالجهاد والحرية والاستقلال ،وما أحرى الضيف الثقيل بأن يغضب ويتعكر مزاجه ! فيبطش بالشاعر.

وإذا كان بعض الدارسين يرى بأن الشاعرمحمد العيد أول من صرح بالاستقلال والحرية حين قال:«ولعل محمد العيد أول من صرح بالاستقلال والحرية والعلم والجيش الوطني من بين إخوانه الشعراء الجزائريين – وهو منهم – كانوا يختبئون وراء الكلمات ولا يصرخون بما يودون ،ولذلك كثرت في شعرهم العبارات المحتملة والمبهمة ،من ذلك إطلاق الأسر على الاستعمار والحمى على الوطن والحمراء على الحرية والمجد على الاستقلال» .(3) وهذا تعليقا على أبيات لمحمد العيد ،من قصيدة نشرها في جريدة المنار سنة 1950 ،يذكر فيها الحرية والاستقلال في قوله :

الأسر طال بكـــم فطال عناؤكم فكوا القيود وحطموا الأغلالا

والشعب ضج من المظالم فانشدوا حـــرية تحميـــه واستقـــلالا(4)

وحين تأملنا في قصائد ماي وجدنا مسميات كثيرة للحرية والاستقلال بعضها شاع لدى شعراء العشرينيات،فمحمد العيد مثلا يشبه ذلك الوعد الكاذب من فرنسا بتحرير الجزائر بالرحيق في قوله:

وينشد(عهدا) كالرحيق أمامـــه ترقرق مفترا وأشرق في الكاس(5)

ولكن من خلال القصائد التي بين أيدينا ،نلاحظ أن الربيع بوشامة يعد من المبادرين إلى المطالبة

---

(1) الزاهري،محمد الهادي:المرجع السابق .ص118.

(2) المرجع نفسه.ص119.

(3)سعد الله ، أبو القاسم:دراسات في الادب الجزائري الحديث .ص45.

(4) خليفة،محمد العيد محمد علي:الديوان.ص339.

(5)المصدر نفسه .ص325..

بالعيش الحر والاستقلال صراحة من خلال قصيدته اللامية في وصف أحداث ماي،فهو بعد أن يمهد بألفاظ ،(الرحمة ،والسعادة ،والازدهار)- وهي ألفاظ دالة على الحرية - يجهر بطلب العيش الحر وإرادة الشعب للاستقلال مدركا أن ذلك المطلب لا يتحقق إلا بالقوى والنضال .

ويل شعب مستعبد يترجى رحمة من عدوه القتال

ويمنى سعادة وازدهارا من دخيل مستعمر دجال

.....

خل عنك الخيال والوهم واطلب عيشك الحر بالقوى والنضال

.....

إننا أمة الكرامة والعز نريد الحياة في استقلال(1)

والجدير بالإشارة هنا أن الارتباط بين معاني (الاستعمار والثورة والحرية) كان ظاهرة شائعة في قصائد ماي فمن الصعوبة الفصل بين هذه المعاني الثلاثة ،ذلك لأن الحديث عن الحرية يقتضي الحديث عن سبيلها وهو الثورة ،كما يستدعي ذكر سالبها وهو الاستعمار .

وعبد الكريم العقون يذكر من معاني الحرية (الحياة الطليقة ،والمجد ،والعلا) ،كما يعبر عنها بألفاظ دالة عليها مثل (العلياء ،وخلع القيد،والحقوق)،والحقوق لاتحصل إلا بالجد والعمل الثوري.

يا فتية الوطن الكرام وجنده هبوا إلى العلياء لا تتأخروا

جدوا فإن الشعب يخلع قيده رغم الطغاة وبالحقوق سيظفر(2)

وابن رحمون تتكرر في قصيدته لفظتا (الحق والحقوق) ،وفي قصيدة (أثامن ماي !..) يستعمل صاحبها مثل الشاعر عبد الكريم العقون لفظتي (العلياء والعلا) ،وفي قصيدة (كيف السّلوّ ؟..) يستعير الشاعر للحرية لفظ (الغادة الحمراء) ،التي حرمها الجزائريون فعشقوها .

ما ذنبهم عند أهل البغي غير هوى سام فللغادة الحمراء قد عشقوا (3)

أما الشاعر عيسى حمو النوري، فهو يكرر لمعنى الحرية لفظا من مشتقاتها هو (التحرير) .

إيه يا مستعمرا أحنقه صوت شعب سيم خسفا وهوانا

رفع الصوت يدوي معلنا أن حق الشعب في التحرير حانا

.....

---

(1) بوشامة ،الربيع: الديوان.ص52.

(2) العقون ،عبد الكريم،«الكون ضاق بكل حكم جائر ...»،جريدة البصائر،ع155، 1951.ص7..

(3) «كيف السلو؟.»،جريدة المنار ،ع42، 1953.ص3.

يطلب الإنجاز للوعـــد الذي عده الحـــر علـــى الحر مصانـــا

وعد تحرير لشعـــب يـــائس سلب العـــزة بغيـــا وامتـــهانـــا(1)

حقا إن الثورة الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر رفعت شعارات الحرية والإخاء والمساواة،كما رفعتها أصوات متحررة أخرى في الغرب، لكن ثمار هذه الشعارات كانت محصورة في حدود المواطنين الغربيين دون سواهم من سكان البلاد المستعمرة،فلو كتب تاريخ فرنسا بأقلام من نور ،فإن أحداث ماي تمحو ذلك التاريخ كله .تلك ألفاظ مفتاحيه تكررت في قصائد ماي ،وهي عينة من الألفاظ والدلالات التي تؤكد على رد فعل الشعراء ومقاومتهم للاستعمار ،وإيمانهم بحقوق شعبهم في التحرر والاستقلال،وذلك لا يتأتى إلا بتحريض الشعب ضد المستعمر ،وتحريكه من أجل الثورة .وكما تكررت هذه الألفاظ وتعددت مرادفاتها ،ودلالاتها ،كذلك تكررت العبارات في قصائد ماي .

2- تكـــرار العبارات:

إلى جانب شيوع مسميات كثيرة للاستعمار، والثورة، والحرية ،وورودها متكررة عبرقصائد ماي شاعت ظاهرة لغوية أخرى وهي تكرار العبارة ،إما بلفظها أو مع تغيير أو تصرف في اللفظ وعادة ما يكون التكرار بغرض التأكيد على المعنى ،والإلحاح على الفكرة «إن الفكرة عندما تفرض نفسها على الشاعر، ويريد التعبير عنها تظل حاضرة وتلح عليه ويحس بأنه لم يعطها حقها ،فلا بد من عملية تفريغ للفكرة التي تفرض نفسها ،كما قد يبدو ذلك تكرارا لكنه يعبر في كل مرة عن جزء من الفكرة».(2)

ومن أمثلة هذا التكرار أن الإبراهيمي ينادي يوم ثامن ماي في مطلع القصيدة، ثم لا يفتأ يعود إلى تكرار هذا النداء ،بعبارة هي أقرب إلى عنوان القصيدة (ذكرى 8 ماي)،وذلك ليؤكد على أن الذكرى مفزعة ،كلما لاحت تجددت معها الآلام والأحزان ،لذلك فهي تبقى خالدة لا يأتي عليها النسيان على مر السنين .

ذكـــراك يـــا يـــوم تحـــز فـــي الأحشـــــا

إذ أقبـــــل القـــــوم وحـــش تـــــلا وحشـــا

* * *

---

(1) النوري ،عيسى حمو، «الجزائر وحوادث 8ماي 45 »،جريدة المجاهد، ع716، 1974.ص40.

(2) من حوار مع الشاعر محمد بن رقطان .

يـــا يـــوم لم تـــشـــرق شمـــس علـــــى مثـــــلك

آل الضحى مغرق والملتجى مهلك

* * *

ذكراك يا يوم لا تأتلي حوما

تعتاد في النوم فتطرد النوما

* * *

يا يوم ذكراكا لم تبرح البالا

لو طاف مسراكا بالليث ما صالا(1)

وفي قصيدة (أثامن ماي! ..)ينادي الشاعر ثامن ماي كالإبراهيمي مع تغيير في عبارة النداء .

أثامن ماي ما بذا الكون مسعف يهدئ آلام القلوب ولا مبري

أثامن ماي لا تكنّ صدورنا لوقعتك العظمى سوى أعظم النكر(2)

إن الشاعر يلح على عبارة (أثامن ماي) ،والتي وردت أيضا عنوانا للقصيدة مستعملا الهمزة حرف نداء ،والهمزة تستعمل لنداء القريب ،فما أقرب فظائع ماي إلى نفس الشاعر وما أشد وقعها في صدور الجزائريين رغم مرور سبع سنوات ،وهي الفترة الفاصلة بين الأحداث وتاريخ نظم هذه القصيدة . وكما أكد الإبراهيمي عام 1948 على أن الذكرى الأليمة خالدة في النفوس ،فإن هذا المعنى يتكرر في قصيدة (أثامن ماي !..) وبعبارة متكررة أيضا .

وقائعك الهوجاء ما انفك نقعها يجول بأجواء الجزائر لا يسري

وقائعك الهوجاء ما انفك ذكرها يدوي بفكري ،خلدته يد الدهر(3)

فكما أن وقائع ماي مخلدة في الصدر فإن ذكرها مايزال مدويا في فكر الشاعر،وما دامت الأحداث المؤلمة متجددة ،بل إنها تعيش في وجدان الجزائريين، فإن مصائرهم صارت كالشمس بادية السنا ،والشاعر نفسه يؤكد على هذا المعنى بتكرار صدر البيت في آخر القصيدة .

مصائرنا كالشمس بادية السنا وكل امرئ - لا ريب -سوف بها يدري

مصائرنا كالشمس بادية السنا نموت جميعا أو نميت ذوي الجور(4)

---

(1) الإبراهيمي،محمد البشير :عيون البصائر ،ج2.ص ص 367، 368.

(2) إبراهيم، «أثامن ماي ! ..»،جريدة المنار ،ع4، 1952.ص3.

(3) المصدر نفسه.المكان نفسه.

(4) المصدر نفسه.المكان نفسه.

وفي قصيدة (كيف السلو ؟.) يكرر الشاعر أيضا عنوان القصيدة مرة باللفظ ومرتين بالمعنى ولعل العناوين كما تكررت في القصائد ،فإن بعض الشعراء اتخذوا صدرا من البيت أو عبارة منه عنوانا للقصيدة ،وتلاحظ هذه الظاهرة لدى الربيع بوشامة في قصائده الثلاثة حول ماي وعبد الكريم العـــقون ،كما حدث ذلك أيضا في قصيدة (أثامن ماي!..)،وقصيدة (كيف السلو؟.)،التي يقول صاحبها :

كيف السلو وقد باتت تروعنـــي مأساة ماي فيبكـــي القلب والحـــدق ؟
كيف السبيل إلى نسيان حادثـــة نكراء يرفض مـــن تذكارهـــا الأرق ؟
كيف السبيل إلى نسيان كارثـــة قد عمنا من لظاها الذعـــر والفـــرق ؟(1)

فالشاعر يؤكد على عدم نسيان المأساة ،وإن استعمل لذلك أساليب الاستفهام المتكررة ولعل المعاني التي أكد عليها الشعراء بتكرار العبارات في القصيدة الواحدة ،هي نفسها المعاني المتكررة في معظم القصائد ،وإن اختلفت القصائد و سنوات نظمها(*)، وذلك حتى يعبر الشعراء عن انفعالاتهم ومشاعرهم الصاخبة التي انحبست في صدورهم ،فيعمقوا الحزن في نفوس الجزائريين كلما تجددت أحداث ماي من أجل دفعهم إلى الثأر لجراحاتهم . و عليه فإن تكرار أجزاء من الأبيات أو تكرار ألفاظ معينة في قصائد ماي إنما يدل أو يؤكد على حقيقة مفادها أن الشعراء يشتركون في هذه الظاهرة التي تفيد مقاومة المحتل حتى بعدم النسيان .و كذلك تراوحت لغة الشعراء بين القوة و الجزالة حين وصفوا فظائع ماي ودعوا إلى الثأركما اتسمت باللين و الرقة حين صوروا مشاعرهم الذاتية .

3- ثنائية القوة و اللين في التعبير:

تبدو مهارة الشاعر في ملاءمته الدقيقة بين ألفاظه و معانيـــه ،فالـــصياغة اللـــغوية تقوى أحيانا و أحيانا ترق و تعذب حتى تصبح كالماء ، ومن صفات الكتابة الشعرية شيئان متقابلان هـــما القـــوة و الرقة ،فالكتابة أحيانا تكون في حاجة إلى القوة لتثير القارئ كالكتابة في موضوع الحرب مثلا ،و في حاجة إلى الرقة لتنقل العاطفة في لطف كالكتابة في موضوع الحب ، و قد يجمع النص الواحد بين هذه الثنائية ،و مثاله قول جميل بثينة :

---

(1)«كيف السلو؟.»،جريدة المنار ، ع42، 1953.ص3.

(*) إن ظاهرة تكرار العبارة استمرت أيضا بعد الاستقلال من خلال القصائد التي تصف أحداث ماي ، حيث يقول الشاعر مولود مهري : إن قلبي قد أضعفته هموم حيث قالمة باتت تعاني الدمارا
إن قلبي قد أضعفته هموم حيث قاسى بنو سطيف البوارا
(مهري ،مولود ،ضمن كتاب : رحاب ،محمد الصالح :رجال ومواقف .ص13).

ألا أيها النوام ويحكم هبوا أسائلكم هل يقتل الرجل الحب

فقالوا: نعم حتى يسل عظامه ويتركه حيران ليس لـــه لـــب (1)

و يذهب إبراهيم أنيس إلى «أن المرء يتوقع في موسيقى ألفاظ الشعر الغزلي شيئا غير الذي يتوقعه في وصف معركة أو في هجاء أو في موضوع سياسي حماسي ، و لكن الشاعر في كل الحالات مقيد بألفاظ اللغة ، و ليس في مقدوره اختراع ألفاظ تنسجم كل الانسجام مع معانيه ، و لكنه يتخير من قاموس اللغة أصلح الألفاظ لمعانيه فيوفق في اختياره أحيانا و يفتقد ما يطلبه أحيانا أخرى ». (2)

و قصائد ماي تراوحت لغتها بين القوة و الجزالة من جانب، و اللين و الرقة من جانب آخر فمحمد العيد حين وصف فظائع ماي أحسن اختيار الألفاظ الملائمة للقوة و العنف والبطش،من مثل قوله:

ديار من السكان تخلى نكاية و عسفا و أحياء تساق لأرماس

وشيب و شبان يسامون ذلة بأنواع مكر لا تحد بمـــقيـــاس

وأحباس شر أجمعت سجناؤها و معتقلوها أنها شر أحـــباس

ومعتقلات في العراء مبيدة عليها لصوص في ملابس حـــراس (3)

لكن هذه العبارات ذات النبرة القوية، سرعان ما تفسح المجال لألفاظ و عبارات هي أقرب إلى التشبيب ، و وصف منظر من مناظر الترف و الرخاء التي تعيشها غانيات القصور في قوله :

وغيد من البيض الحسان أوانس تهان على أيدي أراذل أنكاس

ويسلبن من حلي لهن مرصع بكـــل كريم من جمـــان و ألـــماس

وينكبن في عرض لهن مطـــهر مصون الحواشي طيب العرف كالآس (4)

و في وصف ألفاظ اللغة بين الجزالة و الرقة ، يقول أحمد أمين مستدلا برأي ابن الأثير « هناك ألفاظ نتخيل فيها الجزالة دون الرقة، و ألفاظ رقيقة ، غير جزلة ، و ينبغي أن يستعمل كل في موضعه، فكما قال ابن الأثير: " هناك كلمات إذا سمعتها تخيلت رجالا قد ركبوا خيولهم و استلأموا

---

(1)جميل ،بثينة :الديوان ،جمعه وحققه و شرحه إميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي ،بيروت ،لبنان ،1425هـ /2004م . ص ص 28 ، 29 .

(2) أنيس، إبراهيم: موسيقى الشعر، الطبعة الثالثة ،مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة،مصر، 1965م. ص ص 42، 43.

(3)خليفة، محمد العيد محمد علي: الديوان. ص 326.

(4)المصدر نفسه . المكان نفسه.

سلاحهم، و ألفاظ أخرى تتخيل عند سماعها كأنها نساء حسان ، عليهن غلائل مصبغات، وقد تحلين بأصناف الحلي"». (1) فما أقرب الوصف الأخيرلكلمات محمد العيد الرقيقة و هو يصف النساء الجزائريات- و قد تعرضن للإهانة- وما أصدق الوصف الأول للألفاظ القوية الجزلة على قول الربيع بوشامة! و هو يصف فظائع ماي في قوله:

واستهانوا بقلبك ا لغض جهلا فأراقوا دمـــاءه كالغوالـــي
واستطالوا- حمقا- على ضعفك الأعزل بالــنار و الظــبى و الرجال
وابتغوكم للذبح- صبرا- على مر أى وسمــع من صبــية و أهـــال
وتباروا في القمع و العــسف و الإذ لال والمنــكرات جــهد النــكــال(2)

ومن أمثلة القوة و الجزالة في التعبير مطلع قصيدة ابن رحمون حين وصف هول الحادثة قائلا:

دوت كقصف الرعد في الآذان و تفجرت في الشرق كالــبركان (3)

فالشاعر قد حشد مجموعة من الأفعال والأسماء الدالة على الأصوات المدوية المتفجرة(دوت تفجرت) ، (القصف، الرعد ، البركان) ، و هذا المطلع من شأنه أن يلفت النظر ، و يقع من الأذان موقعا قويا ، و كأنه الأجراس المنذرة، ذلك«لأن الشعر هو أكثر الفنون انفجارا وتأثيرا بجرسه وعاطفته وحماسته وقدرته على التحريض والدفع والإثارة بطاقة مخزونة بقوة الشحنات الوجدانية العاصفة والأفكار المتفجرة المنطلقة، وكل الفنون الأخرى لها دورها في أدب الثورة، لكن الشاعر يبقى هو الجسر السهل والقريب ،الخطير والفعال في الوقت نفسه ويبقى الكهرباء ذات الشحنة المتوترة في أعماق الإنسان ،والتي تجري في عروق الشعب كدم يغلي داخل بركان ثائر ».(4) ومن المشاهد المفزعة المؤثرة وصف الشاعرابن رحمون أيضا للمجزرة.

في مشهد فيه الرصاص مع الدما كل يسبح بوابــل هــتان
فلرب أرملـــــة و رب يتيمة تهمي جفونهــما بدمع قان
فهنادم ملءالسهـــــول و ههنا دمع يسيل عليه كالعقيــان
وهنا سعير للســـــلاح و ههنا سقر الأسى وجهنم الأحزان (5)

---

(1) أمين ، أحمد: النقد الأدبي.ص73.

(2) بوشامة، الربيع: الديوان. ص 51.

(3)ابن رحمون، أبو بكر مصطفى: الديوان. ص 143.

(4)رماني،إبراهيم :أوراق في النقد الأدبي.ص ص 32،33.

(5) ابن رحمون، أبو بكر مصطفى: الديوان. ص 143.

لقد اجتمعت في هذه الأبيات ألفاظ ذات نبرة قوية مثل (الدم ،و الدمع) مكررة ،و(الرصاص و السلاح) و (السعير، و سقر ،و جهنم) ، و من الأفعال ما يحمل معنى القوة و الغزارة (يسح، تهمي يسيل)،و هذه القوة ، و الانفعال الحاد قد لا نجده في مواطن أخرى حين يجنح الشاعرنفسه إلى ما يسود الحكمة من هدوء و عقل ولين في التعبير:

و الحق من منح الإله و بسطه بين الرعية زينـــة الســـلطان
إن الحضارة قبة و العدل و الـــ عرفان في أرجائـــها شمـــسان
العدل عنوان المروءة في الـــورى أعظم به في الملك من عـــنوان !
لازال ميزانا لكـــل حضارة و لكل ملك ثابت الأركان (1)

«و من الانسجام أيضا الذي أدركه البلغاء التوافق بين الجمل و معانيها،فإذا كان المقام مقام قـــوة و بطش و كانت المعاني شديدة، ناسب أن تكون الألفاظ قوية كأنها الحجارة».(2) وهذا الحكم يتفق مع قول الشاعر أحمد معاش:

فالنار تهدر و المنايـــا حولنـــا تأتي على الفولاذ و الأحجار
و الأرض ترجف بالجحافل فوقها و الساح تعصف بالردى و النار
العـــــد يعجـــز و العتاد كأنه أطـــــواد بركان زحفن لثار (3)

« و إذا كان المعنى رقيقا وديعا وجب أن تختار له الجمل الرقيقة الوديعة» (4) ،وفي هذا يقول معاش في موضع آخر من القصيدة على لسان الأطلس معتزا بأشباله:

لله أشبـــــال تحف بهالتي فـــــي قلةلكنـــــم كسوار
قد طوقوا عنقي بعقد سماحهم ورموا على ساحي شنار العار
من عهد(يوغرطا) إلى أيامـــنا بالخلق صانوا موئل الأبرار
من كل ذي كرم على بأسائه من كل ذات حصانة ووقار
من كل شهم في الرجال معمم أوكل ذات غدائـــر و خمار (5)

---

(1)ابن رحمون، أبو بكر مصطفى: المصدر السابق. ص 145.

(2)أمين، أحمد: النقد الأدبي. ص 129.

(3) معاش ، أحمد الطيب،«ذكرى 8ماي بين دلال الألب وجلال الأطلس»،جريدة البصائر ، ع230، 1953.ص5.

(4)أمين، أحمد :النقد الأدبي. ص 129.

(5) معاش ، أحمد الطيب،«ذكرى 8ماي بين دلال الألب وجلال الأطلس»،جريدة البصائر ، ع230، 1953.ص5.

إن مأساة ماي كان لها أثر نفسي عميق في شعراء الجزائر حيث امتزج في قصائدهم الإحساس الحاد بالألم و الانطواء على الذات و التشاؤم إلى حد التفكير في الموت، و من جهة أخرى إرادة قوية للحياة ملؤها التفاؤل و التحدي للاستعمار ، فالمأساة التي فجرت المعاناة النفسية ،و أوجدت النبرة الهادئة الجريحة، فجرت أيضا مواقف التحدي و الإباء، فعبر الشاعر عن هذه المواقف في لهجة قويةوصوت مندفع، و هذه الازدواجية نجدها لدى شاعر آخر هو عيسى حمو النوري،حين تحدث بلسان الشاعر المتألم المأسور المنكسر :

و أبث الشعر آلامي التي صبحـــــــت تنـــتابني آنافآنا
و أنا المأسور في الأحياء لم أر في العيش سوى الرمس مكانا
عله يمنحنـــــي من جنبه عطفة تمـــــــلأ جنبي أمانا (1)

إن هذه النبرة المنكسرة سرعان ما تتحول إلى معاني التهديد، والوعيد ،و التحدي من خلال أفعال الأمر المتوالية(احذر، انفث، مزق، اصبغ، التمس، اقتل، حاول)في قول الشاعر :

فاحذر البادرة الكبرى على يقظات الغد لن تلـــقـــى سوانا
نحن شعب خاب من ظن بنا خورا أو أنـــنـــا نثني العـــنانا
انفث الســـم و مزق مهجا و اصبغ الآفـــاق طـــرا بدمـــانا
والتمس إسكات شعب ساءه أن يسام الخـــسف ذلا و الهـــوانا
واقتل الشعب وحاول محـــقه جاهرا إنك لاتـــلـــقـــى جبانا
إن تحـــــاوله تحاول عبـــثـــا فلهيب الحرب يذكيـــه أســـانا (2)

فالشاعر يجنح إلى التعابير اللينة الرقيقة حين يعرب عن ذاته وآلامه الشخصية ،ومشاعره الذاتية عن طريق الأنا ،لكنه سرعان مايتجاوز موقف الضعيف إلى موقف القوي، حين يتحدث عن الشعب الجزائري بصيغة الجمع ،فإذا بنبرة الانكسار والضعف تتحول إلى نبرة القوة والتحدي ،«وهكذا كانت أحداث ماي أو -المجزرة الأربعينية-التي ارتكبها الاحتلال في حق شعب لايملك إلا سلاح الإرادة والعزيمة ،ولايقاوم إلابقية من إيمان السنين الطوال ،الذي أصبح فيما بعد رصاصا قاتلا ،كانت هذه الأحداث البوتقة التي انصهرت فيها كل الجهود السياسية والإصلاحية لتولد بعد عقد من الزمن (جبهة التحرير الوطني)،وكان جريان الأحداث وتحولات الواقع السريعة بعد ماي حافزا قويا على دفع عجلة

---

(1)النوري، عيسى حمو، « الجزائر و حوادث 8 ماي 45»، جريدة المجاهد، ع716، 1974. ص 40.
(2)المصدر نفسه. المكان نفسه.

الثورة التي يتبناها الشعر في دعوته إليها صراحة »(1)،لذلك فإن الإسراف أو المبالغة في الطغيان والبطش لاينتهي لصالح الطاغية دائما ،مهما تصور أن تفوقه في قوى التدمير قد يكفل له النصر.

4- الخطابـــيـــة :

إذا كانت الطريقة الخطابية من الملامح التعبيرية التي سادت في المقالات التي كتبت في وصف أحداث ماي ،فإن هذا الملمح كان سمة حاضرة في قصائد أحداث ماي أيضا ،إن الشاعر تعرض لهزة عنيفة ،بعد الأحداث وإن وقع الصدمة كان قويا ،والموقف كان يستدعي الصراخ ،والشعراء لاذوا بالصمت فترة لكنهم أسروا آلامهم وأوجاعهم ،وحين عبروا عن أحاسيسهم الدفينة ،كان الموقف أقرب إلى الانفجار . ومحمد العيد واحد من هؤلاء « لقد فجر فيه هذا الشهر ينابيع الإحساس الأليم فبدأ قصيدته بالتساؤل وهو في ضيق وأسى ،هل يبقى صامتا وهادئا أمام جرائم العدو التي يتجرعها الشعب الجزائري ». (2) يقول الشاعر :

أأكتم وجدي أو أهدئ إحساســـي و(ثامن ماي) جرحه ماله آسي(3)

فمحمد العيد بعد أن صمت فترة بعد الأحداث ، يصرخ متسائلا ،ليبدي حيرته ويقف موقف المندهش المستغرب أمام ما جرى ،بل هو موقف العاجز الضعيف أمام قوي متسلط لا يرحم ،فالشاعر «إذا عبر عن غضبه بكلمات مريرة ،فإن الغضب لا يختفي ولكن يخف الثقل الذي كان يجده في نفسه من جرائه». (4) لذلك فمحمد العيد يلجأ إلى طريقة أخرى من طرق الخطابة ،فيرفع صوته بالاستغاثة عساه يخفف شيئا من الغضب الذي ينوء به ظهره ويمتلئ به صدره :

فيـــا لجريـــح ظل ينكـــأ جرحـــه ويـــؤذى بلا ذنب على أعين النـــاس
ويا لضعيف في الشعوب مـــعـــذب غدا تحت نير الظلـــم منحنـــي الراس
يضـــج ويستعـــدي بغير نتيجـــة ويشكـــو بلا جدوى إلى غير حـــساس(5)

إن الشاعر يستغيث مستعملا أداة الاستغاثة (يا) ،والمستغاث له (جريح ،وضعيف) وهو الجزائري والشعب الجزائري ،ولا يخفى أن المستغاث منه وبه هو الاستعمار فالشاعر كالمستجير من الرمضاء بالنار.

---

(1) رماني، إبراهيم : أوراق في النقد الأدبي .ص55 .

(2) درار ،أنيسة بركات:أدب النضال في الجزائر – سنة1945حتى الاستقلال-ص80.

(3)خليفة،محمد العيد محمد علي:الديوان.ص325.

(4) عباس ،إحسان :فن الشعر ،الطبعة السادسة ،دار الثقافة بيروت ،لبنان ،1979م.ص34.

(5) خليفة،محمد العيد محمد علي:الديوان.ص325.

«فالمرحلة إذن كانت تدفع الشاعر إلى أن يرفع صوتـــه ليكون جهيرا مثـــيرا للـــحماسة موقظا للهمم».(1)و من الاستغاثة ما يتضمن معنى التعجب و الاندهاش و الاستعظام، فما أعظم خطب ماي! فقد جل عن الوصف و التصوير،يقول محمد العيد:

فيا لك من خطب تعذر وصفه فلم تجر أقلام به فوق أطراس (2)

و بعد أن يمل شاعر الإصلاح من الاستغاثة و يسأم من الشكوى إلى غير راحم، يختم القصيدة بنبرة خطابية سافرة « فالشاعر حين يؤلف قصيدته يكون ذهنه مشغولا بالجماهير التي تستمع إليه و تصفق لكل بيت ...فهو ينشئ للآخرين، و من ثم تكون الموعظة هدفا من أهداف القصيدة لذلك تكثر أفعال الأمر و النهي و النفي و الدعاء و الاستفهام الإنكاري» .(3)و هذه الأساليب اجتمعت في آخر سينية محمد العيد.

فيا أيها المستعمرون تنزهوا و لا تسموا وجه الحياة بأرجاس
ألم يكفكم ما مر من قتل أنفس و من كم أفواه و من خنق أنفاس
و لا تطمعوا أن تستلينوا قلوبنا فتلك قناة لا تليـــــن لجساس
و يا أيها الشعب المروع لا تضق بدنياك ذرعا و اطرح خلق اليأس
وقل للذي آذاك لا وصـــل بيننا و موعدنا العـــقبى فما أنا بالناسي (4)

إن الأبيات تحمل الكثير من التقريع والتنديد بأفعال المستعمرين،كما تحمل الكثير من التحريض والإثارة للشعب الجزائري الذي وجب أن يقطع الحوار مع المستعمر ،ويخاطبه بلغة أخرى ،فالشاعر يصرخ في وجه المستعمر مستعملا النداء (ياأيها المستعمرون)، و يتبع النداء بفعل الأمر (تنزهوا) ويردفه بالنهي (لا تسموا)، و بعده الاستفهام الإنكاري(ألم يكفكم؟)، ثم يعود إلى النهي (لا تطمعوا) ثم يوجه الخطاب إلى الشعب مستعملا النداء (يا أيها الشعب)، و بعده النهي (لا تضق)، ثم الأمر (اطرح، قل) إلى جانب النفي. بل إن الشاعر لا يتردد في ضرب المثل(ضرب أخماسا لأسداس)(*) وتلك ظاهرة شائعة لدى الشاعر محمد العيد آل خليفة.

---

(1)ركيبي،عبد الله:قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر،ط3 ،الدار العربيةللكتاب،ليبيا/تونس،1397هـ/ 1977م.ص66.

(2)خليفة، محمد العيد محمد علي:الديوان. ص 326.

(3) ركيبي،عبد الله: الشعرالديني الجزائري الحديث،ط1،الشركة الوطنية للنشروالتوزيع،الجزائر،1401هـ/1981م.ص697.

(4) خليفة، محمد العيد محمد علي:الديوان. ص 327.

(*) (ضرب أخماسا لأسداس) الخمس و السدس من أظماء الإبل، و الأصل فيه أن الرجل إذا أراد سفرا بعيدا عود إبله أن تشرب خمسا، ثم سدسا حتى إذا أخذت في السير صبرت عن الماء. يضرب لمن يظهر شيئا و يريد غيره (ينظر، الميداني، أبو الفضل:مجمع الأمثال ، ج 1 . ص 418).

و قفت أجيل الطرف في الأرض باحثا و أضرب أخماسي الجميع بأسداسي

إذا بي أرى فيه الضعيـــف يجـــيله شراء و بيـــعا في الورى كل نخاس (1)

« يبدو أن النزعة الخطابية ،والطريقة التقريرية المباشرة ،هي من أبرز سمات شعر عهد الإصلاح ولعل هذا يعود إلى أن أغلب الشعراء كانوا أصحاب رسالة يتوجهون بها إلى الجماهير الشعبية،فالشعر في تقديرهم وفي ظروفهم تلك ،كان يتخذ أداة للنهوض ووسيلة من وسائل الدعوة إلى الإصلاح،وذلك ماجعل شعرهم يفتقد اللغة الشعرية ذات الأسلوب الإيحائي الهامس ».(2)

والربيع بوشامة يستهل قصيدته الميمية بالدعاء :

قبحت من شهر مدى الأعـــوام يا (ماي) كـــم فجعت من أقوام (3)

كما يختمها بالدعاء أيضا:

عجل لهذا (الغرب) من رب السما بـــقـــواصم مجـــتاحة و (غرام) (4)

فالشاعر يدعو على ماي بلفظ (قبحت) ثم يناديه (يا ماي)، و بعد النداء يستعمل (كم) الخبرية الدالة على التكثير(كم فجعت)، و هي من كنايات العدد ،و هو إنما يدعو على الاستعمار، لأنه جعل من هذا الشهر شهر الفجائع و الأحزان ، و بالتالي فهو يستحق التقبيح،كما جأر بالدعاء على الغرب في آخر بيت من القصيدة ،و إن كان استعمل الماضي للدعاء في (قبحت) ، فإنه اختار صيغة فعل الأمر في (عجل) .و بين الدعاء و الدعاء زخرت القصيدة بالصيغ الخطابية المتتابعة في الأبيات من نـــداء و استفهام و أمر ، كالتي استعملها محمد العيد. و من الصيغ الأخرى للطريقة الخطابية قول الشاعر أيضا مخاطبا ماي:

عجبا لوجهك كيف عاد لحاله من بعد أحداث عرتك جسام

هلا غربت عن الزمان و أهله فتريـــح هذا الناس من إيلام(5)

إن الشاعر يصطنع هنا صيغة التعـــجـــب السماعية (عجبا لوجهك)،ثم يتبعها بـــ (كيف) الاستفهامية التي ضمنها التعجب والإنكار أيضا (كيف عاد لحاله ؟)،ثم يستعمل حرف التحضيض (هلا)،الذي انتقل معناه إلى التوبيخ و التنديم حين دخل على الفعل الماضي.

---

(1) خليفة، محمد العيد محمد علي:الديوان. ص 326.

(2) ناصر ،محمد:رمضان حمود،حياته وآثاره،الطبعة الثانية،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1405هـ/1985م.ص43.

(3)بوشامه، الربيع: الديوان. ص 58.

(4) المصدر نفسه.ص60.

(5)المصدر نفسه.ص59.

وقصيدة بوشامة اللامية لا تختلف عن ميميته من حيث استعمال الصيغ الخطابية بين الحـــين

و الآخر لصرف الجزائريين عن الخيالات والأوهام ،وحثهم على النضال، حيث أنه« في هذه اللحظة يتجه الشاعر إلى جماهير شعبه الغافية بنبرة عالية توشك في بعض الأحيان أن تكون صراخا ،لايبغي من ذلك سوى تنبيهها إلى واقعها الأليم،وحثها على النهـــوض من كهوف التاريخ والخـــــروج إلى الحياة » (1) ،يقول الشاعر:

يا عزيزي يا ابن الجـــزائر هذا حلم خادع و شر الضلال
خل عنك الخيال و الوهم و اطلب عيشك الحر بالقوى و النضال
لا تخف سطوة الظـــلوم و لا تر هـــب جنا بالجنـــد المختال (2)

فالشاعر يؤكد على النداء مرتين متتابعتين ، و إن اختلف المنادى لفظا لا معنى (يا عزيزي يا ابن الجزائر)، كما يتكرر الأمر مرتيـــن متـــتابعتين (خل، و اطلب)، و يتكرر النهـــي أيضـــا مرتين متتاليتين (لا تخف، و لا ترهب)، و الشـــيء نـــفسه نجده لدى عبد الكريم العقون، وهذه الأساليب الخـــــطابية بمعانيها الداعية إلى النضال من أجل نيل الحقوق ،وعدم الخوف من الطغاة ،تتـــكرر في قصيدة عبد الكريم العقون حين يدعو فتية الجزائر إلى الجد والعمل اقتداء بأسلافهم ، فالقاسم المشترك بين الشعر والخطابة هو غاية الإقناع بأفضل السبل التعبيرية ،يقول الشاعر:

يا فتية الوطن الكرام و جنده هبوا إلى العلياء لا تتأخروا
جدوا فإن الشعب يخلع قيده رغم الطغاة ، و بالحقوق سيظفر
هيا اعملوا كي تخلفوا أجدادكم في الكون إن جدودكم ما قصروا (3)

فهو يستعمل النداء (يا فتية الوطن)، و بعد النداء يحثهم على العمل من أجل تحرير الوطن مستعملا أفعال الأمر (هبوا ،جدوا، هيا اعملوا)، كما ينهاهم عن التقاعس (لا تتأخروا)،و يعود الشاعر إلى النداء مخاطبا الشعب:

يا شعب كم لاقى شبابك من أذى ما زادهم إلا يقـــينا يبهر!
يا شعب لا يحـــزنـــك آلام بها ترقى إلى أوج الكمال و تفخر(4)

---

(1) إسماعيل ،عز الدين :الشعر في إطار العصر الثوري.ص97.

(2)بوشامة ،الربيع:الديوان .ص52.

(3) العقون،عبد الكريم،« الكون ضاق بكل حكم جائر ...»،جريدة البصائر ،ع155، 1951.ص7.

(4) المصدر نفسه.المكان نفسه.

فالشاعر يكررصيغة النداء (يا شعب)، ليكون على اتصال مباشر بآذان الشعب ، و إذا أردف النداء الأول بـــ (كم الخبرية) الدالة على التكثير ، (كم لاقى شبابك من أذى)، فإنه يردف النداء

الثاني بالنهي(لا يحزنك)، فالشاعر يهون على الشعب آلامه – رغم كثرتها –إن كانت سبيلا إلى العلياء. «و هذا الأسلوب الخطابي عاش أزهى أيامه عندما اكتست المحافل صبغة سياسية ثورية ...فظلت القوالب الخطابية كما عهدناها ، و استبدلت صيغها بما يتلاءم مع هذه المرحلة، فاستعيضت الدعوة إلى الإفاقة بالدعوة إلى الثورة، و توارت ألفاظ الإصلاح و النهضة و العلم، و حلت محلها ألفاظ النضال ، و السياسة، و الجهاد، لكن في قالب خطابي معهود» .(1)

وقد غدت قصيدة (كيف السلو؟.)، من كافها إلى قافها أي (من أول حرف في عنوانها إلى آخر حرف من البيت الأخير) مفعمة بالانفعالات الحادة التي انتابت الشاعر حين وقع ضحية يمزقها الأرق و القلق، و الذعر و الفرق، فإذا به يحشد ما أتيح له من صيغ خطابية، تمثلت في (النداء ،و القسم و الاستفهام المتكرر، و الترحم ،و التوجع ،و النهي ،إضافة إلى كم الخبرية)،يقول الشاعر:

هاجت شجوني و ساد الدمع و الأرق بمقلة ظل يذكي حرها القلق
يا ثامن اليوم من ماي أعدت لنا ذكرى مروعة دمعي بها غـــدق
تالله قد كنت مثل الريح عاصفة أو مثل صاعقة في صوتهاصـــلق
كيف السلو و قد باتت تروعني مأساة ماي فيبكي القلب والحدق
كيف السبيل إلى نسيان حادثة نكراء يرفض من تذكارهاالأرق
كيف السبيل إلى نسيان كارثة قد عمنا من لظاها الذعرو الفرق
ويح الجزائر قد باتت يروعـــها قوم لخيراتها من قبل قد ســـرقوا
كم من منازل في ماي بها خربـــت وكم أفاضل في ماي بها زهقـــوا
ما ذنبهم عند أهل البغي غير هـــوى سام فللغادة الحمراء قد عشقوا
لا تحسبوا أن نار الشعب خامدة فخصمه بلظاها سوف يحترق (2)

لقد اختلفت الأساليب الخطابية ههنا لأنه « في مثل هذه القضية تعلو النبرة الخطابية في القصائد الشعرية ،وقد تعلو حتى في النثر ،لأن وقع الحرب على النفوس يكون شديدا ،ولأن المشاعر تكون مستعدة للثورة ،ولأن جيشان النفوس لايقف أمامه المنطق والعقل ،وإنما العاطفة هي التي تقود الفرد

---

(1) خرفي، صالح:الشعر الجزائري.ص345.

(2) « كيف السلو؟.»،جريدة المنار ،ع42، 1953.ص3.

شاعرا أو غير شاعر،وهذا مايفسر الطابع الانفعالي الحاد والغضب الجارف في قصائد الشعراء في هذه الفترة».(1)و قصيدة معاش رغم ما تمتاز به من رمزية و إيحاء ، فإن بعض أبياتها قد غدا سلسلة من الأصوات و النداءات المتتابعة حين يقول على لسان (الألب) مخاطبا (الأطلس):

يا أطلس الهامات يا صنو الشرى يا مربع الآرام غيل ضـــوار

يا با عثا روح الحمية صامتا يا حادي (الثالوث) للأوطار

أنظر إلى الآساد حول سمائنا كل ينافس أيدي الأقدار (2)

فالنداء يتكرر خمس مرات في بيتين متتابعين .وإذا كانت ظاهرة الخطابية سمة حاضرة بشكل واضح في قصائد ماي وذكرياته قبل الاستقلال ،فإنها استمرت كذلك مع الشعراء ،وخاصة أولئك الذين عاشوا تلك الاحداث في أعقاب الاستقلال ،ولعل أبرز سمة في هذه الظاهرة تتجلى عند الشاعر السائحي الكبير الذي أنهى قصيدته (أيها الذاهبون أمس ضحايا)على عادة الخطباء بالتحية والسلام حين قال:

يومكم يوم مجدنا و عـــلانا يا ضحايا الجـــزائـــر العربـــــيه

فعليكم مدى القرون سلام وعليكم مـــدى القرون تحـــيـــه(3)

---

(1) ركيبي،عبد الله:قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر.ص66.

(2) معاش،أحمد الطيب،«ذكرى 8ماي بين دلال الألب وجلال الأطلس»جريدة البصائر،ع230، 1953.ص5.

(3) السائحي ،محمد الأخضر :همسات وصرخات.ص82.

ثـــــانيا: الصـــورة والموسيقى.

تـــمهـــيـــد:

سنحاول هنا معالجة قضيتين أساسيتين في بناء قصائد 8ماي 1945في الجزائر ،بل هما تعدان من القضايا الأساسية في الشعر عموما،أما القضية الأولى فهي :الصورة الشعرية بما لها من أهـــمية فنية في جماليات الشعر ،إذ بدونها لا يمكن الحديث عن جمالية هذا النوع من فن الأدب.وأما القضيـــة الثانية التي تشكل جانبا مهما في هذا الفصل فهي قضية الموسيقى ،التي كانت على مدى تاريخ نقـــد الشعر العربي تعد -ونعتقد أنها ما تزال -الخاصة الأساس في الشعر بما يـــتفـــرع عنها من أوزان ،وقـــوافي وتصريعات .

1-الصـــورة الشعرية:

على الرغم من الاختلاف القائم بين النقاد ،والمذاهب الأدبية المختلفة في تعريف الصورة الأدبية عموما،والصورة الشعرية على وجه الخصوص،فإنها –أي الصورة الشعرية تبقى ركيزة أساسية تقوم عليها القصيدة ،«وليست الصورة شيئا جديدا ،فإن الشعر قائم على الصورة منذ أن وجد حتى اليوم ولكن استخدام الصورة يختلف بين شاعر وآخر » .(1)

وتعد الصورة عنصرا مهما من عناصر التجربة الشعرية إذ أن«الوسيلة الفنية الجوهرية لنقل التجربة هي الصورة ،في معناها الجزئي والكلي ،فما التجربة الشعرية كلها إلا صورة كبيرة ذات أجزاء هي بدورها صورة جزئية تقوم من الصورة الكلية مقام الحوادث الجزئية من الحدث الأساسي في المسرحية والقصة وإذن فالصورة جزء من التجربة ،ويجب أن تتآزر مع الأجزاء الأخرى في نقل التجربة نقلا صادقا فنيا وواقعيا». (2)

والأدب الحق الذي تهفو إليه القلوب ،هو الذي يصور حياة الأمة ،حلوها ومرها والأديب الحق هو الذي يشقى حين يشيع في أمته الشقاء ،ويبتهج حين يعم فيها الرخاء ،فهو يحيا بين أبنائها ويشاركهم حياتهم بكدرها وصفوها ومن ثمة يتخذ منها مادة أدبه ،«وليس معنى ذلك أن الأديب ينبغي أن لا يصور نفسه ،وإنما معناه أنه ينبغي إذا صور نفسه صور من خلالها مجتمعه فهو لا يحلق بعيدا عنه بل يمتزج به ،بحيث تصبح نفسه صورة لأفراده ،ويصبح وحدة حية من وحداته

---

(1) عباس ،إحسان :فن الشعر .ص 230 .

(2)هلال ،محمد غنيمي :النقد الأدبي الحديث ،الطبعة الأولى ، دار العودة، بيروت ، 1982م .ص 442.

وبذلك تلتئم في تصويره لنفسه أحاسيسه الذاتـــية وأحاسيس مجتمـــعه الموضوعية ». (1)

ولا يمكن فصل الصورة الشعرية عن المصادر العلمية والمعرفية ،التي تشكل ثقافة الشاعر المبدع كما لا يمكن إغفال مصادر الإلهام التي تؤثر في بناء صوره إلى جانب العوامل والأحداث السياسية والاجتماعية المحيطة به . «فليست الصورة إذن إلا رسما عبقريا لفكرة مضمخة بالعاطفة الغامرة داخل قريحة المبدع العظيم».(2) و يكون الشاعر مبدعا عظيما متى عالج قضايا وطنه و عني بتـــصوير آلام و معانات مواطنيه و آمالهم ،لكن يفترض في لغة الشاعر أن لا تكون وصفية تقريرية كلغة الناثر ،بل إن طريقة التصرف في اللغة مقياس جوهري في التمييز بين لغة الشعر و لغة النثر ، «فحيث نحيد باللغة عن طريقتها العادية في التعبير و الدلالة و نضيف إلى طاقتها خصائص الإثارة و المفاجأة و الدهشة يكون ما نكتبه شعرا و الصورة من أهم العناصر في هذا المقياس ،فأينما ظهرت الصورة تظهر معها حالة جديدة و غير عادية من استخدام اللغة »(3) ، و الشعراء الجزائريون طيلة الحقبة الاستعمارية عموما ،و بعد أحداث 8 ماي 1945 بالتحديد، كانوا يناضلون و يقاومون باللغة و بالكلمة ،لكن الكلمة كانت تساوي عند المستعمرين التغريم أو السجن أو أشياء أخرى .

أ – بنيـــــة الصـــورة الشعرية :

لعل من الصوروالمشاهد التي توافرت في قصائد ماي ،وصف الأحداث، أو وصف المجزرة و من ذلك ما وجدناه لدى الشاعر محمد العيد آل خليفة حين قال في قصيدته (لا أنسى):

ديـــار من السكان تخلـــى نكايـــــة وعسفا وأحيـــاء تساق لأرمـــاس
وشيب وشبـــان يسامـــــون ذلـــــة بـــأنواع مكر لا تحـــد بمقيـــاس
وأحبـــاس شر أجمعت سجنـــاؤهـــا ومعتقلوهـــا أنهـــا شر أحبـــاس
ومعتـــقـــلات فـــي العـــراء مبيـــدة عليهالصوص في ملابـــس حراس
وغيد مـــن البيض الحســـان أوانـــس تهان علـــى أيدي أراذل أنكـــاس
ويسلبـــن من حلـــي لهـــن مرصـــع بكل كريـــم من جمـــان وألمـــاس
وينكبن في عرض لهن مطـــهرمصون الحواشي طيب العرف كـــالآس (4)

---

(1)ضيف ،شوقي :في النقد الأدبي ،للطبعة السادسة ،دار المعارف، القاهرة ،مصر ،1981م .ص 199 .

(2)مرتاض ،عبد الملك :أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830-1962 ،ج2 .ص252.

(3)أدونيس ،علي أحمد سعيد :مقدمة الشعر العربي ،الطبعة الثالثة ،دار العودة ،بيروت ،لبنان ،1979 م .ص ص 112،113.

(4) خليفة ،محمد العيد محمد علي :الديوان .ص326 .

إن الشاعر يريد أن يصور معالم المأساة وأحداثها ،كي يثير لدى المتلقي مشاعر الحزن والأسى فيستعين في وصف المشهد بتصوير الديار الخالية نكاية و عسفا ،لأن أهلها سيقوا إلى أرماسهم أحياء و لم يسلم الشيوخ والزمنى والشباب من الذل والمكر، أما الأحباس ،فكانت شر الأحباس ،والمعتقلات عارية مبيدة حراسها لصوص ، و يستعمل لذلك من الألفاظ (تخلى نكاية ، عسفا ،أرماس ،يسامون ذلة ،مكر ،أحباس شر ،شر أحباس ،معتقلات ،العراء ،مبيدة لصوص)،لكن سرعان ما تحدث قفزة مفاجئة في هذه الصورة ،حين ينتقل الشاعر إلى وصف ما تعرضت له النساء من الإهـــانة والإذلال ،لكنه يختار لوصف المشهد ألفاظا وعبارات تشي بأن الجزائريات كن ينعمن بحياة مترفة رخية تصل إلى درجة البذخ في حين أن الجزائريين آنذاك ،كانوا أحوج إلى لقمة تسد أرماقهم ،وخرقة تـــستر أجسامهم ،فمن الألفاظ التي وظفها الشاعر (الحلي ،كريم الجمان والألماس) فالجو الشعوري في هذه الصورة ليس موحدا ،والشاعر لم يحافظ على ذلك الخيط الرفيع الذي يربط جزئيات الصورة بعضها برقاب بعض ،يرى مبروك بن غلاب أن « تغير الإحساس ،وتلونه بين الألفاظ الأولى و الأخيرة حال دون انسياب الحالة الشعورية ذات اللون الموحد الذي يتغلغل في جميع الصور ،و ينتشر فيها ،فـــتتتابع تتابعا متماسكا ،و ترتبط كل صورة بالتي تليها ارتباطا عضويا حيا بحيث يصعب فيه فصل صورة عن الأخرى ، لقد تفككت الصور ،وانفصلت حينما تغير مســـارها الشـــعوري ،و انتـــقل الشـــاعرفي تشكيلها، و رسم معالم المأساة من ألفاظ توحي بالأسى و الحزن ، إلى ألفاظ أخرى توحي بالتـــرف و الرخاء ،و هو ما يتنافى مع الجو الذي تتنفس فيه القصيدة ». (1)

ولعل الإبراهيمي كان أكثر توفيقا في تصوير مشهد المأساة ،ونقل مشاعر الحسرة والإشفاق ليثيرها بالتالي في المتلقي ،حيث صور ذلك الشيخ وقد أشرف على الموت ،ثم زاد أن صرعه غاو على صدره فخر ساقطا على الأرض ،ثم صور مشهد ذلك الرضيع الذي أمه الشقاء من حيث لا يدري ،بعد أن عفرت أمه في التراب ،يقول الإبراهيمي:

لهفـــي علـــى هـــــاو علـــى شـــفـــا العمـــر

قـــد تلـــــه غـــــــاو فخـــــــر لـــلصـــدر

* * *

---

(1) بن غلاب مبروك :الصورة الشعرية عندمحمد العيد آل هليفة ،رسالة ماجستير ،قسم اللغة العربية و آدابها ،كلية الآداب، جامعة القاهرة ،1988 م .ص255 .

لهفـــي على مرضَـــعْ قـــد عفرت أُمّـــــهْ

مـــا خبّ أو أوضـــعْ إلا الشقـــــا أَمـــــهْ (1)

ومن الصور الواردة في سينية محمد العيد أيضا ، وصف ذلك العهد الذي قطعته فرنسا على نفسها بمنح الاستقلال للجزائريين ،إذا ما آزروها في حربها ضد دول المحور، حيث شبه ذلك العهد في البيتين الثامن والتاسع بالرحيق الرقراق المشرق في الكأس ،لكن الجزائريين حرموا ارتشاف ذلك الشراب الحلو ،فقد حبسته فرنسا على نفسها وعلى أحلافها ،الذين نعموا بتذوق طعم النصر، يقول محمد العيد :

وينشد (عهدا) كالرحيق أمامـــه ترقرق مفْترا و أشرق في الكـــاس

ولكنـــه لم يحظ منـــه برشفـــة فما كان غير (الأطلسي) لـــه حاســـي (2)

و بعد أن يصور الشاعر الأحداث، يعود إلى الصورة نفسها في البيت السابع والعشرين قائلا في وصف ذلك العهد :

وما وعدهم إلا سراب بقيعـــة وما عهدهم إلا مداد بقرطاس (3)

فقد شبه الوعد بالسراب تارة وبالمداد على القراطيس طورا ،إن هذه الصورة اعـــتمدت على التشبيهات ،فكان العهد أو الوعد مشبها ،ووقع الرحيق مشبها به مع ذكر أداة التشـــبيه الكاف لكن الشاعر يستغني عن أداة التشبيه مستعملا أسلوب القصر عن طريق النفي والاستثناء ،وهـــذا من شأنه أن يقرب طرفي التشبيه في قوله :(وما وعدهم إلا سراب بقيعة) ،(وما وعدهم إلا مـــداد بـــقرطاس) وتشبيه الوعد بالسراب مستوحى من قوله تعالى : «والذين كـــفروا أعـــمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ».(4)

وهذه الصورة في القصيدة لا تبدو متنامية مترابطة ،ذلك لأن الشاعر بعد أن يشرع في وصف ذلك العهد ،في البيتين الثامن والتاسع من القصيدة ،يتركه ليفسح المجال لتصوير الأحداث ،ثم يعود إلى الصورة السابقة من جديد في البيت السابع والعشرين،و قي هذا الشأن يعلق مبروك بن غلاب قائلا: «لقدكان الشاعر يترع إلى التنويع بدل لتوحيد ،بل لم تكن مهمته في تشكيل الصور أكثر من تجميعها ،ورصها بجوار بعضها البعض دون أن يخلق بينها ارتباطات و علائق تمكن الصورة من

---

(1)الإبراهيمي،محمد البشير :عيون البصائر، ج2 .ص 368 .

(2)خليفة ،محمد العيدمحمد علي :الديوان .ص ص 325 ،326 .

(3)المصدر نفسه . ص 327 .

(4)سورة النور .الآية 39 .

النمو و الامتداد ،إذ تقف كل صورة بمفردها مستقلة بمعنى محدد ثابت »(1)، ولعل ذلك يفسره افتقاد القصيدة إلى الوحدة العضوية ،وإن توافرت فيها وحدة الموضوع ،حيث إن القصيدة ما تزال تعتمد

على وحدة البيت ،و استقلاله في معناه عما يليه أو يسبقه من أبيات القصيدة ،ويذهب ركيبي عبد الله في هذه القضية إلى القول بأنه : « من المفروض في القصيدة كوحدة أنها أشبه ما تكون بالقصة القصيرة في تركيزها و بنائها و تلاحم أجزائها ». (2)

إن أحداث ماي و تداعياتها التاريخية ،و آثارها الاجتماعية توالت في قصائد الشعراء الجزائريين تصف مآسيها،وذلك كلما عادت تلك الذكرى عبر السنين التي أعقبت تاريخ حدوثها فلقد خاطب الشعراء ماي اليوم أو الشهر في أكثر من قصيدة ونادوه يبثونه الشكوى ويفضون إليه بالآلام التي انتابتهم ،وعكرت صفو حياتهم .لكن صورة ماي بدت شاخصة بشكل واضح في ميمية الربيع بوشامة التي عنوانها (عجبا لوجهك كيف عاد لحاله ...) ،والتي بلغت في الطول واحدا وخمسين بيتا ولو تتبعنا صورة ماي عبر القصيدة لوجدنا ملامحها متغيرة تتخذ في كل مرة وجها جديدا . يخاطب الشاعر شهر ماي في مطلع القصيدة قائلا :

قبحت من شهر مدى الأعـــوام يا (ماي) كم فجـــعت من أقوام
شابت لهولك في الجزائر صبية وانماع صخر من أذاك الـــطامي
وتفطرت أكبـــادكـــل رحيمة في الكون حتى مهجـــة الأيـــام
تاريخك المشؤوم سطر مـــن دم ومدامـــع فـــي صفحـــة الآلام
وغـــدا صحائف خزيـــة أبديـــة مـــضبوطة في دفتر الإجـــرام (3)

ينادي الشاعر شهر ماي مصورا إياه على أنه يسمع ويعقل (يا ماي) ،ثم يدعو عليه بالقبح (قبحت)،لأنه أفجع الجزائريين ،وهوله شيب الصبية ،وأذاه الطامي ذوب جلمود الصخر فصار مائعا وتفطرت له الأكباد ومهجة الأيام ،فغدا تاريخه سطرا من دم ومدامع خط في صفحة الآلام ،وغدت صحائفه صحائف خزي ضبطت في دفتر الإجرام .

لقد تجمعت في هذه الأبيات عدة صور جزئية مكونة من التشبيهات و الاستعارات المتتابـــعة (يا ماي، انماع صـــخر، مهجة الأيام ،تاريخك المشـــؤوم سطر من دم و مدامع ،صفحة الآلام

---

(1) بن غلاب ،مبروك :الصورة الشعرية عند محمد العيد آل خليفة . ص 256 .

(2) ركيبي عبد الله :قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر . ص 146 .

(3) بوشامة ، الربيع : الديوان . ص 58 .

صحائف خزية ،دفتر الإجرام)، تعلقت هذه الصور الجزئية جميعها بماي وأحداثه ،و ماي في هذه الصورة هو وجه آخر للاستعمار ،لأن الشاعر شخصه ودعا عليه وعدد جرائمه وآثامه .

يحس القارئ أن الشاعر يعيش صراعا إزاء موقفه من هذا الشهر فهو يصوره عدوا ظالما مـــن نـــاحية

و من ناحية أخرى بجعله ضحية ظالم آخر هو السلوك الاستعماري الذي ارتكب في رحاب شهر ماي كل الآلام ضد الجزائريين ، و في هذا الموقف الجديد يخاطب الشاعر ماي في موضع آخر من القصيدة قائلا :

يا (ماي) قد ظلموك حقا مثلما ظلموا الضعاف وشـــوهوك بذام
داسوا حرامك واعتدوا بنذالـــة في حرزه ،فجنوا أخـــس أثـــام
وكسوك ثوب المجرمـــين إهانة مقصودة لسنائـــك البســـام (1)

إن الشاعر يعود فيشخص ماي ،ويبرئه مما وصمه به المستعمرون ،فقد ظلموه وشوهوا صورته وداسوا محارمه ،فجنوا أخس الآثام، وألبسوا ماي ثوب المجرمين ليهينوا سناءه البسام. إن صورة ماي هنا تختلف عن الصورة الأولى ،فبعد أن كان الشاعر يدعو عليه لأنه يمثل صورة المستـــعمر، ها هـــو ينصفه ويبرئه مما نسب إليه بسبب المستعمرين الذين شوهوا صورة هذا الشهر بأفعالهم الدنـــيئة ،«إن الصورة الشعرية لا تجيء محاكاة للحقيقة الواقعة في عالم الأشياء ،بل هي صورة يخـــتار لها الشـــاعر أجزاءها كما يريد له فنه ،و لا يشترط أن تكون الصورة المرسومة محببة للنفس ،بل قد تكون كريهة منفرة تبعا لنوع الفكرة التي يريد الشاعر أن يوحي بها إلى القارئ ». (2)

وفي موضع آخرمن القصيدة ، تستوقفنا صورة ثالثة لماي:

عجبـــا لوجهك كيف عـــاد لحالـــه من بعد أحداث عرتـــك جسام
هـــلا غربت عن الزمان وأهلـــــه فتريح هذا النـــاس من إيـــلام
أصبحت رمز الفاجعات بذا الحمى تبدو بهيمـــا مفـــزع الأظلام (3)

إن الشاعر يشخص ماي في هذه الصورة أيضا ويتعجب من وجهه الذي عاد لحالته وصورته الأولى المشوهة بالدماء ،فيوبخه (هلا غربت عن الزمان وأهله) لأنه ما يزال جاثما على قلوب الجزائريين يتجدد كل سنة ،فيذكر الجزائريين بالفجيعة فيفزعهم . وحق للشاعر أن يضم هذه الأبيات إلى الصورة الأولى التي دعا فيها على ماي وقبحه فتكون الصورة متناسقة نامية بشكل طبيعي .

---

(1)بوشامة ،الربيع :الديوان .ص 59 .

(2)محمود،زكي نجيب :مع الشعراء ،الطبعة الثالثة،دار الشروق ،بيروت /القاهرة ،1402 هـ/ 1982 م .ص230 .

(3)بوشامة ،الربيع :الديوان .ص 59 .

أما في آخر القصيدة ،فيعود الشاعر لمخاطبة ماي قائلا :

يا (ماي) مالك واجمـــا لم تـــنتقـــم أوَمـــا سقـــاك الظلم أسوأ جَـــام؟
هذا حرامك بالدمـــاء مشـــــود قـــد عج بـــالأرواح والأجســـام

مهــج وآذان وكبـــــد رطبـــــة شويت وكانت من ألــذ طعــام

فارفع إلى مولاك شكــوى ضــارع يبــرأ من الحكــام والأحكـــام

واسأل يد الجبــار عاجل نــقمــة للظــالم المستــهــتــر الهـــدام

يا (ماي) إنا في انــتظار حكومــة فمتــى يساق الظــلم للإعــدام ؟(1)

فبعد أن أوحت الصورة الأولى أن ماي هو الاستعمار حين دعا عليه الشاعر في مطلع القصيدة وعدد آثامه ،ينقلب هذا الانطباع في ذهن المتلقي في آخر القصيدة ،فيرى في ماي صورة الشعب الجزائري الذي يدعوه الشاعر إلى التخلي عن وجومه وتجاوز انتكاسته ،لينتقم من جلاده الذي جرعه أسوأ كأس وأمر شراب، فأراق الدماء وشوى المهج والأذان والأكباد، وبعد أن كان يدعو على شهر ماي، ها هو يدعوه إلى التضرع إلى الله ، وأن يسأله الانتقام من المستعمر الظالم .

إن هذه الصور المبثوثة عبر القصيدة التي بلغت من الطول واحدا و خمسين بيتا ، شخصت ماي كما أنها جسدت كثيرا من المعاني ،لكن الشاعر اعتمد التنويع بدل التوحيد في الصورة حيث إنه في كل مرة يقدم لنا وجها جديدا لماي ،ولعل الشاعر نظم القصيدة على فترات ،فكانت صورة ماي ترتسم لديه كلما استجدت الذكرى في شكل جديد عبر السنوات الأربعة بعد الأحداث،على اعتبار أن القصيدة ظهرت في شكلها عام 1949،و ربما ازدحمت الأفكاروالمعاني في ذهن الشاعر و تصارعت العواطف و المشاعر في نفسه فكان يعيش صراعا في موقفه من هذا الشهر ،لكن القصيدة تبقى لوحة كبيرة أو صورة كاملة ،تتشكل من مجموع الصور الجزئية ،ويكون التصوير في العمل الفني ناجحا متى تآلفت هذه الصور و تكاملت .

ومن الصور اللافتة للنظر في قصيدتي عبد الكريم العــقون وابن رحمون التشبيه، و«التشبيه بيان أن شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر ،بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو مقدرة تقرب بين المشبه والمشبه به في وجه الشبه». (2) ومن أمثلته لدى العــقون قوله يصف المجاهدين :

---

(1)بوشامة ،الربيع :الديوان .ص ص 59 ، 60 .

(2) عتيق ،عبد العزيز: علم البيان ،دار النهضة العربية،بيروت ،لبنان ،1974م .ص 62 .

سكنوا القلوب بصدقهم ونضالهم وطموحهم للمجد صبح مسفر (1)

فقد شبه طموح المجاهدين بالصبح المسفر دون ذكر أداة التشبيه ،والصبح نذير بزوال ظلام ليل الاستعمار وصورة الصبح الذي يطرد غشاوة الليل قديمة في الشعر العربي ،وبلاغة هذا التشبيه تبدو في تشبيه ما لا تدركه الحواس (الطموح)بما تدركه حاسة البصر وهو الصبح ومن التشبيه أيضا قوله :

نشء تجمهر للكفاح تخاله أشبال غاب في الكريهة تزأر

أسد حمت آجامها بشجاعة والأسد تحمي غيلها وتزمجر (2)

فقد شبه النشء المكافح بأشبال غاب تزأر تارة ،وبالأسد المزمجرة طورا ،بل إنه يعود فيكرر الصورة في موضع آخر من القصيدة ،حين يقول :

أنتم غدا أشبال ذي الأسد التي في رد كل ظلامة لا تفتر(3)

وهذه الصورة أيضا من الصور القديمة المكرورة ،إذ أن الشعراء القدامى تعودوا تشبيه الرجل بالأسد إذا أرادوا أن يقروا له الشدة والبأس. وشعراء الجزائر في هذه الحقبة تأثروا بالأساليب العربية القديمة، فكانت كثير من صورهم تقليدية ، «كذلك فإن ثقافة هؤلاء في معظمها ثقافة تقليدية تستوحي صورها من الأدب العربي القديم ».(4)

و ابن رحمون شاعر مولع باستعمال التشبيه في قصيدته ،مع اعتماد الكاف، دون غيرها أداة للتشبيه،والكاف هي الأصل لبساطتها ،والأصل فيها أن يليها المشبه به، يستهل الشاعر القصيدة بالتشبيه في قوله :**دوت كقصف الرعد في الآذان وتفجرت في الشرق كالبركان** (5)

فقد شبه الشاعر محنة ماي التي أشار إليها بضمير (التاء) في (دوت) و(تفجرت) ، مرة بقصف الرعد ومرة بالبركان أو صوته ،ويلاحظ هنا أن المشبه به في كلتا الحالتين من المحسوسات المدركة بالسمع من أصوات الطبيعة القوية (الرعد والبركان) ،وهذا التشبيه يوحي بأن حادثة ماي ضجة كبرى تسامع بها جميع العالم ،كما يسمع صوت الرعد وصوت البركان .

(1) العقون، عبد الكريم ، «الكون ضاق بكل حكم جائر ... »،جريدة البصائر، ع 155 ،1951 .ص 7.

(2) المصدر نفسه .المكان نفسه .

(3) المصدر نفسه .المكان نفسه .

(4) ركيبي ،عبد الله :قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر. ص 147.

(5) ابن رحمون ،أبو بكر مصطفى :الديوان .ص 143.

وقد يستغني الشاعر عن أداة التشبيه ،وهذا ما يسمى في البلاغة بالتشبيه المؤكد وتأكيد التشبيه الحاصل من ادعاء أن المشبه هو نفسه المشبه به ،« والتشبيه المؤكد أبلغ من التشبيه المرسل وأوجز ،أما

كونه أبلغ فلجعل المشبه مشبها به من غير واسطة الأداة فيكون هو إياه... وأما كونه أوجز فلحذف أداة التشبيه منه »(1)،و في هذا النوع من التشبيه ، يقول ابن رحمون :

فقد شبه الشاعر الحضارة بالقبة (قبة السماء)،وجعل العدل والعرفان شمسين يزينان قبة الحضارة الجامع بين المشبه والمشبه به هو الرفعة والسمو ،وتبقى الرفعة والسمو في المشبه به أقوى وأرقى مما قد تدعيه الشعوب من حضارة وعدل وعرفان .

ومن التشبيه المؤكد ما يضاف فيه المشبه به إلى المشبه ،وهو أيضا من أبلغ صور التشبيه وأوجزها يقول الشاعر في وصف الأحداث :

وهنا سعير للسلاح وههنا سقر الأسى و جهنم الأحزان (3)

فقد شبه الأسى بسقر ، كما شبه الأحزان بجهنم ، وقد وردت أطراف التشبيه هنا عقلية أي تدرك بالعقل لا بالحس ،وهذا ليثبت الشاعر أن مبلغ ما أصاب الجزائريين من أسى وحزن في ماي أكبر من أن تدركه الحواس . ومن براعة الشعراء في ميدان التشبيه «الإتيان بأكثر من تشبيه في بيت واحد».(4)

يفترض أن الصورة شيء يتعلق بالشاعر قبل أن يصل إلى الناقد ،غير أن شعراء المرحلة التي ندرسها ،يبدوا مختلفا نسبيا ،فنحن حين نتتبع صورهم نجدها لاتخرج عن الصور البلاغية القديمة في معظمها ، ذلك لأن الشاعر الجزائري في هذه الفترة كان صاحب قضية وطنية لا شاعر صورة بالدرجة الأولى ،فقد ظل عنصر التصوير في العمل الشعري في مجمله معتمدا على الصور البيانية التي شاعت في البلاغة ،ذلك لأن التراث الأدبي القديم كان منبعا هاما من منابع ثقافة الشعراء الجزائريين في هذه الفترة .و إذا كان من عناصر مساعدة في بناء الصورة في الشعر ،فلعل الرمز يكون أقرب هذه الأدوات المساعدة .

---

(1)عتيق ،عبد العزيز :علم البيان .ص ص 79 ،80 .

(2)ابن رحمون ،أبو بكر مصطفى :الديوان .ص 145 .

(3)المصدر نفسه . ص 144 .

(4)عتيق ،عبد العزيز :علم البيان .ص 115 .

ب-الرمـــــــز:

إذا كان ينتظر من لغة النثر أن تكون واضحة العبارة قريبة الدلالة ،فإنه يتاح للشاعر شيء

من الغموض الذي يدعو المتلقي إلى إعمال فكره وعقله للكشف عن مكنونات القصيدة وليس يعني الغموض في الشعر استغلاق المعاني بحيث تصير طلاسم معقدة ،يعسر على القارئ كشفها وفهمها إنما المقصود به ما في لغة الشعر من إيماء وإيحاء وإشارة ،فهي إذن لغة رامزة أو لغة رمزية « فنحن في الشعر إذن لسنا إزاء ألفاظ دقيقة لها دلالات دقيقة ،وإنما نحن إزاء رموز تعبر عما تختلج به نفوس الشعراء من مشاعر».(1)

وإذا كانت لغة الشعر لا تعتمد الدقة ومحدودية الدلالات ،وتجنح إلى استعمال الرموز التي تشي بانفعالات الشعراء الفردية ،أو ما تشترك فيه الأمة من معان وعواطف إنسانية ،فما حقيقة الرمز؟ «وأما الرمز فنعني به الدلالة على ما وراء المعنى الظاهري ، مع اعتبار المعنى الظاهري مقصودا أيضا ،فالطلل في الشعر العربي رمز لعواطف إنسانية وفردية عميقة ».(2) وإذا كان الرمز في العادة ملازما للشعر ،فما نصيبه في قصائد أحداث 8 ماي1945 ؟ وما طبيعة الرموز المستخدمة فيها ؟ إن الرمز كان من الوسائل التعبيرية في قصائد ماي،لكن حضوره لم يكن بشكل مكثف،و لعل الشعراء الجزائريين في هذه الفترة كانوا أحوج إلى توصيل أفكارهم، وتوضيح قضيتهم الوطنية أكثر من حاجتهم إلى خلق نماذج تعبيرية مستغلقة ، أو مستعصية الفهم « وما من شك أن الرمز اللغوي كان تعبيرا عن المشاعر والأحاسيس التي يرغب الشاعر في الإفصاح عنها ومن ثم كانت تعبيرا صادقا عن تطورات الحياة السياسية والاجتماعية التي واكبها الشعراء قبل الثورة وأثناءها وبعدها ».(3)

وقد كانت الرموز اللغوية محصورة جدا في قصائد ماي، إذ أنها لا تكاد تعدو تلك الكنايات التي كان الشعراء يطلقونها —من باب التمويه والتعمية- على الاستعمار الذي كان يكبت الأنفاس فكيف بالألفاظ والكلمات ؟ وهذه الألفاظ لا تكاد تعني شيئا إلا معانيها المعجمية لكن شيوع استعمالها لدى الشعراء الجزائريين جعل هذه الكلمات الخام تكتسب دلالات رامزة في السياق الشعري فهم يرمزون إلى الاستعمار بألفاظ وصفات ذميمة مستهجنة في الغالب. «و الرمز تجاوز للواقع لا إلغاءا له ،تكثيف إيحائي لا يصل إلى حد الانغلاق المبهم ».(4)

(1) ضيف ،شوقي:في النقد الأدبي.ص130.

(2) عباس ،إحسان:فن الشعر.ص238.

(3)ناصر،محمد:الشعر الجزائري الحديث ،اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975،الطبعة الأولى ،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان 1985م.ص55.

(4) رمان ،إبراهيم: الغموض في الشعر العربي الحديث،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر،1991م.ص177.

محمد العيد - وإن صرح بلفظ المستعمرين -فإنه في مواضع من القصيدة يرمز إليهم بالأراذل و الأنكاس، (فالأراذل جمع رذل أو أرذل) ، وهو من فعل فعــلا قبيحا فاستحق الاحتقار (و الأنكاس جمع نكس) ،وهو الرجل الضعيف الدنيء الذي لا خير فيه ،يقول الشاعر :

وغيد من البيض الحسان أوانس تهان على أيدي أراذل أنكاس(1)

أما محمد البشير الإبراهيمي ،فيرمز إلى المستعمرين بالقوم والوحوش ،فإذا كان من المعاني الشائعة لكلمة القوم ،الجماعة من الناس أو الأقرباء من جد واحد ،فإن من معاني القوم أيضا الذي جمعه (قيمان) الأعداء أما الوحش ،فهو الحيوان البري ،يقول الشاعر :

ذكـــراك يا يـــوم تحـــز في الأحـــشـــا

إذ أقبـــل القـــوم وحـــش تلا وحشـــا(2)

والربيع بوشامة يشير إلى المستعمر بألفاظ كثيرة في قصائده الثلاثة منها (الناقم و الغشام ودولة الأقوام) ،فالناقم هو المعاقب ،والغشام صيغة مبالغة من غاشم وهو الظالم الغاصب ،أما لفظ القوم فقد مر ذكره لدى الإبراهيمي ،يقول بوشامة مخاطبا ماي :

ما كنت أهلا للفجائع والردى لولا يد من نـــاقم غشـــام

ما كنت أهلا للنقائص والأذى لولا هوى في دولة الأقـــوام (3)

وابن رحمون يسمي المستعمرين (عصابة) ،في قوله :

دوت كقصف الرعد في الآذان وتفجرت في الشرق كالبركان

منها الجزائر لا تسل من وقعها عما تكابد من أسى و تعانـــي

يرمي بها الشعب الكريم عصابة لذاقم إيلام ذي الإحسان (4)

إذا كان رمز القوم ،قد استعمله الإبراهيمي وبعده الربيع بوشامة فإنه، يتكرر في قصيدة (كيف السلو؟.) نكرة ،في قول الشاعر :

ويح الجزائر قد باتت يروعها قوم لخيراتها من قبل قد سرقوا (5)

وإذا كانت الرموز الدالة على الاستعمار تحمل دائما المعاني الوضيعة الموحية بالكراهية والتحقير

---

(1) خليفة ،محمد العيد محمد علي :الديوان .ص326

(2) الإبراهيمي ،محمد البشير :عيون البصائر ،ج2 .ص 367

(3) بوشامة ،الربيع :الديوان .ص59.

(4) ابن رحمون ،أبو بكر مصطفى :الديوان .ص143.

(5) «كيف السلو ؟.»، جريدة المنار ، ع 42 ،1953 .ص3.

للمستعمرين فإن الحرية غادة حمراء ،يفتتن طلابها بحسنها وجمالها ويهيمون في عشقها ،وتزهق أرواحهم في سبيلها، وفي هذا يقول الشاعر :

كم من منازل في ماي بها خربت وكم أفاضل في ماي بها زهقوا

ما ذنبهم عند أهل البغي غير هوى سام فللغادة الحمراء قد عشقوا(1)

- وإذا كان الرمز اللغوي مألوفا ،وأقرب إلى الوضوح واليسر فقد يستعمل الشعراء أنماطا أخرى من الرموز ،كأسماء الأشخاص والأماكن التي تحمل دلالات خاصة أو إقليمية ،أو قد تكون أعلاما معروفة بشهرتها التاريخية ، فمحمد العيد يوظف اسم (الأطلسي) .في معرض حديثه عن ذلك العهد المنكوث .

وينشد عهدا كالرحيق أمامـــــه ترقرق مفترا وأشرق في الكاس

ولكنـــه لم يحظ منـــه برشفـــة فما كان غير الأطلسي له حاسي(2)

فالأطلسي (ذلك المحيط الذي يفصل أوربا وإفريقيا عن أمريكا)،كما يسمى بحر الظلمات هو وصف للحلف(الحلف الأطلسي) الذي، يضم فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية ،ودول أوربا الغربية، التي تمتعت بطعم النصر، وحرم منه الجزائريون،وهورمز لبعد المسافة بين الجزائر وأعدائها. وقد احتوت قصيدة الربيع بوشامة (الميمية)على اسم من أسماء الشهداء بخراطة(حنوز)،الذي قتله الفرنسيون ،بعد أن مثلوا به ،وهو يجعل من هذا الشهيد رمزا خالدا يستنهض همم الجزائريين ،ويصيح في وجه المستعمرين :

مـــــا يوم «حنوز »وجرح مصابه بمحجب أبـــــدا ولا ملتام

لن يقدر الحدثان أو طول المـــدى أن يطويا كمعارض الأحلام

لابد أن يـــبـــقى كـــرمز خـــالد يوحي الشجى ويصيح مثل الهام(3)

«فالشهيد رمز دائم للشباب والكهول ،وهذا الرمز يدعونا إلى أن نقتفي أثره ،ونتابع طريقه فليست أرواحنا أغلى من روحه، وهذه الفكرة تصوير لحقيقة ولمثل وقيم يجسمها الشهيد في كل عصر وحين ».(4)

---

(1)«كيف السلو؟.» ،جريدة المنار ،ع42، 1953.ص3.

(2) خليفة ،محمد العيد محمد علي :الديوان .ص ص325، 326.

(3) بوشامة ،الربيع : الديوان .ص58.

(4) ركيبي، عبد الله :قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر .ص68.

ومن أمثلة هذه الرموز ما ورد استعماله لدى ابن رحمون :

هل تغضبون لقتل شعب بعض ما غرتم لقتل الطـــير و الحيوان؟

أو تمنحون بـــه عليـــا بعض مـــا تولونه "جاكوب" من إحسان؟(1)

فاسم (علي) في صدر البيت يقابله اسم (جاكوب) في العجز ،ولعل عليا هنا هو علي بن أبي طالب ،وبالتالي فهو اسم يرتبط بتاريخ الشعوب الإسلامية وهو امتداد لسلالة النبي –صلى الله عليه وسلم- ،فيكون بذلك اسما رامزا إلى المسلمين الجزائريين ،وقد أساء إليهم الاستعمار ،أو رمزا للمسلمين كافة .

وفي المقابل يذكر اسم (جاكوب)،الذي أولاه المستعمرون شيئا من الإحسان وجاكوب (Jacob) هو يعقوب بن اسحاق – عليهما السلام – والد يوسف – عليه السلام – وإخوته هم الذين تنسب إليهم أسباط إسرائيل الإثنا عشر ،وبالتالي فاسم يعقوب رمز لليهود الذين استقدمتهم فرنسا من ضمن من استقدمت من مستوطنين لتأسيس دولة استيطانية بالجزائر وعاملتهم على أنهم مواطنون أوروبيون وحبتهم بالرعاية والإحسان على حساب أهل الدار .

ومن أسماء الأماكن المستعملة لدى ابن رحمون اسمان لنهرين معروفين في فرنسا هما الرون (Rhône)[*]،والسين (Seine)[**]

ومن المناكر أن تسام حقوقه ... منكم بأشرف ملة ولسان

وتعد تربته الزكية قطعة ... مما حيال «الرون» أو «لاسان»

والله بالإيمان يفصل بيننا ... والجنس والأمواج والحيتان(2)

فالجزائر لا يمكن أن تكون قطعة محاذية لـ(الرون)،أو(لاسان)،الذين يرمزان لفرنسا الاستعمارية والشاعر يستبعد سياسة إدماج الجزائريين وفرنستهم ،ويرفض المساومة على الدين واللغة والأرض مقابل الحقوق المنقوصة .

- وهناك نمط من الرموز ينتظم القصيدة كلها ،«بل إن التجربة فيها تبنى أساسا على الرمز دون أن يلجأ الشاعر إلى الإفصاح عن الدلالة المقصودة منه ،وبهذه الطريقة يسمح للمتلقي بلذة الكشف

---

(1) ابن رحمون ،أبوبكر مصطفى :الديوان .ص144.

(*)الرون(Rhône):نهر في سوسرا وفرنسا ، 812كم ، من أغزر أنهر فرنسا،يصب في المتوسط غربي مرسيليا ،صالح للملاحة (المنجد في الأعلام.ص271).

(**) لاسان(Seine):نهر في شمال فرنسا 776كم ،يصب في المانش ،ملاحة ناشطة بين باريس والمانش(النجد في الأعلام .ص323).

(2) ابن رحمون ،أبوبكر مصطفى :الديوان .ص144.

والتذوق ،هذا النمط الذي يطلق عليه النقاد أحيانا الرمز الكلي أو القناع» . (1) وهذا النمط يعد من أجود وأجمل أنواع الرمز ،وأكثرها دلالة على مقدرة الشاعر وبراعته الفنية ، كما أنه أكثر الأنماط

إيغالا في الغموض ،«وليس للقارئ أن يقاد بيده إلى موطن فكرة الشاعر الدقيقة ،بل عليه أن يجد الفكرة التي يتضمنها حقل القصيدة الضبابي ».(2)

ولعل قصيدة أحمد معاش (ذكرى 8 ماي بين دلال الألب وجلال الأطلس) ،تقترب كثيرا من هذا النمط – وإن كان الشاعر بين الحين والآخر يشي بمكنونات القصيدة – فقد صور الشاعر جبال الألب بدلالها وعتوها قائلا :

متألهات في الجمال العـــاري يعنو لها متأله الأدهار
جدد حلاها في الزمان لوامع لم يجد فيها قُلَّبُ الأطوار
شمخت بأنف صاعرات خدها متبرجات ، بهجة النظّار(3)

كما صور جبال الأطلس بجلالها وعظمتها ،وتاريخها المجيد ،وإذا كان الألب رمزا لأوربا الاستعمارية ،أو فرنسا التي أرسلت جيوشها لاحتلال إفريقيا ،فإن الأطلس الممتد هو رأس إفريقيا ورمز شمالها ، أو ليكن الأطلس هو رمز الجزائر المجاهدة التي ابتليت عبر التاريخ بالاستعمار فكانت ترده أدباره في كل مرة ،يقول الشاعر:

أنا رأس إفريقيا ورمز شمالها ما للرؤوس الشّـــوس من قهّـــار
إني أنا العاتي إذا ديس الحمى وأهين شبلي في الحمى أو جـــاري
وأنا المسالم في السلام وفيئه فالسلم أسي والصفـــاء جـــداري(4)

- وإلى جانب هذا الرمز الكلي،فقد اشتملت قصيدة معاش على بعض الرموز الجزئية ،« فكـــل رموز القصيدة هي عناصر بنائية للرمز الكلي ،وهي في الوقت نفسه أصداء له».(5) يقول معاش على لسان الأطلس مخاطبا الألب :

---

(1) ناصر ،محمد :الشعر الجزائري الحديث .ص 565 .

(2) فان تيغيم ،فيليب :المذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا ،ترجمة فريد أنطونيوس ،الطبعة الثالثة، منشورات عويدات ، بيروت – باريس ، 1983م .ص 280 .

(3) معاش ،أحمد الطيب ،«ذكرى 8 ماي بين دلال الألب وجلال الأطلس»،جريدة البصائر ،ع230، 1953.ص5.

(4) المصدر نفسه .ص 54 .

(5)رماني ، إبراهيم :أوراق في النقد الأدبي .ص203.

يا شامخ الهام الشوارد في السما رفقا بنفسك يا حليف فخـــار
يا (مار أنطوانيت) عفوك إنما بالعفو يحظى فـــاقد الأنصـــار(1)

إن الشاعر يوظف اسم شخصية (ماري أنطوانيت)(*) ،زوجة لويس السادس عشر ملك فرنسا الذي اندلعت في عهده الثورة الفرنسية (عام 1789) ،وقد دفعت زوجها إلى الوقوف في وجه الثورة وأعدمت معه (عام 1793) ،ولعل الشاعر استعمل هذا الرمز ،لأنه يرى مصير فرنسا الاستعمارية الغازية ،وهي تنكل بالجزائريين الذين طالبوا بالحرية و الانعتاق في شهر ماي ،لا يختلف كثيرا عن عاقبة (ماري أنطوانيت) وزوجها وهما يحاولان صد الثورة الفرنسية .

كما يحضر رمز (عيسى) – عليه السلام – لدى معاش :

في عد نشئك مـــا يبرر عـــزة لو كـــان كلهم ذوي أنظار
ترنو إلى الخلق المعنّى مثل مـــا قدما رَنا عيسى أخو الأحرار
رفقـــا ومرحمة وعطفا كلهـــا من غير ما غدْر ولا أضـــرار
فـــي جل نشئك من تديّن شرة أدهى ضلالا من عبيد النـــار
عيسى بَراءٌ مـــن عقوق دعيـــه والدين في خجل وفي إنكـــار(2)

ورمز النبي عيسى – عليه السلام – كثير الحضور في الشعر العربي الحديث، فهو رمز الهداية والرحمة وحامل رسالة تحرير الإنسان ،لكن قومه غدروا به وسعوا في قتله وصلبه وبالتالي فعيسى - عليه السلام - بريء ،ودينه ينكر على أدعيائه من الاستعماريين سعيهم في استعباد الشعوب وتقتيلها.

«فالرمز لحظة انتقالية من الواقع إلى صورته المجردة ، و هي الإطار الذي يتم فيه الخروج من الانفعال المباشر إلى محاولة عقلنته،و هو تجسيم للانفعال في قالب جمالي».(3)

ومن الرموز أيضا يستعمل معاش رمز (التاتار) ،تلك القبائل المغولية ،التي كانت تقيم بأواسط آسيا واشتهرت بغزواتها وجبروتها وقسوتها ،وهي تعود من جديد في صورة الغزاة الأوربيين .

---

(1) معاش ،أحمد الطيب ،«ذكرى 8 ماي بين دلال الألب وجلال الأطلس»،جريدة البصائر ،ع230، 1953.ص5.

(*) ماري أنطوانيت(Marie Antoinette) (1755 – 1793):ابنة ماري تيريزا امبراطورة النمسا و فرانسوا الأول ،تزوجت لويس 16 ملك فرنسا (1770) ،دفعت زوجها إلى الوقوف في وجه الثورة ،أعدمت .(المنجد في الأعلام .ص511).

(2) معاش ،أحمد الطيب ،«ذكرى 8 ماي بين دلال الألب وجلال الأطلس»،جريدة البصائر ،ع230، 1953.ص5.

(3) رماني ،إبراهيم :أوراق في النقد الأدبي .ص 167.

حيث يقول الشاعر في وصف (الأطلس) :

لكن أصلعَ في البلاد مجربـــا أوْدى الزمان بريشه المعـــــطـــار

كنسوره أنسى الطموح قلوبهم ما شيـــدوه بـــه من الأوكـــــار

رفع العقيرة وانبرت أصداؤه ملء الأثير تصـــيـــح في (التاتار):

ويلي ويلكمـــو إذا دام العدا فأنـــا وأنتم طعمـــــة الأغـــيـــار(1)

ومعاش لا يغفل تاريخ الجزائر القديم ،فقد استحضر في قصيدته شخصية (يوغرطا) ملك نوميديا(118-105ق م)الذي قاتل الرومان إلى لأن تغلب عليه القائد الروماني (ماريوس)وأسره،يقول الشاعر :

لله أشبـــال تحـــف بهالتـــــي فـــي قلـــة لكنهـــم كَسِـــــوار

قد طوقوا عنقي بعقد سماحهم ورموا على ساحي شـــنار الـــعار

من عهد (يوغرطا) إلى أيامنا بالخلق صانوا موئـــل الأبـــــرار(2)

فالجزائر منذ يوغرطا كانت مطمعا وعرضة للغازين من وراء البحر ،لكنها كانت تردعهم في كل مرة ،و تستعصي عليهم فيعودون أدبارهم ،وشخصية (يوغرطا)(*) إذا كانت ترمز إلى حقبة زمنية من تاريخ المملكة النوميدية ،فإنها تذكرنا أيضا بتاريخ هذا البطل الذي حارب الرومان ،وناضل من أجل حماية مملكته وشعبه ،وحق على الجزائريين أثناء الاحتلال أن يفعلوا مثله .

ومالك حداد مولع بأسماء الأعلام من الدول والعواصم والمدن ،فهو يستعملها بشكل مكثف ومتتابع في قصيدته:

أعرف تماما

أن «مدريد» لم تمسح دمعها

لم تنشف دمها

أعلم جيدا

أن هناك بالقرب من «غرونوبل»

منصة كبيرة للشرف

---

(1)معاش ،أحمد الطيب ،«ذكرى 8 ماي بين دلال الألب وجلال الأطلس»،جريدة البصائر ،ع230، 1953.ص5.

2) المصدر نفسه.المكان نفسه.

(*)يوغرطا (JUGURTHA) : ملك نوميديا (118 – 105ق.م) حارب الرومان فتغلب عليه ماريوس، مات أسيرا في روما (المنجد في الأعلام .ص 626) .

وأعرف أنهم قد فقأوا عيني مدينة «سيول»

وحقول الأرز في الهند الصينية

والسنفونية الحمراء لنواب «مدغشقر»(1)

وإن كانت هذه الرموز التي استعملها مالك حداد تبدو مستغلقة نوعا ما، ذلك لأن الرمز هنا «ليس إشارة إلى مواضعة أو اصطلاح،إنما أساسه علاقة اندماجية بين مستوى الأشياء الحسية الرامزة ومستوى الحالات المعنوية المرموز إليها ،وعلاقة التشابه هنا تنحصر في الأثر النفسي لا في المحـــاكاة ومن ثم فهو يوحي ولايصرح ،يغمض ولايوضح».(2)

ومما تجدر إليه الإشارة أن أسماء الأعلام شاع استعمالها في قصائد ماي بعد الاستقلال،ومنها أسماء المدن والأماكن التي كانت مسرحا لأحداث 8ماي مثل (سطيف،قالمة ،خراطة ،عموشة،بني عزيز ،وادي الزناتي،كاف بومبا ،تاملوكة)،كما حضرت أسماء بعض الشهداء بوادي الزناتي مثل (مغزي محمد،والطويل)،ولم تخل القصائد من ذكر أسماء القادة الفرنسيين الذين كانت لهم أياد سوداء في الأحداث مثل(لستراد) طاغية قسنطينة ،و(آشياري) جلاد قالمة ،والملفت للنظر أن هذه الأسماء جميعا لم يرد لها ذكر في قصائد ماي قبل الاستقلال.

إن الرمز كان أكثر حضورا وتنوعا في قصيدة معاش(ذكرى 8 ماي بين دلال الألب وجلال الأطلس) ،منه في بقية القصائد التي لم تجنح إلى هذا النوع من التعبير ،عن الرمز يعد من الأدوات الفنية التي شاعت في الشعر الحديث ،وبالخصوص الشعر الذي يعتمد التفعيلة نظاما للقصيدة ،إلى جانب أنه ينقذ الشعر من المباشرة والتقريرية والخطابية،ويرى (أدونيس)بأن «الشعر نقيض الوضوح الذي يجعل من القصيدة سطحا بلا عمق ،كذلك نقيض الإبهام الذي يجعل من القصيدة كهفا مغلقا».(3) ولعل الشاعر الجزائري في هذه الفترةكان أحوج إلى تبليغ الفكرة ،ونقل الانفعال حول المجزرة بطريقة تلائم فهم الجمهور وتراعي مقتضى الحال .

---

(1) حداد،مالك:الشقاء في خطر.ص ص 41، 42.

(2) رماني ،إبراهيم :أوراق في النقد الأدبي .ص 273.

(3) أدونيس ،علي أحمد سعيد:مقدمة الشعر العربي.ص124.

2- الموسيقـــى :

منذ أن وجد الشعر وهو مرتبط بالموسيقى والإنشاد ،ذلك لأن كلا من الشعر والموسيقى يشتركان في اعتماد الأصوات مادة لهما ،فيذكر أن هوميروس الشاعر اليوناني كان يتغنى بشعره والأعشى الشاعر العربي الجاهلي لقب بصناجة العرب لأنه كان ينشد أشعاره مستعملا آلة موسيقية تسمى (الصنج) ،يقول :

ومستجيب تخال الصنج يسمعه إذا ترجّع فيه القيـــنة الفُـــضُلُ(1)

وهذا يعني أن موسيقى الشعر نظام قديم عرفه الشعراء العرب عن طريق الإنشاد والسماع قبل معرفة علم العروض والأوزان والقوافي ،لكن هذا العلم لم يعرف إلا مقرونا باسم الخليل بن أحمد الفراهيدي (100هـــ -175هـــ) ،الذي قرأ الشعر القديم ،فاهتدى إلى أن القصيدة العربية تخضع لنظام موسيقي معين ،فوضع التفعيلات والأوزان التي سميت بحورا . «وللشعر نواح عدة للجمال أسرعها إلى نفوسنا ما فيه من جرس الألفاظ وانسجام في توالي المقاطع ،وتردد بعضها بعد قدر معين منها وكل هذا ما نسميه بموسيقى الشعر » . (2) وإذا كان العروض هو علم موسيقى الشعر فإن الصلة بين الشعر والموسيقى صلة قوية جدا ،إذ إن مادة كل منهما هي الأصوات المترددة بانتظام«فالموسيقى تقوم على تقسيم الجمل إلى مقاطع صوتية تختلف طولا وقصرا ،أو إلى وحدات صوتية معينة على نسق معين،بغض النظر عن بداية الكلمات ونهايتها ،وكذلك شأن العروض ،فالبيت من الشعر يقسم إلى وحدات صوتية معينة ،أو إلى مقاطع صوتية تعرف بالتفاعيل بقطع النظر عن بداية الكلمات ونهايتها ».(3)

وإن كانت موسيقى الشعر من أقوى العناصر المؤثرة في المتلقي إلى جانب حسن التصوير وفيض المشاعر التي تتوافر في القصيدة ،فقد كان الوزن والقافية واتصال الشعر بالمشاعر هي الفيصل بين لغة الشعر وما عداه من نظم أو نثر «فالشرطان اللذان يجب توافرهما في الشعر هما الوزن والقافية والاتصال بالشعور فإذا وجدت نوعا من الأدب يجمعها كان شعرا ،أما إذا وجد الشرط الأول دون الثاني فنظم لا شعر ،وإذا وجد الثاني دون الأول فنثر شعري» .(4)

---

(1) الأعشى ،الديوان : دار صادر، بيروت ،لبنان، 1966م .ص147 .

(2) أنيس ،إبراهيم : موسيقى الشعر.ص ص 8 ،9 .

(3) عتيق ،عبد العزيز:علم العروض والقافية،دار النهضة العربية ،بيروت ،لبنان ،دون تاريخ.ص12.

(4) أمين ،أحمد :النقد الأدبي .ص 80 .

وإذا كان من سنة الحياة التغير والتجدد في الأشياء والمفاهيم عبر الأزمنة ،فإن القصيدة العربية ، لم تشذ عن هذه القاعدة ،سواء أكان ذلك في مضامينها أو في أشكالها بدء بتمرد الشاعر على المقدمات

الطللية التي كانت نظاما مقدسا جرى عليه جل شعراءالجاهلية ، إلى ظهورفن الموشح في الأندلس ،إلى موجة الشعرالحر أو قصيدة التفعيلة فقصيدة النثر . ومهما يكن من هذه الثورات التي شهدتها القصيدة العربية على مستوى المضامين والأشكال ،فقد «ظل للقافية والوزن سلطانهما في الشعر العربي لدى الكثرة الغالبة من الشعراء حتى العـــصر الحديث ،وفي هذا العصر لا يزال بعض المجـــددين من الشعراء يلتزمها ». (1)

أ- الأوزان :

إذا كانت حركة الشعر الحر قد بدأت في أواخر الأربعينيات في المشرق مع نازك الملائكة والسياب والبياتي وغيرهم من الشعراء ،فقد عرفها شعراء الجزائر في الخمسينيات على خلاف حول من بادر إلى الخوض في هذه التجربة(*) ،يشبه ذلك الخلاف حول أسبقية من خاض عباب بحر هذا الشعر في المشرق ،والذي و إن تخلى عن نظام الشطرين والقافية الموحدة في أواخر الأبيات ،فإنه لم يتحرر كلية من نظام التفعيلة والقافية التي تنوعت بما يناسب خلجات الشاعر ،والجو العام للقصيدة.

وإذا كانت استجابة الشعراء الجزائريين لهذا النموذج الجديد في شكل القصيدة ضعيفة في بداياتها فإن القصائد التي كتبت في أحداث 8 ماي1945 ،كانت جميعا تخضع للبحور الخليلية ،فقد اعتمد فيها أصحابها نظام الصدر والعجز ،كما التزموا القافية في آخر كل بيت من القصيدة ،على اختلاف في بحور الشعر ،وإن كان الموضوع واحدا،وفي هذا الشأن يقول سعد الله : «كنت أتـــابع الشـــعر الجزائري منذ سنة 1947 باحثا فيه عن نفحات جديدة وتشكيلات تواكب الذوق الحديث ،لكنني لم أجد سوى صنما يركع أمامه كل الشعراء بنغم واحد وصلاة واحدة ». (2)

وذلك رغم أن صوتا جريئا يعلو في العشرينيات من القرن الماضي يدعو إلى التجـــديد في الشعر و هوصوت الشاعر الجزائري رمضان حمود حين قال : «الشعر تيار كهربائي مركزه الروح وخيال لطيف تقذفه النفس ،لا دخل للوزن ولا للقافية في ماهيته ،وغايـــة أمرهما أنهما تحـــسينات لفـــظية اقتضاها الذوق والجمال في التركيب لا في المعنى ،كالماء لا يزيده الإناء الجميل عذوبة ولا ملوحة

---

(1) هلال ،محمد غنيمي :النقد الأدبي الحديث .ص 470 .

(*)ينظر ،شراد ،شلتاغ عبود :حركة الشعر الحر في الجزائر .ص ص 69 – 71 .

(2) سعد الله ،أبو القاسم :دراسات في الأدب الجزائري الحديث .ص 50 .

وإنما حفظا وصيـــانة مـــن التلاشي والسيلان » .(1)إن هذا الكلام عن شكل القصيدة يعد مبكرا لا في الجزائر فحسب ، بل في الساحة الشعرية العربية عموما،كما أن الشاعر رمضان حمود،كما كان

من الداعين إلى التجديد في شكل القصيدة ،كان من المبادرين أيضا إلى خوض تجربة الجديد من خلال التنويع في قوافي القصيدة ،وذلك من خلال قصيدة عنوانها (دمعة على الأمة) (*)،لكنه لم يخرج عن نظام الصدر والعجز .

إن استجابة الشعراء الجزائريين إلى مايسمى قصيدة التفعيلة كان متأخرا،وكـــذلك لم تعرف قصائد ماي قبل الاستقلال وبعده هذا النظام (**)،بـــل اعـــتمد الشعراء نظام القصيدة العمودية (نظام الصدر والعجز)، «تبدأ القصيدة القديمة من نقطة لتنتهي إلى نقطة أخرى يتحرك بينهما القارىء بيسر عاد نوفي اطمئنان يعلم فيه بدايته ونهايته ،بخلاف القارىء الحديث الذي يبدأ من نقطة معلومة لينتهي إلى نقطة مجهولة ،بحيث أن السطر الشعري قد ينتهي في جملة واحدة،وقد ينتهي في جمل عديدة،إنه مجال مفتوح للاحتمال الصعب الذي يصبح لدى القارىء غير المتمرس بطبيعة الكتابة الحديثة متاهة مبهمة تلقي في نفسه الشك والقلق ،وتدفعه إلى عناء شديد في التذوق، وكد ذهـــني شـــاق في الفهم».(2)

ولعل إيراد جدول يحصي القصائد التي قيلت في أحداث ماي قبل الاستقلال ،يكمل ما وردفي هذا الفصل وفي البحث عموما ،وقد رتبت هذه القصائد ترتيبا زمنيا تاريخيا وفقا لتاريخ ظهور كل قصيدة ونشرها ، وقد استثنيت من هذا الجدول قصيدة مالك حداد المترجمة إلى العربية .

يحتوي الجدول عناوين القصائد ، وأسماء الشعراء، وعدد أبيات كل قصيدة، وأسماء البحور المعتمدة وحروف الروي .

---

(1) القول لرمضان حمود ضمن كتاب :ناصر ،محمد :رمضان حمود حياته وآثاره . ص 69 .

(*) ينظر ،المرجع نفسه .ص ص 84،85.

(**)نظم محمد الأخضر عبد القادر السائحي قصيد عام 1968 عنوانها (ذكريات ماي)،تبدو في ظاهرها من شعر التفعيلة لأن الشاعر وزعها في شكل سطور شعرية ،وإن تنوعت قوافي القصيدة ،فإن الشاعر لم يخرج عن نظام بحر الخفيف (فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن×2)،وفي مايلي عينة من القصيدة التي وردت في الديوان موزعة على الشكل التالي:ذكريات الأسى/تذيب فؤادي/بنشيد مبرح التنهاد /كلما عاد ماي/شهر العوادي/ذكر الناس يوم حزن بلادي.(السائحي ،محمد الأخضر عبد القادر :الكهوف المضيئة.ص77).ولو أعدنا توزيع هذه السطور وفق نظام الشطرين، لكانت كالتالي:

ذكريات الأسى تذيب فؤادي　　بنشيد مـــبرح التـــــنهاد

كلما عاد ماي شهر العوادي　　ذكر الناس يوم حزن بلادي

(2) رماني ،إبراهيم: الغموض في الشعر العربي الحديث.ص300.

عنوان القصيدة	الـــــشاعر	عدد الأبيات	الـــبحـــر	الروي

- لاأنسى	محمد العيدآل خليفة	32	الطويـــل	السين
- ذكرى 8ماي	محمد البشير الإبراهيمي	22	مشطورالبسيط	متنوع
- عجبا لوجهك كيف عاد لحاله...	الربيع بوشامة	51	الكامل	الميم
- سر على الدمع والدماء الغوالي	//	65	الخفيف	اللام
- برغمك ماي	//	19	المتـــقارب	النون
- الكون ضاق بكل حكم جائر	عبد الكريم العقون	26	الكامـــل	الراء
-حادثةيوم8ماي سنة1945	أبو بكرمصطفى بن رحمون	53	الكامل	النون
- أثامن ماي!..	إبراهيم	18	الطويل	الراء
- كيف السلو؟.	شاعر مجهول	10	البسيط	القاف
- ذكرى 8ماي بين دلال الألب وجلال الأطلس	أحمد الطيب معاش	78	الكامل	الراء
- الجزائر وحوادث 8ماي 45	عيسى حمو النوري	38	الرمل	النون

لقد احتل بحر الكامل (متفاعلن ×6) الرتبة الأولى بأربع قصائد ،أما بحر الطويل فيحتل الرتبة الثانية بقصيدتين ،والبسيط نظمت فيه قصيدة واحدة ،كما نظمت قصيدة واحدة أيضا في (مشطور البسيط) ، أما بقية البحور (الخفيف والمتقارب والرمل) ،فقد نظمت في كل منها قصيدة واحدة.

وكما كان الكامل قد احتل الرتبة الأولى بالنظر إلى عدد الأبيات التي نظمت فيه ،حيث بلغ العدد الإجمالي للأبيات في قصائد ماي قبل الاستقلال (412 بيتا) ،كان نصيب الكامل منها (208 أبيات) بنسبة مئوية تقدر بـــ (50.49%) ،أي تفوق النصف بقليل.

وإذاكان بحرالكامل و بحرالبسيط يحتلان الرتبة الثانيةبعد الطويل في شعر القدماء (*)،فإن بحر الكامل في الشعر الحديث يحتل الرتبة الأولى حيث ،«أن البحر الكامل في عصرنا الحديث قد أصبح

معبود الشعراء ،وهو أيضا البحر الذي يستمتع به جمهور السامعين من محبي الشعر ،فيطرقه الآن كل الناظمين». (1) والكامل يستعمل تاما ،ومجزوء أي بحذف التفعيلة الأخيرة من كل شطر، لكنه ورد في قصائد ماي تاما ،ومثاله من قصيدة عبد الكريم العـــقون التي مطلعها:

ذكرى على مرّ الزّمان تكـــرَّرُ لمجاهدين جهادهـــم لا يُنكـــر(2)

0//0/0/ 0//0/// 0//0/// 0//0/// 0//0/0/ 0//0/0/

متفاعلـــن متفاعلـــن متفاعلـــن متفاعلن متفاعلـــن

وإن كان موضوع القصائد واحد (وصف أحداث 8 ماي1945) ، فقد نظمت في بحور مختلفة وهذا يعني أن تشابه الموضوعات لا يستدعي بالضرورة وزنا خاصا ،«ويكفي أن نذكر المعلقات التي قيلت كلها في موضوع واحد تقريبا ،ونذكر أنها نظمت من الطويل والبسيط والخفيف والوافر والكامل».(3)

إن بحر الكامل يعد من البحور السباعية الصافية التي كثيرا مايلجأ إليها شعراء التفعيلة ،لأنه يقوم على تكرار تفعيلة واحدة (متفاعلن)،كما أنه يصلح لجميع أنواع الشعر ،ومن سماته أنه بحر واسع يقترب من الطويل ،وعلى هذا الأساس كان يتسع لسرد أحداث ماي ،ووصف المجازر المقترفة في هذا الشهر ،كما أن الكامل كثيرا مايدخل على تفعيلته زحاف الإضمار ،وهو تسكين الثاني المتحرك فتصير (متفاعلن) بتسكين التاء ،فتقترب موسيقاه من بحر الرجز، فيسهل النظم فيه ،ذلك لأن الرجز الذي وزنه(مستفعلن×6)يعد من البحور السهلة ،لذلك نظمت فيه المتون العلمية.

ب- القافـــيـــة :

القافية في عرف العروضيين هي مقطع صوتي يلتزمه الشاعر في آخر كل بيت من أبيات القصيدة ،وضبطها المعروف أنها تبدأ من أول حركة قبل الساكنين الأخيرين من البيت،« وتكرارها هذا يكون جزءا هاما من الموسيقى الشعرية فهي بمثابة الفـــواصـــل المـــوسيقية يتوقع السامع ترددها

(*)ينظر ،أنيس ،إبراهيم :موسيقى الشعر .ص 191 .

(1) المرجع نفسه .ص 208 .

(2) العقون ،عبد الكريم،«الكون ضاق بكل حكم جائر...»،جريدة البصائر ، ع155 ،1951.ص7.

(3) أنيس ،إبراهيم :موسيقى الشعر .ص 177.

ويستمتع بهذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة»(1)،وللقافية أثرها في صنع موسيقى القصيدة ،حيث تطرب الآذان لترديد هذا المقطع الصوتي بانتظام ،« والقافية في الشعر العربي ذات سلطان يفوق ما لنظائرها في اللغات الأخرى ». (2)

وإذا كان الشعراء في قصائد ماي قد تشبثوا بالبحور الخليلية ،فإنهم لم يحيدوا أيضا عن نظام القافية الموحدة في القصيدة ،إلا في النادر القليل ،حيث أن محمدالبشير الإبراهيمي اختار مشطور البسيط(مستفعلن فاعلن ×2) وزنا لقصيدته والمشطور ما حذف أحد شطريه ،كما نوع في القوافي حيث اعتمد نموذجا من الوزن يسمى المشطر« وهو نوع من الشعر ينظر فيه إلى الأشطر لا الأبيات ويتخذ فيه كل شطر وحدة مستقلة »(3)، ومن أنواع هذا النموذج ،ما يسمى المشطر المربع الذي تقسم فيه القصيدة إلى أقسام يحتوي كل قسم منها على أربعة أشطر يراعي فيها الشاعر نظاما معينا للقافية وقد اعتمد الإبراهيمي(*)نموذجا شائعا من المشطر المربع وهو «ذلك الشعر المقسم إلى أشطر أربعة فيها يشترك الشطر الأول والثالث في قافية والثاني والرابع في قافية أخرى» (4) ،يقول الإبراهيمي :

ذكـــراك يـــا يومُ تحزّ في الأحـــشا

إذْ أقبـــل القـــوم وحشٌ تلا وحشَا (5)

0/0/ 0//0/0/ 0/0/ 0//0//

0/0/ 0//0/0/ 0/0/ 0//0/0/

مستفعلـــن فعْلن متَفْعـــلن فعْلن

مستفعلـــن فعْلن مستفعلن فعْلن

---

(1) أنيس ،إبراهيم :موسيقى الشعر .ص 246

(2) هلال ،محمد عنيمي :النقد الأدبي الحديث .ص 468 .

(3) أنيس ،إبراهيم :موسيقى الشعر .ص 282

(*) لقد نظم الإبراهيمي (رواية الثلاثة) في وزن المزدوج، وتكون فيه الأبيات مصرعة ،أي أن قافية الشطر الأول هي نفسها قافية الشطر الثاني،و منها قوله : حمداً لمن جمّعكم في (البيرو) وهْو بما تنوونـــه خبيـــر

وصلـــــــواته على البشير ما صفّر القطار في أشير.

(الإبراهيمي ،محمد البشير :آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ،الجزء الأول ،الطبعة الأولى ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر، 1398 هـــ/ 1978 م .ص 290).

(4) أنيس ،إبراهيم :موسيقى الشعر .ص 285 .

(5) الإبراهيمي ،محمد البشير :عيون البصائر ،ج2 .ص367 .

ففي المربع الأول اشتركت قافية الشطر الأول مع قافية الشطر الثالث (يوم،قوم) واشتركت قافية الشطر الثاني مع قافية الشطر الرابع (أحشا،وحشا) .

وإذا كان الشاعر قد مدّ أواخر الحروف في أشطر المربع الأول ،فقد سكنها في المربع الثاني:

يـــا يـــوم لم تشـــرقْ شمـــس علـــى مثـــلكْ

آل الضّحـــى مغـــرقْ و المـــلتجـــى مهـــلكْ (1)

مستفعلـــن فعْـــلن مستـــفعلـــن فعْـــلن

مستفعلـــن فعْـــلن مستـــفعلـــن فعْـــلن

ففي هذا المربع اشتركت قافية الشطر الأول مع قافية الشطر الثالث(تشرقْ،مغرقْ)،كما اشتركت قافية الشطر الثاني مع قافية الشطر الرابع (مثلكْ ،مهلكْ) .

وإذا كانت القوافي حاضرة في جميع قصائد 8 ماي 1945حضور البحور،فإن حروف الروي قد اختلفت بين (الراء ،والنون ،واللام ،والميم ،والسين ،والقاف) ،(ينظر الجدول) .

يقسم إبراهيم أنيس حروف الروي بالنظر إلى نسبة شيوعها إلى أربعة أقسام :

حروف شائعة الاستعمال (كالراء ،واللام ،والميم ،والنون ،والباء ،والذال) .

وحروف متوسطة الشيوع ومنها (السين ،والقاف ،والكاف) .

وحروف قليلة الشيوع (كالضاد والطاء) ،وحروف نادرة كالشين (2)

وإن كانت (الراء والنون) من حروف الروي الشائعة الاستعمال ،فقد شاع استعمالها في قصائد ماي قبل الاستقلال ،حيث وردت ثلاث قصائد رائية وثلاث نونية من بين الإحدى عشر قصيدة بل إن الراء تحتل الرتبة الأولى بالنظر إلى عدد الأبيات حيث وردت رويا لمائة وثلاثين بيتا (130) من بين (412 بيتا) ،بنسبة (31.55%) ،أما النون فقد كان رويا لمائة وعشر أبيات (110)بنسبة (26.70%) .

وإذا كان حرف الروي متنوعا ، وحركته تختلف بين الكسر والضم والفتح أو التسكين كما أن الحروف التي قبله قد تتنوع و تختلف أيضا ،فإن هذا يثري موسيقى القصائد وينوعها ،فإذن «ليس من قاعدة تربط حروف القوافي بموضوع الشعر،والأمر في ذلك يشبه علاقة البحور بموضوعات القصائد ».(3) فكما تنوعت البحور الشعرية التي نظمت فيها قصائد 8 ماي 1945 ، فقد تنوعت حروف الروي أيضا من قصيدة إلى أخرى .و إذا كان من دعاة التجديد في شكل القصيدة العربية

---

(1) الإبراهيمي ،محمد البشير :عيون البصائر ،ج2. ص 367 .

(2) ينظر ،أنيس ،إبراهيم :موسيقى الشعر .ص 248 .

(3) هلال ، محمد غنيمي :النقد الأدبي الحديث . ص 470 .

و أوزانها و قوافيها من يرى بأن : «القافية في العروض الخليلي علامة الإيقاع ،هي صوت متميز يدل على مكان التوقف لكي نتابع من ثم انطلاقنا ،و قد أصبح وجودها أكثر أهمية مما تعني ،صارت شكلا لابد من الحفاظ عليه ،ومن هنا أخذت تفقد حتى دلالتها الأصلية»(1) ،فإن القصيدة العربية من

قبل أن يظهر الشكل الحديث ،كانت و ما تزال قادرة على أن تحمل قضايا الإنسان العربي و همومه إلى اليوم .

جـــ - ظاهرة التصريـــع :

كثيرا ما يلجأ الأدباء إلى تحلية ما يكتبون بما يسمى في البلاغة بالمحسنات البديعية مثل الطباق والمقابلة ،وهي محسنات بديعية معنوية تعتمد على الجمع بين المعنى ونقيضه ،وقد يستعينون بمحسنات بديعية لفظية كالجناس ،وهو الجمع بين لفظين يتجانسان في اللفظ ، ويختلفان في المعنى ،أو كالسجع وهو اتفاق الفواصل في أواخر الجمل في الحرف الأخير ،وإذا كان السجع يشيع في النثر فيحدث جرسا له وقع في الآذان، وأثر في النفوس ، فإن ما يشبهه وهو التصريع ظاهرة تعد حكرا على الشعر دون النثر ،وصرع الشعر أي جعله ذا مصراعين، و التصريع معناه أن يزين الشاعر مطلع قصيدته بقافية في آخر الصدر وأخرى في آخر العجز تتفقان في الحرف الأخير .

وإذا كان التصريع ظاهرة شائعة في الشعر الخليلي قديمه وحديثه ،فإن قصائد ماي لم تشذ عن هذه الظاهرة التي طبعت مطالع القصائد ، ومن أمثلة التصريع مطلع قصيدة محمد العيد :

أأكتم وجدي أو أهدئ إحساسي و(ثامن ماي) جرحه ماله آسي(2)

فقد اتفق الصدر والعجز في القافية (ساسي ،آس) ،كما اتفقا في حرف السين روي القصيدة والسين من أصوات الصفير أو الأصوات الرخوة التي « لا ينغلق مجرى الهواء انغلاقا تاما عند النطق بها بل يضيق نسبيا بحيث يسمح للهواء بأن يمر به مع احتكاك بجانبيه فيحدث الهواء نوعا من الصفير أثناء مروره بمخرج الصوت» (3)، وتكرار السين ثلاث مرات في مطلع قصيدة محمد العيد و هو في حالة من الحزن والضيق يذكرنا بمطالع بعض القصائد المشهورة التي نظمها أصحابها ،و هم في حـــالة من الحزن و الضـــيق، تشبه الحالة النفسية لـــدى محمد العيد ،كمطلع سينية الخـــنساء

---

(1) أدونيس ،علي أحمد سعيد :مقدمة الشعر العربي . ص 114 .

(2) خليفة ،محمد العيد محمد علي :الديوان . ص 325 .

(3) لوشن ،نور الهدى :مباحث في علم اللغة و مناهج البحث اللغوي ،المكتبة الجامعية ،الأزريطة ،الإسكندرية 2000 م.ص 119 .

وهي تتفجع على أخيها صخر :

يؤرقني التـــذكر حـــين أمـــسي فأصبـــح قد بليت بفرط نكـــس(1)

كما يشبه مطلع سينية البحتري ، وقد استبدت به الهموم والأحزان بعد مقتل الخليفة العباسي المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان ،فوقف على أطلال إيوان كسرى عله يجد السلوى .

صنت نفسي عمـــا يدنس نفســـي و ترفعت عن جدا كل جبـــس

وتماسكت حين زعزعني الدهر التماسا منه لتعســـي ونكســـــي(2)

وقد عارض أحمد شوقي حديثا هذه القصيدة أيام كان بمنفاه بالأندلس ، فكتب يحن إلى مصر وقد ألمت به لواعج الشوق :

اختلاف النهـــار والليل ينســـي أذكرا لي الصبا وأيـــام أنســـي

وسلا مصر هل سلا القلب عنها أو أسى جرحه الزمان المؤســـي(3)

وإلى جانب السين ، تكررت في بيت محمد العيد همزة القطع سبع مرات (أأكتم أو أهدئ إحساسي آسي) ، و الهمزة من الأصوات الشديدة أو الانفجارية ،«وهي الأصوات التي تحدث انفجارا عند مرور الهواء عبر الممر الصوتي ،وانسداد ذلك الممر بفعل عائق عضوي ،ثم ينفرج فجأة عندها يحدث الانفجار» (4)، وتكرار الهمزة يوحي بحالة نفسية من التردد وانحباس صوت الشاعر بين أن يكتم وجده وأحزانه فتبقى حبيسة صدره ،أو يصرخ بمكنونات نفسه ويجهر بها فتنفرج حاله . ومن أمثلة التصريع مطلع قصيدة عبد الكريم العـــقون يصف ذكرى ماي :

ذكرى على مر الزمان تكرر لـــجاهـــديـــن جهـــادهم لا ينـــكر(5)

لقد اتفق آخر الصدر وآخر العجز في حرف الراء في (تكرر ،ينكر) ،ليس هذا فحسب بل إن الراء تكررت خمس مرات في مطلع القصيدة كتابة ،وإذا كانت موسيقى الأصوات تقاس عروضيا بالنطق لا بالكتابة ،فإن الراء تتكرر سبع مرات في البيت (ذكرى ،مرْرِ تكرْرَرُ، ينكر) والراء من الأصوات المجهورة . «تحدث هذه الأصوات عندما يقترب الوتران الصوتيان من بعضهما بعضا ،وتضيق فتحة المزمار إلا أنها تسمح بمرور النفس ».(6) والراء صوت صاخب فيه عنف وحدّة

---

(1) الخنساء :الديوان،دار صادر /دار بيروت للطباعة والنشر ،بيروت ،لبنان،1383هـ/1963م.ص84.

(2) البحتري :الديوان ،المجلد الأول ، دار صادر ، بيروت ،لبنان،دون تاريخ .ص 190 .

(3) شوقي ،أحمد :الشوقيات، ج2 .ص ص 45 ، 46 .

(4) لوشن ،نور الهدى :مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي .ص 118 .

(5) العقون ،عبد الكريم ،«الكون ضاق بكل حكم جائر... »،جريدة البصائر ،ع155، 1951.ص 7 .

(6) لوشن ،نور الهدى :مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي .ص 120 .

ويذهب عبد الملك مرتاض إلى« أن اختيار عبد الكريم العقون لقافية الراء كان يريد منه إلى شيء من القوة و المضاء» .(1) فإذا كان محمد العيد في مطلع السينية يتردد بين أن يكتم

وجده أو يجهر به، و قد نظم القصيدة عام 1948 ، فإن العقون الذي نظم الرائية عام 1951، كان أقرب إلى تاريخ اندلاع الثورة منه إلى أحداث ماي 1945 ، لذلك فهو يوظف إلى جانب الأصوات القوية المؤثرة لفظ الجهاد و المجاهدين.

و التصريع في مطالع القصائد مما يفاجئ المتلقي، و يشد انتباهه بموسيقاه، و يكون جميلا مستحسنا ما لم يكن فيه تكلف أو تجاوز للقاعدة النحوية،وإذا ماتتبعنا هذه الظاهرة في قصائد مابعد الاستقلال فإننا نجد نموذجا يحسن أن نورده ههنا مع مافيه مما يوجب التعليق ، فقد استهل الشاعر مولود مهري قصيدته حول أحداث 8ماي 1945 :

سجلن يا تاريخ و اشهد جهارا بمساوي بني فرنسا الشرارا (2)

إن الموسيقى الناتجة عن التصريع في (جهارا، الشرارا) تفاجئ القارئ و تشد انتباهه، و قد تصرفه عن التفطن إلى أن الشاعر تجاوز القاعدة النحوية في سبيل التصريع، إذ أن كلمة (الشرارا) وجب أن تجر بدل أن تنصب، على اعتبار أنها نعت تابع في الإعراب لكلمة(بني) الواردة مضافا إليه مجرورا بالياء لأنه جمع مذكر سالم.

إن موسيقى الشعر متجددة متطورة كالإنسان تماما ،و لم يكن هنالك من مانع أن تنشأ في الشعر الجزائري إيقاعات جديدة، حين أتيحت لشعراء الجزائر فرصة الاطلاع ،ووجدوا من الظروف الأدبية والنقدية والسياسية ما يهيئهم ،ويغذي ثقافتهم لخوض تجربة التجديد في شكل القصيدة ،وكيفما كان رأينا في أسلوب وشكل قصائد ماي ،وفي شعر ما قبل الثورة عموما ،فإن هذا الشعر يبقى شعرا نضاليا مهد للثورة ،ودعا إليها ،كما أعرب فيه الشعراء عن تعلقهم بالحرية وبالقيم الإنسانية ،ويبقى نموذج القصيدة يحتل مكانته في الساحة الشعرية الجزائرية والعربية أيضا إلى جانب الأشكال الجديدة.

---

(1) مرتاض ، عبد الملك: أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830- 1962، ج1. ص 299.

(2) مهري ،مولود ،ضمن كتاب :رحاب ،محمد الصالح:رجال ومواقف.ص13.

خاتمـــــــــة:

بعد هذه الوقفة مع مأساة و أحداث 8 ماي 1945 المؤلمة ،وما أفرزته من أصداء على مستوى أدبيات الحركة الوطنية ، بل على مختلف المستويات، يمكن تسجيل النتائج و الملاحظات التالية:

- إن الأدب يسجل ما قد يغفله التاريخ أو السياسة ، رغم القهر و التسلط.

- إن الأدب الجزائري نثره وشعره ، كان دوما يواكب الانشغالات الوطنية، و يعبر عن تطلعات الشعب في ظروف الضعف و القوة.

- إن الأديب الجزائري بعد أحداث 8 ماي 1945 كان مبدعا و ملتزما بقضيته الوطنية، فقد قام بدوره في تعبئة الجماهيرمن أجل الثورة لافتكاك الاستقلال ، بعد أن كان قبل الأحداث يطالب بحقوق منقوصة، و كان يتراوح بين الأمل الكاذب، و الرجاء الذي لم يتحقق، بعد أن تبخرت مطالب الجزائريين منذ المؤتمر الإسلامي في جوان 1936، إلى بيان 10 فيفري 1943، ثم قمع مظاهرات 8 ماي 1945 المطالبة بحق مشروع قدمت ضريبته سلفا. فبات راسخا في أذهان الجزائريين أن لا مناص من ثورة مسلحة و منظمة تحرر البلاد و العباد.

من خلال مضامين المقالات يتبين:

- إن الأديب الجزائري بحسه المرهف تفطن إلى أن المجزرة كانت من أجل ضرب الحركة الوطنية التي بدأت تلوح عليها بوادر الوحدة، و بالتالي إزهاق روح الطموح إلى التحرر ، ليس لدى الجزائريين فحسب ، بل عند كل الشعوب المستعمرة.

- إن الأديب الجزائري كان مؤمنا بالوحدة المغاربية منذ الخمسينيات أو قبلها، فقد دعا إليها الكتاب أيام المحنة كسبيل إلى التحرر.

- لقد مرت المقالة العربية الجزائرية، بمراحل لا تختلف عن المقالة العربية، للتخلص من أسلوب الماضي الذي يعنى بالديباجة و السجع، إلى أن ظهرت جريدة البصائر الثانية عام 1947 ثم جرائد أخرى كالشعلة و المنار، فهذه الحركة الصحفية النشـــطة ساهمـــت بـــشكل فعال في تطوير النثر الجزائري و أسلوب الكتابة إلى جانب الالتزام بقضية التحرر، رغم مصادرة الكلمة و عدم توفر حرية التعبير.

و إن جنح الإبراهيمي و بوزوزو في بعض الكتابات إلى الاهتمام بالبيان و البديع، فذلك فيهما طبع لا تطبع، يبرز قدرة الأديبين على التنويع في أسلوب الكتابة بين مقالة و أخرى، يتجلى ذلك أثناء المقارنة بين كتابات هذين العلمين في موضوع ماي و غيره من الموضوعات.

- إن كتاب المقالة كانوا يملكون جرأة و صراحة في مخاطبة الاستعمار، و ترديد ألفاظ الاستعـــمار و الاستقلال و الحرية.

- إن الكتاب بوصفهم رجال إصلاح- في الغالب - و تعدد مهامهم بين التعليم،و الدرس والخطابة،والمحاضرة، والوعظ ،إلى جانب الالتزام،بالقضية الوطنية ،و الاضطلاع بمهمة الكتابة والإبداع، أشاع في كتاباتهم نغمة خطابية و طريقة حوارية، فلجأوا في كثير من الأحيان إلى التكرار والترادف ، و الأساليب الإنشائية الخطابية المتنوعة كالنداء، و الاستغاثة، و الندبة، و الاستفـــهام وتوظيف كاف الخطاب، و السؤال، و الجواب، لإشراك المتلقي في موضوع الخطاب و الحوار.

- إن لغة أدبائنا الذين كتبوا بالعربية كانت عربية أصيلة ،وثقافتهم تعتمد على مصادر الثقافة التراثية من شعر قديم،ونصوص دينية ،فقد كان القرآن الكريم معينا واسعا، و رافدا هاما اقتبس منه الأدباء و أحسنوا توظيفه،و بقدر ما يكون محفوظ الكاتب أوسع وأجود بقدر ما يكون إنتاجه أرقى وأقوى.

- كما أن لغتهم-كما أشرت قبل قليل- كانت فصيحة سليمة ،تحترم قواعد اللغة،وترتفع عن العامي و المبتذل.

- أما الشعر فقد انحبس بعيد أحداث ماي في أعماق الشعراء وفي ضمائرهم بسبب مصادرة الصحافة و الكلمة، و بفعل حملة الاعتقالات و القمع التي تلت المجزرة ، و إن كان عدم النشر لا يعني بالضرورة التوقف عن الكتابة، نظرا للظروف السياسية ، و لذلك ظهرت الأناشيد المغفلة من أسماء أصحابها كنشيد (من جبالنا) و (نحن أبناء الجزائر).

- إن مضامين قصائد ماي لم تختلف كثيرا عن مضامين المقالات، فإذا كان النثر يعتمد على التصريح و المباشرة، فكثيرا ما يلجأ الشعر إلى التلميح.

- وإذا كان ماي يوما مظلما لدى كتاب المقالات، فهو لدى الشعراء ماي الدماء و الدموع كما ركز الكتاب على وصف المجزرة و الجرائم، و مقابلة الإحسان بالإساءة فالمضمون نفسه يتكرر لدى الشعراء.

- و كما آمن الكاتب بأن الثورة هي سبيل الخلاص ، فإن الشاعر أيضا كان ملتزما بهذا المبدإ حيث قامت القصيدة- إلى جانب المقالة- برسالتها في التعبئة السياسية و إعداد الشعب للثورة، كما مجدت الشهادة في سبيل الله، و أشادت بالشهداء.

و على مستوى اللغة و التعبير:

- يلاحظ اشتراك الشعراء في كثير من الظواهر اللغوية و التعبيرية، مثل المشترك اللفظي حول معاني الاستعمار و الثورة و الحرية، و هذه الألفاظ تكررت باللفظ أو المعنى أو الصفة ،مما عمق معانيها ودلالاتها.

- و الجدير بالملاحظة أيضا، هو أن الارتباط بين معاني الاستعمار، و الثورة ،و الحرية، كان ظاهرة شائعة في القصائد ، بحيث يصعب الفصل بين هذه المعاني الثلاثة، لأن الحديث عن الحرية يقتضي الحديث عن سبيلها و هو الثورة ، كما يستدعي ذكر سالبها و هو الاستعمار.

- و إذا كانت الخطابية ظاهرة شائعة في فن المقالة-و هذا يبدو طبيعيا على اعتبار أن المقالة فن نثري يقتبس من جميع الفنون النثرية، و قد يأخذ من الشعر أيضا- فإن الجدير بالإشارة، أن الروح الخطابية كانت سمة حاضرة في قصائد ماي أيضا. وإلى جانب ما ذكر من مبررات لهذا الأسلوب الخطابي من أن الأدباء و الشعراء كانوا رجال الإصلاح و الوعظ و التدريس ، فإن الشعر أقرب إلى الذاتية و الانفعال،و الموقف كان يستدعي الصراخ، كما أن الشاعر أكثر اتصالا بالجمهور، بطريقة مباشرة أو عن طريق الصحافة ، فهو حين ينظم القصيدة يكون ذهنه مشغولا بالجمهور الذي يتفاعل معه، لذلك شاعت أساليب الخطابة من نداء ، و استغاثة ، و استفهام ، و دعاء ،و أمر، و نهي ،و تكرار للعبارة...إلخ.

- لقد ظل عنصر التصوير في العمل الشعري في مجمله معتمدا على الأساليب البيانية التي شاعت في البلاغة العربية و التراث الشعري القديم الذي كان من منابع ثقافة الشعراء الجزائريين، كما أن الشاعر الجزائري آنذاك كان شاعر قضية لا شاعر صورة.

- أما الرمز فقد انحصر في مجمله أيضا في الرموز اللغوية من قبيل الكناية، و تعد قصيدة معاش (ذكرى 8ماي بين دلال الألب وجلال الأطلس)نموذجا فذا في توظيف أسماء الأعلام و الأماكن كرموز تحمل كثيرا من الدلالات و المشاعر. و لعل الشعراء في هذه الفترة كانوا ملتزمين بتوصيل أفكارهم و شرح قضيتهم الوطنية أكثر من حاجتهم إلى خلق نماذج تعبيرية مستغلقة.

- أما فيما يخص الموسيقى، فقد ظلت النظرة إلى الإبداع الشعري مرتبطة بالمقياس التقليدي المعروف على أن الشعر كلام موزون مقفى، و كانت هذه النظرة تتماشى مع وظيفة الشعر الجماهيرية التي تقوم على الإلقاء و التأثير في الجمهور عن طريق التنغيم الموسيقي القائم على البحر و القافية و الروي الموحد.

- و إن لوحظ شيوع بحر الكامل في قصائد ماي إلا أن وحدة الموضوع لا تفرض وحدة البحر بالضرورة،فقد حضرت بحور أخرى غيره كالطويل ، والبسيط ،والخفيف ،والمتقارب،والرمل.

- و فيما يخص القافية ، فقد كانت ملتزمة لدى جميع الشعراء، إلا الإبراهيمي، فقد اعتمد في قصيدته ما يسمى بالمشطر المربع الذي يقوم على التنويع في القوافي من مربع إلى آخر.

- و إذا كانت الراء و النون من حروف الروي الشائعة الاستعمال في الشعر القديم، فقد وجدنا هذه الظاهرة حاضرة في قصائد ماي أيضا.

- ويمكن أن نضيف إلى نتائج تحليلنا للشعر أن التصريع كان ظاهرة صوتية بديعية عامة زينت مطالع القصائد جميعها.

- و إذا كان الشعراء قد ارتبطوا بالقوالب التراثية القديمة، فهذا إنما يبرهن على أن القصيدة الخليلية التي أدت دورها عبر العصور، ظلت قادرة على العطاء، والقيام بدورها الحضاري في التعبير- كشكل فني- عن معاناة الإنسان العربي وهمومه.

- و إلى جانب ذلك، فقد اهتمت القصيدة المكتوبة بالفرنسية —ممثلة في ما قرأناه لمالك حداد -بما يجري في الوطن و التزم الشاعر فيها بالقضية الوطنية التي كانت قضية الجميع.

- و أخيرا فإن البحث قد جمع مجموعة من المقالات ، كما لم شتات كثير من القصائد التي كتبت في مأساة ماي، قبل الاستقلال و بعده، و هذا يعني أن ماي لا يزال منبعا فياضا للعطاء و الإبداع يستقي منه الأدباء و الشعراء على حد سواء، و أن صدى الأحداث بقي متواصلا ليس في أدبيات الحركة الوطنية فحسب، بل إن هذا الصدى لا يزال متواصلا إلى اليوم عبر أجيال الكتاب والأدباء،وهو ما يدحض الآراء التي حاولت تقزيم المجزرة ووصفها بالحوادث، و كأنها كانت فعلا محدودا في الزمان والمكان و الحجم و الصدى.

مـــلاحـــــــق:

1-نـــصـــوص نـــثريـــة.

2-نـــصـــوص شعـــرية.

3- مـــــقـــابـــلات.

4- تـــــراجـــــم.

1- نصـــوص نثريـــة:

ذكـــرى 8مـــــــاي

يوم مظلم الجوانب بالظلم ،مطرز الحواشي بالدماء المطلولة ،مقشعر الأرض من بطش الأقوياء مبتهج السماء بأرواح الشهداء ،خلعت شمسه طبيعتها فلا حياة ولا نور، وخرج شهره عن طاعة الربيع فلا ثمر ولا نوْر ،وغبنت حقيقته عند الأقلام فلا تصوير ولا تدوين .

يوم ليس بالغريب عن (رزمانة) الاستعمار الفرنسي بهذا الوطن ،فكم له من أيام مثله ولكن الغريب فيه أن يجعل – عن قصد – ختاما لكتاب الحرب ،ممن أنهكتهم الحرب على من قاسمهم لأواءها ،وأعانهم على إحراز النصر فيها ،ولو كان هذا اليوم في أوائل الحرب لوجدنا من يقول :إنه تجربة ،كما يجرب الجبان القوي سيفه في الضعيف الأعزل.

* * *

اثنان قد خلقا لمشأمة الاستعمار والحرب ،ولحكمة ما كانا سليلى أبوة ،لا يتم أولها إلا بثانيهما ولا يكون ثانيهما إلا وسيلة لأولهما ،ولقد تلاقت يداهما الآثمتان في هذا اليوم في هذا الوطن هذا مودع إلى ميعاد ،فقعقعة السلاح تحيته ،وذلك مزمع أن يقيم إلى غير ميعاد فجثث القتلى من هذه الأمة ضحيته .

* * *

تستحسن العقول قتل القاتل ،وتؤيدها الشرائع فتحكم بقتل القاتل ،ولكن الاستعمار العاتي يتحدى العقول لأنه عدوها ،والشرائع لأنها عدوه ،فلا يقوم إلا على قتل غير القاتل...ويغلو في التأله الطاغي ،فيتحدى خالق العقول ومنزل الشرائع ،وينسخ حكم الله بحكمه ،ورحمة الله بقسوته فيقتل الشيوخ والزمنى والنساء والأطفال .

* * *

أين النعمان بن المنذر ويوماه من الاستعمار وأيامه ؟ كان للمنذر يومان : يوم بؤس ويوم نعمى وبينهما مجال واسع للبخت ،وملعب فسيح للحظ ،فإذا طار طائر النحس في أحد يوميه وقع على حائن أتت به رجلاه ،أو محدود لم يلتق مع السعد في طريق ،أما الاستعمار فأيامه كلها نحسات ،بل دهره كله يوم نحس مستمر ،محيت الفواصل بين أيامه ولياليه فكلها سود حوالك ،يطير طائر النحس منها فلا يقع إلا على أمم آمنة مطمئنة ؛وأين قتلى ضمخت دماؤها الغريين ،من قتلى ضمخت دماؤها أديم الأرض ،وخالطت البحار حتى ماء البحار أشكل .

أمة كالأمم حلت بها ويلات الحرب كما حلت بغيرها ،وذاقت لباس الجوع والعرى والخوف و تحيفت الحرب أقواتها وأموالها ،وجرعت الثكل أمهاتها واليتم أطفالها وأكلت شبابها وقطعت أسبابها وصليت نار الحرب و لم تكن من جناتها ،وقدمت من ثمن النصر مئات الألوف من أبنائها قاتلوا لغير غاية ،وقتلوا من غير شرف ،في حين كانت الأمم تقتتل على الملك والملك مجد وسيادة وعلى الحرية

والحرية حياة وعزة ،أما هذه الأمة فكانت تقاتل لخيال من أمل ،وذماء من حياة وصبابة من رجاء وخلب من وعد ،علا نداؤه ،وتجاوبت في الخافقين أصداؤه ،من ديمقراطية زائفة كذب نبيها مرتين في جيل واحد ،فلما سكن الإعصار وتنفست الأمم في جو من السلم ،وتهيأت كل أمة أن تستقبل بقايا النار من شبابها ،وكل أم أن تعانق وحيدها ،عاودت الاستعمار ألوهيته وحيوانيته في لحظة واحـــدة يحاد الله بتلك ،ويغتال عباده بهذه ،وعاد بالتقتيل على من كانوا بالأمس يمدون حياته بحياتهم ،ليريهم مبلغ الصدق في تلك الوعود ،ويحدثهم بلغة الدم ومنطق الأشلاء أنه إنما أقام سوق الحرب ليشتري حياته بموتهم وليرمم جداره بهدم ديارهم ،فإذا بقي منهم كلب بالوصيد أو من ديارهم قائم غـــير حصيد ،قضى ذلك المنطق فيه بالإبادة والمحو وجعل أيامه خاتمة لأيام الدم والحديد ،وعطفه على عدو الأمس المشترك عطفا بالفاء لا بثم ،وكذلك كان ،فقد فتح الناس أعينهم في يوم واحد على بشائر تدق بالنصر وعلى عشائر من «المنتصرين»تساق للنحر ،وفتحوا آذانهم على مدافع للتبشير وأخرى للتدمير ،وعلى أخبار تؤذن بأن الدماء رقأت في العالم كله ،وأخرى تقول :إن الدماء أريقت في جزء صغير من العالم ،هو تلك القرى المنكوبة من مقاطعة قسنطينة وفي لحظة واحدة تسامع العالم بأن الحرب انتهت مساء أمس ببرلين وابتدأت صباح اليوم بالجزائر وفيما بين خطوة البرق ،بين الغرب والشرق ،أعلنت حرب من طرف واحد وانجلت في بضعة أيام عن ألوف من القتلى العزل الضعفاء وإحراق قرى وتدمير مساكن و استباحة حرمات و نهب أموال ،وما تبع ذلك من تغريم و سجن واعتقال ،ذلكم هو يوم الثامن ماي.ومن يكون البادئ يا ترى ؟آ لضعيف الأعزل، أم القوي المسلح ؟

* * *

لك الويل أيها الاستعمار ! أهذا جزاء من استنجدته في ساعة العسرة فأنجدك واستصرخته حين أيقنت بالعدم فأوجدك ؟ أهذا جزاء من كان يسهر وأبناؤك نيام ،ويجوع أهله وأهلك بطان ،ويثبت في العواصف التي تطير فيها نفوس أبنائك شعاعا ؟ أيشرفك أن ينقلب الجزائري من ميدان القتال إلى أهله بعد أن شاركك في النصر لا في الغنيمة ولعل فرحه بانتصارك مساو لفرحه بالسلامة فيجد الأب قتيلا ،والأم مجنونة من الفزع ،والدار مهدومة أو محرقة ،والغلة متلفة ،والعرض منتهكا ،والمال نهبا مقسما ،والصغار هائمين في العراء ؟ .

يا يوم !... لله دماء بريئة أريقت فيك، ولله أعراض طاهرة انتهكت فيك، ولله أموال محترمة استبيحت فيك، ولله يتامى فقدوا العائل الكافي فيك، ولله أيامى فقدن بعولتهن فيك ثم كان من لئيم المكر بهن أن منعن من الإرث والتزوج ،ولله صبابة أموال أبقتها يد العائثين ،وحبست فلم تقسم على الوارثين .

* * *

يا يوم !... لك في نفوسنا السمة التي لا تمّحي ،والذكرى التي لا تنسى ،فكن من أية سنة شئت فأنت يوم الثامن ماي وكفى ،وكل مالك علينا من دين أن نحي ذكراك ،وكل ما علينا لك من واجب أن ندون تاريخك في الطروس لئلا يمسحه النسيان من النفوس. (1)

(1) الإبراهيمي، محمد البشير: عيون البصائر،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،دون تاريخ .ص ص 369- 372.

ذكـــــــرى ثامـــن مـــاي

إن عهود الاستعمار كلها عهود ظلم وإرهاب ،واعتداء على الحريات والحرمات وأيامه كلها أيام سود في تاريخ البشرية ،وصحائف تاريخه كلها تمجيد للطغيان ،وسفك للدماء وقتل للمواهب وخنق للحريات ،وتمكين للاستبداد ،وإبادة للشعوب والأمم .

والاستعمار بمعنى غزو أمة لأخرى ،واعتداء شعب على آخر :قوة عمياء تغذيها الفوارق القائمة بين الأمتين أو الشعبين في الجنس واللغة والدين والمصلحة ،وتوجهها العنصرية المسلحة ؛فتسير في الأرض لا تعرف قانونا ،ولا تدين بشريعة إلا ما تضعه وتسنه وذلك كله يتلخص في شيء واحد القضاء على الأمة المغزوة المغلوبة بوسائل مسطورة يرثها الخلف عن السلف ،وفي مقدماتها تجريدها من مادياتها ومعنوياتها كلها فلا غنى ولا دين ،ولا علم ولا أدب ثم الزجر والقمع والردع عن طريق الإكثار من المذابح والجرائم والضحايا التي يلجأ إليها المستعمر كلما أحس بانقباض النفوس ،وانطواء القلوب على كرهه .

والاستعمار قوة عمياء ،والمستعمر قوي أعمى ؛لكنه يرهب الضعيف ،ولا يأمن العاقبة ولا تزيده النذر إلا عمى وضلالا ،وإمعانا في الطغيان وعتوا ونفورا ،واستكبارا في الأرض .

ولو ذهبنا نحصي مآسيه وضحاياه وجرائمه منذ نزل بأرضنا لما استطعنا أن نحصيها.

فذكرى ثامن ماي هي ذكرى ضحاياه التي بلغت 40.000 حصدتهم قوته العمياء بقنابلها ومدافعها بين عشية وضحاها ؛فسقط الشيخ والكهل والشاب والفتاة وربة البيت والرضيع ومن يحبو من الصبية والأطفال صرعى وحشية جنوده وضحايا رصاصه .

فاض الاستعمار في هذا اليوم المشئوم كالبركان ،فقذف كل ما في أحشائه من الحمم واليحموم والنار ؛فذبح تذبيحا ،وقتل تقتيلا .

فذكرى ثامن ماي مؤلمة إيلاما شديدا لا يفتأ يحز في النفوس إلى الأبد ؛وإنها لهولها وعموم فظائعها لتكاد تنسينا ما قبلها من ذكريات الألم والظلم والعدوان ،وما سطره في صفحات تاريخه السود من حوادث الترويع والتقتيل والتنكيل والزج بالأبرياء في أعماق السجون من كل ما كان يلجأ إليه في فترات مختلفة اتصلت حلقاتها في هذه البلاد من سنة 1830 إلى حوادث معسكر الأخيرة ...

فتعسا لشعب لا تعلمه آلامه وأحزانه وذكرياته غير البكاء والدعوة بالرحمة والرضوان لضحايا الظلم والاستعمار .

وتعسا لمن لا يفهم عنها إلا أنها محنة تولت ،ويوم نحس يطويه التاريخ من بين أيامه السود طيا.

ثارت ثائرة الاستعمار في هذا اليوم من شهر ماي ؛فكان حقا قوة عمياء تمشي على الأرض :لا في سطيف فحسب ،بل في سائر بلاد القطر ؛فاكفهرت وزمجرت وأرعدت وأبرقت ؛فما اعترض أحد طريقها إلا داسته ،وأودعته القبر أو السجن المظلم .

أشرق وجه السلم في هذا اليوم على العالم ،وراحت تباشير النصر تطرق كل باب وبدا في الآفاق لألاء المواسم والأعياد ،وعلت أصوات الابتهاج والطرب في كل جو ،وتألفت من الجماهير مواكب

تجوب المدائن في مختلف بلاد العالم مؤذنة بيوم النصر السعيد هازجة بعودة السلم إلى القصور والأكواخ .

ولكن الاستعمار أبى إلا أن يجعل الجزائر كلها في هذا اليوم مأتما تظلم فيه الأكواخ وتقفر البيوت ،ويعلو صوت الثكل في كل مكان ،ويشهد الناس منظرا يذيب لفائف القلوب ويملأ النفوس فزعا من هول الساعة .

توقع الاستعمار كثيرا من الشر ينال من نفوذه نيلا إذا انتهت الحرب ،فأضمر كثيرا من الحقد والإحن للشعوب التي تتطلع إلى فجر الحرية يطل عليها بعد انتهائها ؛فاختار يوم النصر لإبداء ما بين حناياه وضلوعه من الأضغان ففعل فعلته ،وأنذر الجزائريين بطشته ،وحذرهم أن تمتد أعناقهم وتتطلع أبصارهم لما لم يكن مباحا جناه من ثمرات النصر والسلم إلا للأسياد المستعمرين .

آه لو أنا نفهم الاستعمار كما يفهمنا ،لو أنا نحسن ذكرى شهدائنا ؛غدا لأن لنا من ذلك كله خير درس يوحد بين صففنا ؛فيرى الاستعمار عين اليقين أننا كسائر الشعوب الحية الناهضة التي تقبس من ذكرياتها السارة والمحزنة الحكمة العالية ؛فتسير على ضوئها لا تبالي بمآسي الحياة ،وتزيح ما في طريقها من الصخور والأشواك التي لا تزال تهشم أقدام السائرين وتدمي أيديهم .ولكني أخشى أن نكون قوما لا يكادون يذكرون شيئا حتى ينسوه خيرا كان أو شرا .

وها هو الاستعمار لا يزال ينظر إلينا بعينه التي فتحها على مغانينا سنة 1830 ؛يشع فيها المكر والخديعة وخبث الطوية .أما نحن فلنا في كل يوم ألف عين تنظر إليه على أشكال متنوعة وأبعاد متفاوتة ؛فإذا أشع في هذه الغضب صباحا ،استحال مساءا إلى رضا وسرورا وإذا بكت تلك ليلا مسحت دموعها سحرا ،فلم ير له من أثر نهارا .

إن في تاريخنا مع الاستعمار صفحات هي غرر في جبين الأيام تستعصي على الفناء؛ لأنها كتبت بدماء الشهداء.وإذا كانوا لم يرفعوا بعد للحرية صروحا ،ويعيدوا للبلاد استقلالها الضائع فقد ضربوا مثلا حيا من التضحية والبطولة لا يبرح مقيما في النفوس مرسوما على صفحات القلوب يحدث أبناء

هذا الجيل ومن يأتي بعدهم أن الاستعمار كله شر وإبادة لا يتولاه من الأمم والشعوب التي اعتدى على استقلالها ،وبسط عليها نفوذها إلا الخائنون المخدوعون وقد أرانا في حوادث ماي هذه لو كنا نسمع أو نعقل كيف ضرب الجميع ضربة واحدة ،وساقهم كلهم بعصاه إلى العذاب المهين.

أربع سنوات تمر على هذه المجزرة البشرية ،وهي كافية لعودة ألمانيا إلى الوجود السياسي وظهورها على مسرح السياسة العالمية من جديد ؛كأنها لم تذق مرارة الهزيمة ولم يأت العدو أرضها ينقصها من أطرافها .فماذا صنعنا نحن ؟ وكيف مرت علينا هذه السنوات الأربع سراعا؟

اللهم إن الجواب عن هذا كله صعب وعسير علينا.

أربع سنوات تمر على سقوط أربعين ألفا من أبناء الجزائر الأبرياء ،وذهابهم ضحية الاستعمار الغاشم الذي يتحين الفرص ،ويرقب السوانح لصب سوط عذابه كرة أخرى على هذه الأمة ،حتى لا تنسى أنه لها دائما بالمرصاد ،فكانت حوادث معسكر الدامية التي في نفس الزمن لتكون أبلغ في الوفاء بالمراد ،وأفصح في التذكير والإرشاد .

إن ذكرى ثامن ماي ثروة قومية حمراء دامية إذا لم نودعها قرارة نفوسنا ونستضيء بنورها أوشكت أن تضيع وتتبدد فلا يتعظ بها أحد كما ذهب ما قبلهامن الثروات الوطنية التي أزهقت فيها الأرواح ،وسالت الدماء ،وتناثرت في ساحتها الأشلاء وتطايرت الرؤوس من كل جانب .

إن مشهدا من مشاهد القسوة والجبروت تجلت فيه غطرسة الجندي الاستعماري وغلظ كبده حين اجتاح القرى وفتك بأغلى شيء فيها؛ وأنزل العذاب بساحتها على الآمنين من الشيوخ والأطفال والفتيان والفتيات لمشهد لا يمكن أن تطويه الأيام عبثا. وبعد ،فقد سوت هذه الغطرسة بين الناس في هذا اليوم المشئوم فلم ترحم منا أحدا ، صغيرا كان أو كبيرا ،رجلا كان أو امرأة وموظفا ان أو عاملا ؛فهل تسوي اليوم بيننا ذكرى أولئك جميعا فنري الاستعمار أن عدونا الذي عجمه فوجده صلبا لا يزال كذلك ؟كما أن مبدأنا لا يزال أثبت من الصخر .فإن فعلنا ،ولا إخالنا إلا فاعلين ،كانت هذه الذكرى منا تحية عاطرة لأرواح شهدائنا الأبرار ونورا لأبصارنا ونارا لأعداء الله والوطن. (1)

(1)بن عمر، باعزيز، « ذكرى ثامن ماي»،جريدة البصائر ، ع79،9ماي1949. ص 1.

الخـــنـــدق الفـــاصل : حـــوادث 8 ماي 45

يا لله لتلك الجراحات التي لا تكاد تنجبر حتى يأتي عليها ثامن ماي ، فتدمي على ذكراه من جديد !

رباه إنها ليست بالجراحات التي تضمد فتبرأ ،وتتوالى عليها الأيام فلا يبقى منها إلا الأثر بل ما هي إلا أغوار عمقها في ملايين القلوب لا يسبر وإصابات بليغة بركانها في ملايين الأفئدة لن يهدأ ولن يسكن ،ووقعها في النفوس جمرات تتوقد ،وقد ألف أن النسيان يأتي على الحوادث فيطمس آثارها إلا حوادث ماي فإنها عدت على النسيان فمحت وجوده من البشر .

أمة بريئة هاته الأمة الجزائرية التي نكبتها أيها المستعمر ،ولقد تركت بضراوتك وحشة في النفوس ظلت وستظل مصدر التوجع والألم والخندق الفاصل بين يعرب والعجم.

أيها المستعمر إن مناظر جرائمك السود ما تزال ماثلة في دماء الأبرياء المتحجرة ومساكنهم التي كانت آهلة عامرة وأصبحت اليوم بفعلك- أيها الغادر- طلولا تطارد فيها النسور والغربان .

أيها الغادر !

لقد عرفت الأمم المحن ولا كمحنتك للأمة الجزائرية في حوادث ماي واعتدى البشر على البشر ولا كاعتدائك عليها في حوادث ماي .

نهبت المال وخربت الدار ،وأيتمت الولد ،وكل ذلك وقع مثله في الأمم من ضراة مثلك ثم لذت تتفنن في النكاية وانتهاك الحرم والتمثيل بالناس فمزقتهم أشلاء ،وطعنتهم أحياء ثم خلدت بعد ذلك إلى الشماتة وهذا هو الذي لم يحدث به التاريخ و لم يبدر مثله من أحد .

أيها الغادر !

إن ذكرى طغيانك العنصري من أجل السيادة والاستقلال يوم 8 ماي لهو اليوم الذي قضيت فيه نحبك ،ولهو اليوم الفاصل ضد الدعايات الكاذبة منك ومن أذنابك للأخوة والتعاون وحسن الجوار .

لقد أجرمت - أيها الخائن- ثم سجلت تاريخ إجرامك على صخور «شعبة الآخرة» بخراطة فتجلت حقيقتك ،ودللت بذلك على أن حقدك لم تغسله الدماء ،وحتى المغرور منا عرف مكانته منك يوم شننت الغارة فقتلت بنيه وذويه ،واستوحشت فانتهكت حرماته.وتلصصت فنهبت ما له وأعليت النداء أن :قتلوا وذبحوا فإنه لا فرق بين « البيكو» وقد ظهرت حقيقة فرنسا « الرحيمة»من موقفها إزاء اعتدائك وظلمك من تصريحات رجالها ،وعلى لسان وزرائها وقادتها يومئذ ،فلم يبق بصيص من الأمل حتى لأولئك الذين رجوا الخير منها غلطا ،وأي أمل يبقى وقد صدرت الأوامر بإيقاع الأحكام القاسية على أولياء الأموات الشهداء ،وإيواء المجرمين -بل مكافأتهم- من أبنائها الملطخين بالدماء .

ألا فليشهد التاريخ أن من أبناء الأمة الجزائرية من ضحى بالنفس والنفيس في سبيل تحرير فرنسا وأن من أبناء فرنسا من جازاه بقتل الأهل وتخريب الدار.

أما شعار الأخوة والعدالة والحرية والمساواة فإنها بضاعة فرنسية لا تقبل التصدير وإن هربت إلى بلادنا فإنما هي للخداع والتغرير. (1)

(1) «الخندق الفاصل. حوادث 8 ماي 45 » ،جريدة الشعلة، ع22،24رجب1369هـ/11ماي 1950م. ص 1.

ذكـــــرى وعـــبـــــرة

ثارت الحرب العالمية الثانية .ودعي الشعب الجزائري للمشاركة فيها إلى جانب الحلفاء وجرت الدعاية بأن هذه الحرب «تحريرية»وهولت خطر «المحور» وأهدافه الاستعبادية ونزعته العنصرية .فجند من جند وتطوع من تطوع من الجزائريين وخاضوا غـــمار الحرب كـــما خاضها إخوانهم التونسيون والمراكشيون في سبيل الدفاع عن حرية البشرية المهددة .وانتهت الحرب بانتصار الجيوش التحـــريرية وقد سقط في ميادين القتال من الجزائريين خلق كثير ،وسجن عدد عديد ،وعاد الباقون من الجرحى والمبتورين والسالمين إلى بيوتهم .

وكان يوم الهدنة يوم 8 ماي 1945قام فيه العالم«التحريري» يحتفل بتحطيم المحور«الاستعبادي» مستبشرا بانتصار القوات « الديمقراطية» على القوات ﴿الديكتاتورية﴾ وأرسلت أمواج الأثير ﴿البشرى﴾ في طول الدنيا وعرضها أن ﴿قوات الخير﴾قد انتصرت على ﴿قوات الشر﴾ ،فما على البشرية إلا أن تطرب وترقص وتستعد لاستقبال عهد جديد تسود فيه الحرية ،وتزول منه العبودية وينقضي فيه استغلال الإنسان للإنسان ، ويذهب الخوف على الأنفس والأموال . فقام الشعب الجزائري يحتفل باستقلال العهد الجديد موقنا بأنه في جملة الشعوب الموجهة إليهم هذه ﴿البشرى﴾ نظرا لما قدمه من التضحيات بجانب الجيوش ﴿التحريرية ﴾ . وأعلن عن يقينه هذا بإقامة مظاهرات سلمية رافعا لافتات يعرب فيها عن مطامحه في الحرية والاستقلال ، وانقضاء عهد العبودية والاستغلال وبزوغ عهد ارتفاع كرامة الإنسان . ولكن ما كاد ركب المظاهرات يتحرك حتى فوجئ بحملة عدوانية ، فمزقت اللافتات ،وديست وقتل حاملوها ، واعتقل عشرات الآلاف من الشبان والكهول والشيوخ ونكل بهم شر تنكيل وأقيمت مجزرة ذهب فيها خمسة وأربعون ألف جزائري ضحايا الظلم والعدوان فيهم الشيوخ والعجائز والنساء والصبيان ،وخربت الديار ،وأتلفت الحقول والمزارع ،وانتهكت الحرمات ،حتى خيل للنفوس أن الحرب قد انتقلت من أوروبا إلى الجزائر .

وعاد الجنود الجزائريون إلى وطنهم وآثار الحرب لاتزال مساورة لهم ، إلا أنهم واثقون بمغادرة دار حرب إلى دار سلم يجدون فيها السلوى والراحة وحسن الجزاء . ولكن سرعان ما خابت ظنونهم حين وجدوا منازل خربة ومزارع متلفة ، ورأوا آباءهم وأمهاتهم وأزواجهم وأبناءهم جثثا هامدة وأشلاء مبعثرة .

من الجاني ؟ فهل مر النازيون من هنا ؟ لم يمر النازيون بهذه الربوع ، وليس هذا من أثرهم . إنه أثر من لم يكن في الحسبان أن يقدم على هذه الجريمة الشنيعة ويطعن في الصميم أولئك الجنود الذين استهدفوا للنيران لصد الخطر عنه : إنه أثر ممثلي الدولة الفرنسية وفقا لروح ﴿الرسالة التمدينية ﴾ إنه أثر أولئك الذين كانوا يدعوننا في صحفهم وقت الخطر﴿ إخواننا المسلمين ﴾ فأراقوا دماءنا وأصبحوا ينعتوننا بعد الخطر في تلك الصحف نفسها بـــ ﴿ سفاحين ، متوحشين ﴾ ! .

وعاشت الجزائر في جو من الرعب مدة طويلة . ثم انقشعت الغشاوة ، وهدأت العاطفة ، وتحرك العقل يبحث عن أسباب العدوان ، فوجد أمامه مؤامرة محكمة التدبير ، واستقصى البحث فاكتشف أن مؤامرة 8ماي حلقة من سلسلة المؤامرات المدرجة في البرنامج الاستعماري الفرنسي المعد للتطبيق ليس في الجزائر فحسب بل في كل مستعمرة فرنسية بشهادة شخصية رسمية في مجلة ﴿الفكر﴾ " Pensée " إثر حوادث مدغشقر .

وظهرت للعيان ﴿ سياسة المؤامرات ﴾ بعد ما كشف النواب الجزائريون الغطاء عن خبايا حوادث 8ماي في البرلمان الفرنسي ، وبعدما أوقفت الحكومة الفرنسية سير لجنة البحث التي عينتها للتحقيق في تلك الحوادث وبرهنت بهذا الإيقاف على أن المجزرة أمر دبر بليل وأن المسؤولين عنها في حاجة إلى ستر إذ في ظهورهم افتضاح للبرنامج المسطر باليد العليا ، وبهذا اتضح أن في البرنامج الاستعماري الفرنسي فصلا خاصا يدعى (سياسة المؤامرات) . وتجلت هذه السياسة فيما تتابع بعد ذالك الحوادث الأليمة في القطر الجزائري وأخيرا فيما كشفه البرلماني حماد الشريف من تدبير مؤامرة جديدة في فج مزالة ، وتبين أن (سياسة المؤامرات) هذه ترمي إلى تبرير العدوان على الجزائريين لصرفهم عن المطالبة بحقهم في الحياة الحرة ، وقمع كل نزعة تحريرية فيهم والقضاء على روح المقاومة التي برهن عليها الشعب الجزائري على الدوام ، وإخماد الروح القومية المثبتة للكيان الجزائري . يدل على ذالك هذه المحاكمات الزجرية الشديدة التي زجت بمئات من الشبان الحاملين الروح القومية في السجون وأثقلتهم بخطايا مالية فادحة ، وآخرها محاكمة شبان بجاية في هذه الأيام .

فهل بلغ الاستعمار الفرنسي أهدافه ؟ إذا نحن نظرنا إلى انشقاق حركة (أحباب البيان والحرية) التي كان الشعب الجزائري متحدا فيها سجلنا نقطة كبيرة للاستعمار ، إلا انه نجاح مؤقت ، لإمكان توحيد الصفوف من جديد . وإذا نحن نظرنا إلى الروح القومية التي أظهرها المعتقلون والمنكوبون والتي لم يزدها القمع إلا حماسة سجلنا عليه الخسران . وقد تجلت هذه الروح القومية في الانتخابات المتعددة حتى أن الاستعمار أصبح أمامها مضطرا لتزوير الانتخابات . وأكبر من هذا خسران الثقةلافتضاح (سياسة المؤامرات)و(سياسة نكث الوعود) وزيادة عليه فإن هذا السلوك السياسي الشاذ قد زعزع المركز الأدبي الذي كانت تتمتع به فرنسا في العالم العربي ، كما أنه فتح عليها باب الانتقاد الوجيه والطعن المصيب لدى الدول المنافسة لها . والظاهر أنها غير حريصة على حفظ مودة العرب فاضطهادها للجزائريين ، واستهزاؤها بالتونسيين ، وإرهاقها للمراكشيين ، ومعارضتها لوحدة ليبيا واستقلالها ، وموقفها في قضية فلسطين ،و كل هذا يدل على مدى تقدير الحكومة الفرنسية للعالم العربي . ولاشك أن تصميمها على هذا السلوك سيؤديها إلى خسارة من مصلحتها أن تتحاشاها نظرا لما تتخبط فيه من المشاكل ، ولأن تقرير مصير العالم قد خرج اليوم من ساحة أوروبا العجوز ... فهل تراجع فرنسا (سياستها الإسلامية) وتعدل سلوكها إزاء العرب ؟ أم أن الاستعمار الفرنسي شبيه بفرعون لا يؤمن بالحق إلا حين يدركه الغرق ؟ .

وها نحن اليوم على أبواب حرب ثالثة . وستوسم هذه الحرب بأنها (تحريرية) كما وسمت سالفتها . وسيدعى الشعب الجزائري إلى المشاركة فيها لصد (الخطر الشيوعي) الذي يهدد البشرية والمدنية ومن المعلوم أن الشعوب إنما تخوض غمار الحروب طلبا لحق أو دفاعا عن حق أوصدا لخطر .

والشعب الجزائري يطالب بحقه في حياة حرة مستقلة . فهل يكون بجانب من ينكر عليه هذا الحق ؟ أما دعوى صد (الخطر الشيوعي) فقد تقرر لدى كل عاقل أن الاستعمار أشد الأخطار على المدنية والبشرية . ويكفي أن نذكر مجزرة 8 ماي 1945 لنتحقق مدى صدق الاستعمار في صد الأخطار التي تهدد المدنية وحرصه على سلامة البشرية . وقد فهمنا جيدا معنى الحرب (التحريرية) في العرف الاستعماري وإذا كان من الطبيعي أن يحرص الاستعمار على البقاء فمن الطبيعي أن نستخلص العبرة من الحوادث الماضية لنتخذ الموقف الملائم لسلامتنا.

والدرس القاسي الذي نستخلصه هو أن الحرب العالمية الثانية (التحريرية) انتهت بأسوأ النتائج للشعب الجزائري . وذلك لأنه لم يكن متهيئا لاستغلال الظروف واغتنام الفرص المواتية لتحقيق مطامحه . فهل ستجده الحرب المتوقعة على مثل تلك الحال ؟ وهل يفوت الفرصة المواتية أم يعرف كيف يغتنمها ؟ وهل يوفق الله شعوب المغرب إلى توحيد موقفها في سبيل الحصول على أمانيها القومية ؟ وهل أدركنا أنه يجب علينا قبل كل شيء أن نعتمد على أنفسنا وأن لانرتجي من الاستعمار خيرا ؟ ففي درس يوم 8 ماي 1945 عبرة للمعتبر . (1)

---

(1) بوزوزو، محمود،«ذكرى و عبرة»، جريدة المنار،ع3،السنة الأولى ،الجمعة 27رجب1370هـ/4ماي 1951م .ص1.

ذكـــــرى ثـــامـــن مـــــــاي

خاض الاستعمار الحليف هذه الحرب الأخيرة ، كما خاض الأولى ، وهو خائف يترقب الهزيمة كل يوم ، ويتوقع الشر ، يصيب نفوذه الاستعماري الطويل العريض ، بما كانت تسوقه إليه مفاجآت المعارك الطاحنة من النذر المهددة لأوضاعه العتيقة ، ولسياسته الاستعمارية القائمة في مختلف بلاد آسيا وإفريقيا.

ذلك أن هذه الحرب الثانية لم تكن ـــ كما زعم الموقدون لنارها من الطرفين – لتحرير الشعوب قاطبة ؛ إنما كانت – كالتي تقدمتها للاستيلاء والغلبة والسلطان وتنازع البقاء ؛ وإذا ما

حاولت دعاية الطرفين الحربية أن تبدي خلاف هذه الغاية المسطورة ، بتسميتها حرب تحرير ، فما ذلك من الطرفين ، المهاجم والمدافع ، إلا مغالطة وتحذير لشعوب أريد سوقها إلى خوض غمارها دفاعا عن حرية الجميع المسلوبة بزعم أولئك الناهبين .

ومعنى هذا أن أقطاب هذه السياسة الاستعمارية من الحلفاء – لا يريدون أن يحرروا الناس والشعوب من أنفسهم ، وإنما يريدون أن يبعدوا خطر المحور عن مناطق نفوذهم حتى إذا انتصروا عليه ، عادوا سيرتهم الأولى ؛ وهذا ما رسمه أقطاب المحور نفسه لسياستهم الاستعمارية .

ولهذا ما كادت المعركة النهائية تنجلي عن ظفر الحلفاء بالمحور حتى تداعى شيوخهم وساستهم في كل مكان إلى وجوب العودة إلى ما كان عليه العالم قبل هذه الحرب الثانية ؛ من تقسيمه إلى مناطق نفوذ واستعمار ، واستغلال لشعوب مستضعفة خاضت غمار الحرب بجنبهم وهي ترجو أن ينالها من التحرير الموعد به ما يكافئ تلك الدماء التي أسالتها في ساحة الوغى نضحا عن استقلال هؤلاء الأقوياء ؛ فطارت هولندا إلى أندونيسيا لتستأنف سياستها الاستعمارية ، وقفت عليها فرنسا إلى الهند الصينية لنفس الغاية وخف المستعمرون في الجزائر إلى مثل ذلك ، فنفذوا مؤامرتهم الاستعمارية في صبيحة يوم النصر نفسه ، كأن شيئا لم يقع في العالم ،وثامن ماي من سنة 1945 قمن بتصوير هذا الغضب الاستعماري في الجزائر بفظائعه ومجازره .

* * *

عرف الاستعمار أن هذه الحرب قد فتحت الأعين ،فلئن لم تحرر الشعوب كلها فإنها قد غذتها كلها بروح المقاومة ،وعلمتها كيف تدافع عن كيانها ،وأرتها أن المستعمرين ضعفاء بدونها وأن الذي بقي في أيديهم من القوة للقضاء على هذه الروح وإخماد تلك النار المتأججة في الصدور ،لا يغني عنهم وهـــل زادت الشعب الجزائري مؤامرتهم هـــذه التي أحكموا طـــرقها ثم أطلقوها في هذا اليوم المشهود ،كالبركان يقذف بالنيران والحـــمم ،إلا استمساكا بوطـــنيته وإيمانا بحقه في الحرية والاستقلال ؟...

وهل كان مآل مؤامرة الاستعمار الهولندي بأندونيسيا إلا أن يخرج منها مذموما مدحورا ؟.

إن ثامن ماي ليوم محنة كبرى على الجزائر ، ويوم حداد وطني عام فيها ،ولكنه يوم أعلن فيه الاستعمار بدوره عن عجزه في مقاومة يقظة الشعوب التي قامت تنشد الحرية والاستقلال ،وتضحي في سبيلها بكل عزيز لديها .

وإنه لنكبة من أفدح النكبات ،أصابت الجزائر ،إلا أنه نكبة كذلك على الاستعمار تشير إلى هزيمته ؛وزوال أيامه السود ،ولو كشر في هذا اليوم عن أنيابه ،وشمر عن ساقه بعد أن أنكمش أيام الإيطاليين والأمريكيين انكماشا مخزيا لا يبدئ ولا يعيد .

وها هو اليوم يعود ،فتعود إلى أذهاننا ذكرى أفظع مأساة عرفتها الجزائر في تاريخها الحديث وأهول مجزرة بشرية فتح الجزائريون أعينهم عليها في صبيحة يوم ،قيل عنه :إنه نصر مؤزر وظفر بالعدو المشترك .

* * *

في هذا اليوم جن جنون المستعمرين فانطلقت وحوشهم الضارية في سطيف وقالمة تفتك بالأبرياء فتكا ذريعا ،وتمعن في النهب والسلب وإحراق البيوت وإرهاق الأرواح بشكل مرعب لا قبل لقلم بوصفه .

في هذا اليوم تحركت القوة الاستعمارية العمياء في مقاطعة قسنطينة ،فكانت لا تأتي على شيء في طريقها إلا جعلته كالرميم فلله ما سال في هذا اليوم من دماء الشيب والشباب ،ولله تلك القرى التي كانت آمنة مطمئنة ،فجاءتها هذه القوة العمياء ،فداستها في طريقها ،وسامت أهلها سوء العذاب فجعلتها حصيدا كأن لم تغن بالأمس ،لم يترك فيها التذبيح والتقتيل والتشريد أثرا لشيخ يدب أو لصبي يحبو ،أو لفتى وفتاة يستقبلان الحياة باسمين في ظل أبوين كريمين ليس لهما من أمل في الحياة سوى أن يريا زهرتيهما تتفتحان يوما في حقلهما تحت بصرهما ،وإذا باليد الأثيمة تعدو عليهما وعلى ما حولهما من مباهج الحياة ،فتدع الديار بلاقع ،بعد أن بطشت بساكنيها بطش الجبارين .

في هذا اليوم عادت البقية الباقية من جنودنا الذين سيقوا إلى حرب التحرير !... فأخذوا يفتشون عن ذويهم وذراريهم وأزواجهم ،ولكنهم عبثا فتشوا عنهم ،فقد نهبت قراهم وخربت بيوتهم وأقفرت مساكنهم ،فلم يكادوا يتبينونها إلا من أطلال وأشلاء .

في هذا اليوم عرض الاستعمار بهذه القطعة من الجزائر ،قوته وجبروته ،فذبح الأبناء ،ولم يستحي النساء ،ولا من مشوا في ركابه من الأعوان والخونة المجرمين لأنهم جميعا جزائريون في نظره فإذا كان منهم طائفة لم يخلصوا لجزائريتهم ،فأعانوا الدخيل على الأصيل ،وخدعهم جبابرة الاستعمار عن أنفسهم ،فاستلوهم من جزائريتهم كما يستل الناسل الخيوط من الثوب ،فربما عقبوا من بعدهم من لا يكونون أمثالهم ،فيعرفون معنى الوطن ،ويغضبون على احتلال البلاد وسلب حقوقها وحريتها غضبا شعبيا يستحيل إلى يقظة عامة ،هي كل ما يرهب الاستعمار في جميع عهوده المظلمة ،ويوجس من ظهوره خيفة في الشعوب التي يستعين فيها على قتل حرياتها بإفساد الضمائر ،والتواء الأخلاق وتدنيس النفوس .

وهذا هو المعنى الذي دفع بالاستعمار في هذا اليوم ،إلى أن يسوي في البطش بين من اصطنعهم لنفسه من الأعوان – وهم بحمد الله قليل – وبين غيرهم من عامة الشعب وإن في هذه التسوية لعبرة لقوم يعقلون .

إن كل ما نملك اليوم هو أن نحيي باسم الجزائر أرواح أولئك الشهداء الذين ذهبوا وسقطوا ضحايا العدوان الاستعماري في هذا اليوم العصيب ،وإذا كان للحزن دمع ،وهو الذي سكبناه يوم حل بساحتهم كل هذا العذاب المهين ،وهم في شوق ولهفة إلى عودة من بقي من أبنائهم حيا ،من ساحة القتال ،وإلى المشاركة في تذوق ثمرة النصر نهاية الاستعمار وتعميم الحرية والمساواة بين الناس فإن للفرح دمعا وهو الذي سنسكبه يوم يتم وعد الله بتطهير العالم من بقايا هذا الاستعمار البغيض في الوجود . (1)

(1) بن عمر، باعزيز، « ذكرى ثامن ماي»،جريدة البصائر ، ع155 ،الإثنين 8شعبان 1370هـ/14ماي1951م .ص 1.

8 مـــــــاي

يوم أفراح لقوم يتغنون فيه بحسن حظهم، ويوم أتراح لقوم يندبون فيه سوء حظهم ويوم اعتبار لآخرين فيه دروس للاهتداء في سلوكهم .

في مثل هذا اليوم يفرح صاحب الغنم ويترح صاحب الغرم، وبين الرجاء المحقق والأمل الخائب مجال للعظة ونعم الواعظ الدهر.

في 8 ماي 1945 خمدت حرب أطلق نيرانها على العالم غرب محموم ، لاتهدأ حماه إلا بالسباحة في بحر من الدماء .

فكأن هذا الغرب ما خلق إلا ليذكر البشرية التائهة في الأحلام السلمية ، والظنون الحسنة بأن لامقر فوق الأرض للأخوة والبشرية ، ولا ملجأ فيها للحرية الإنسانية ، ولا قرار فيها لحسن الجوار ، ولا شريعة بها إلا الحديد والنار .

وكأنه ما وجد إلا ليبرهن عن غلبة الطباع الوحشية في الإنسان، ويكذب ما جاءت به الأديان. فما تحررت الطبيعة البشرية من ظلمات الوثنية بفضل الأنوار السماوية إلا لترجعها الفلسفات العلمية إلى وثنية « راقية» تستمد غذاءها من « العلم» الذي يطعمها بأغذية من نوع« الجنس الأعلى» و« القومية الضيقة» و« المجال الحيوي» و« التفوق الغربي» و « النظام الجديد» وما شبه ذلك مما يكسب الآلهة الجديدة ضخامة تسترخص لها القرابين ولا بد للقرابين أن تكون « عصرية» تناسب ضخامة الآلهة الحديثة فلا يكون القربان من الحيوان ولكن من بني الإنسان ، ولا يكتفي بذبح أفراد بل يتطلب شعوبا بتمامها .

ذلك دين الغرب ، وفلسفة الغرب ، وحضارة الغرب ، وحمى الغرب ، ومن أكبر المصائب على البشرية أن تمده الأقدار بالمعاول لهدم شريعة السماء ، شريعة الرفق بالإنسان ، تلك الشريعة التي أصبحت ضحيته العظمى يئدها كما تأكل الهرة بنيها حنانا وإشفاقا .

* * *

في سبتمبر 1939 جن جنون الغرب بعدما هدأ عشرين سنة إثر خروجه من بحر الدماء الذي غمر به الأرض ،وعاودته الحمى طالبة بحرا جديدا فلم يسعه إلا ان يستجيب لها ويعالجها بدوائها ولكل داء دواء .

فقدمت القرابين لإسكان غضب الآلهة وغمر الأرض بحر من الدماء واستراح الكون من أكبر جراثيم الحمى : هتلر و موسوليني ، وهدأت الحمى وظن الناس أن الشفاء قد تم وأن الهدوء قد عم .

ولكن ما كادت تلك الجراثيم تزول حتى ظهرت جراثيم أخرى. وهاهو الغرب يتوعك بحمى متجددة تطلب بحرا من الدماء . وهاهو الكون لا تغيب عنه الشمس إلا وهو يتوقع أن تستحيل عمرة الشفق بحرا يغمر الأرض من أقصاها إلى أقصاها.

* * *

لو كانت الفتنة لا تصيب إلا الظالمين، ولو كانت النار لا تحرق إلا الموقدين، لاستراح العالم من الظلم والحرائق. ولو كان الإنصاف في المغانم والمغارم لاستراح العالم من القلاقل والزلازل . ولكن الفتنة تتحدى صاحبها ، والنار تتجاوز موقدها ، وليس للضعفاء حق في المغانم ، وإن كان لهم سهم في المغارم . تلك حقيقة يعرفها الشعب الجزائري معرفة مجممة ، وقد لمسها لمسا يوم 8 ماي 1945 .

أقدم الغرب على الفتنة يوقظها ، وعلى النار يوقدها ، منشدا أناشيد الحرية والتحرير ، يسوق عشاق الحرية معه . فانطلق الجزائريون باذلين النفس والنفيس في سبيل العهد المنشود عهد التحرير .

فكان النصر حليف الحلفاء الذين انساق معهم الجنود الجزائريون. وجاء وقت اقتسام المغنم بعد دفع المغرم فادحا. فما كان حظ الجزائريين ؟ أطلق عليهم الاستعمار الفرنسي نيرانا أبادت ما يجاوز أربعين ألف مسلم.

فكان يوم 8 ماي 1945 للجزائريين يوم أتراح يندبون فيه سوء حظهم . يتوالى المدى وجرحه باق، ولكنه إلى جانب ذلك يوم درس وعبرة. ونعم الدرس ما جاء من الجراح والآلام .

فإن الغرب اليوم قد عاودته الحمى المشؤومة ، وسيجد لها أناشيد حول ما يصبو إليه الجزائريون من آمال سامية فهل يلدغ المؤمن من جحر مرتين ؟

فإن اتقاء اللدغ يقتضي من الجزائريين جمع الكلمة وتوحيد الموقف لتحقيق مطامحهم قبل كل شيء عملا بقول القائل «عصفور في اليد خير من عشرة في الغد » بل على الشعوب المغربية كلها أن توحد موقفها لكيلا تذهب مطامحها للأهواء الاستعمارية المشؤومة .

فإن الاستعمار يضربها بدون تمييز فعليها أن تقاومه بدون تمييز .وإنه يجعل من فرص تحررها فرصا لتشديد خناقه عليها ، أليس في إمكانها قلب الوضعية لنجاتها ؟... (1)

---

(1) بوزوزو، محمود، « 8 ماي» ،جريدة المنار ،ع 3،الجمعة 13شعبان 1371هـ/9ماي 1952م. ص ص 1و 4.

1945 1953

8مـــــــــاي

يوم بيننا وبينه 8 سنوات ،ولذكراه في النفس حسرات ،وفي العين عبرات . يوم فيه أزهقت أرواح بريئة ،وأريقت دماء زكية ،وعقلت ألسنة فصيحة .وملئت سجون ومحتشدات فسيحة ونكثت عهود وثيقة ،وزلزلت آمال وطيدة ،ونثرت عقود نضيدة وفصمت وحدة فريدة .

يوم تراءت فيه للأمة الجزائرية من مطامحها قطوف دانية ،فسارت أفواجا إلى شجرة الحرية تحت سيرها الآمال المعقودة على العهود الموثوقة من رعاة الشجرة المنشودة التي سقتها بدمها في «كاسينو» وغيرها مشاركة في الغرم ،لتشارك في الغنم ،بموجب العدل ،ومقتضى العقل ،ووحي الضمير ،ومشروع الدين .. ولم تكن تتوقع أن سيرها إلى النعيم ،ينتهي إلى الجحيم ،وأن يوم المغنم أشأم من يوم المغرم ،تجني فيه الشوك بدل الحب ،وتصحح المثل «إنك لا تجني من الشوك العنب ». تلك هي المفاجأة القاسية ،والمصيبة الداهية ،نزلت على الجزائر بحسرات وأتراح بينما«أحلافها » في

مسرات وأفراح ،وليتها لم تدفع في الحرب إلا ثمن الذهاب ،ولم تنل من الغنيمة سوى الإياب ومن العهود سوى السراب ،ولم تجد في استقبال العهد الجديد نارا بالباب ،تلتهب وعيدا ،وتطلب مزيدا .. فبذلت للحيف ،مثلما بذلت للسيف ،ولم تجن سوى العلقم المر ،بدل العسل الحرفإن قيل «ثورة أخفقت ! » قلنا لبعض «ما الداعي لها؟..هل يثور إلا المظلوم ،وهل يئن إلا المكلوم ،وهل الثورة إلا حجة على الحاكم للمحكوم ؟!.. » وقلنا لآخرين«:ما سبب إخفاقها ؟.. » وذكرنا قول القائل: «العاقل لا يقاتل من غير عدة ،ولا يخاصم بغير حجة ،ولا يصارع بغير قوة »..

أو قيل « مؤامرة دبرت ! » قلنا «هل غير الخوف حاك حبالها ،وهل سوى الغـــــدر حـــبر وبالها ؟ ولا يخاف الوفي ،ولا يغدر السخي ،وإلا فأين الدين والعقل والضمير ؟.. أين الحق والخير والجمال ؟ » .

وأدهى الدواهي بعد الدم المسفوك ،والعهد المنكوث ،انفصام العروة الجامعة « أحباب البيان والحرية » .هنا محل العبرة ،تثور فيه الحسرة ،وتترف العبرة ،ولكن العبرات لا تتدارك ما فات فهل للوحدة رجوع فتنضم الجموع ،ويجدد البنيان على خير الأركان سالما من الصدوع ؟ أساسه وعي عميق يجد فيه الكفاح معناه ،وتجد فيه التضحية غذاءها ؟ وعي يستمد من الإيمان القوي قوته ومن الحق الخالد قداسته ..

أيها الشعب !استجل العبر من مختلف الغير ،واستقبل الغد بالحزم والحذر !فبوادر الفتن تلوح في الآفاق وتعلو ،فتحتجب وتبدو ،وتبتعد وتدنو ،لا تدري متى تطير الشرارة وللمفاجأة مرارة وكل آت قريب ،ووعد الخصم مريب .. إنك تستقبل من الهول شرا مما استدبرته ،فهل أعددت للمستقبل عدته ،وأخذت من الماضي عبرته ،أم لا تبالي أن تعثر عثرتين ،وتلدغ مرتين ؟

فالتفت إلى ثامن ماي 1945 وانظر الثامن ماي 1953 تجد المظالم موصولة الحلقات منوعة الأشكال مرتبطة الأوصال ،فالسياسة سخافة ،والديمقراطية خرافة والحرية سخرية ،والانتخابات انتحابات ،والقوانين للمظلوم أغلال وللظالم ضمانات ،بها يتحصن دون أن يطمئن ،شأن المجرم عديم الأمان رغم الضمان !والظلم ليس له قرار والعدل الإلهي بالمرصاد وأنت له في انتظار خذ بالأسباب ،وائت البيوت من الأبواب ،تجد الوعد الحق بالاستخلاف والتمكين ،والأمن بعد الخوف في الدنيا والدين .

واذكر : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ولن تجد لسنة الله تبديلا . (1)

(1) بوزوزو، محمود، « 8 ماي»،جريدةالمنار، ع42،الجمعة24شعبان1372هـ/8ماي 1953م. ص ص 1 و 4.

ب- نصـــوص شعـــــرية:

لا أنـــســـــى

أأكْتُـــمَ وجـــدي أ وْ أهَـــدِّئُ إحساســـي و (ثـــامن ماي) جرحـــه مالـــه آســـي
وأرقـــب ممـــن أحدثـــوه ضمـــاده وهم فـــي جمـــاح لم يميلـــوا لإســـلاس
تمر الليالـــي وهـــو يدمـــي فلـــم نجـــد له مرهما منهم ســـوىالعـــنف والبـــاس
إذا مـــا رجونـــا بـــرأه ثـــرّ دافقـــا بأحداث ســـوء وقعها مؤلـــم قاســـي
فيـــالجريـــح ظلّ ينكـــأ جرحـــه ويؤدي بـــلا ذنب على أعـــين النّـــاس
ويا لضعيف فـــي الشعـــوب معـــذّب غدا تحت نير الظّلـــم منحنـــي الـــراس
يضـــج ويستعـــدي بغيـــر نـــتيجـــة ويشكـــو بلا جدوى إلـــى غير حســـاس
وينشـــد (عهـــدا) كـــالـــرحيق أمامه تَـــرقرقَ مُفْتـــرًّا وأشرقَ فـــي الكـــأس
ولكنّـــه لـــم يحـــظ منـــه بـــرشفـــةٍ فمـــا كان غير (الأطْلَسَيّ) له حـــاســـي
وينعـــي علـــى المُستعـــمريـــن دُجُنّـــةً من الحُكم طالت لا تُضـــاء بنبـــراس

رأى ما دَّعَوْا من رعيه محضٍ خدْعة فأوجس منهم خيفة أيَّ إيجاس
فظائع (ماي) كذَّبت كلَّ مزعم لهم ورمت ما روّجوه بإفلاس
ديار من السّكان تخلَى نكاية وعسفا وأحياء تساق لأَرماس
وشيب وشبان يسامون ذِّلة بأنواع مكر لا تحد بمقياس
وأحباسُ شرٍّ أجمعت سجناؤُها ومعتقلو ها أنها شر ُأحباس
ومعتقلات في العراء مبيدة عليها لصوص في ملابس حرَّاس
وغيد من البيض الحسان أوانس تهان على أيدي أراذل أنْكاس
ويسلبن من حلي لهن مرصع بكل كريم من جمان وألماس
وينكبن من عرض لهن مطهَّر مصون الحواشي طيّب العرف كالآس
فيالك من خطب نعذّر وصفهُ فلم تجر أقلام به فوق أطراس
و لا خير في عدِّ المظالم وحدها إذا لم نُبِنْ عن مرهفا تٍ وأتراس
سئمنا من الشكوىإلى غير راحم وغير محق لا يدين بقسطاس
وقفت أجيل الطرف في الأرض باحثا وأضرب أخماسي الجميع بأسداسي
إذا بي أرى فيها الضعيف يجيله شراءً وبيعًا في الورى كل نخّاس
أرى الأرض زادت ظلمةً فوق ظلمةٍ على أهلها واستوحشتْ بعد إيناس
أرى كرةً تُرمَى إلى شرّ غاية تَبارى عليها الأقوياءُ بأقواس
وما وعدهم إلا سراب بِقيعةٍ وما عهدهم إلا مداد بقرطاس
فيا أيها المستعمرون تنزّهوا ولا تسموا وجه الحياة بأرجاس
ألم يكفكم ما مرّ من قتلِ أنفس ومن كمٍّ أفواهٍ ومن خنقِ أنفاس
ولا تطمعوا أن تستلينوا قلوبَنا فتلك قناةٌ لا تلين لجسَّاس
ويا أيهاالشعب المروع لا تضق بدنياك ذرعا واطَّرحْ خُلقَ اليأس
وقل للذي آذاك لا وصلَ بيننا وموْعدنَا العُقْبَى فما أنا بالنَّاسي(1)

(1)خليفة، محمد العيد محمد علي:الديوان ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ، دون تاريخ . ص ص 325-327 .

ذكـــــرى 8 مـــــاي

ذكـــــراك يـــــا يـــــــــوم تحـــزّ فـــــي الأحشـــا
إذ أقـــبـــــل القـــــــــــوم وحـــش تلا و حشـــــا

* * *

يـــا يـــــوم لـــم تشـــــرقْ شمس علـــى مثلـــــكْ
آل الضـّحـــــى مغـــــرقْ والملتجـــــى مُـــهلـــــكْ

* * *

ذكـــــراك يـــــا يـــــوم لا تأتلـــــي حومـــــا
تعتـــاد فـــــي النـــــوم فتطـــــــرد النومـــــا

* * *

ريـــع الحمـــى فيكـــــــا والأهل فـــي غفلـــــهْ
لـــم يُعـــفِ عـــافيكـــــا طفـــلاً ولا طفلـــــهْ

* * *

فـــيك اعتـــــرت لمـــــهْ رهطـــاً من الشمـــسِ

يـــا يـــوم ، ذكـــراكـــــا لم تبرح البـــــالا
يـــــا يـــــوم ذكـــراكـــــا لـــــم تبـــــرح البـــــالا
لـــــو طـــاف مسراكـــــا بالليـــث ما صـــــا لا

* * *

زرعـــــت أ حســـــاكـــا منبتهـــا الـــــصدر
فـــكيـــف ننســـاكـــــا إنّـــا إذن غُـــــدر(1)

(1)الإبراهيمي، محمد البشير:عيون البصائر، ،الجزء الثاني ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،دون تاريخ ، ص ص 367، 368.

فـــي ذكـــرى فواجـــع 8 مـــــــاي :

عجبـــــا لوجهـــك كيـــف عـــــاد لحالـــــه...

قبحـــت من شهر مدى الأعوام ... يـــا (ماي)كم فجعت من أقـــوام

شابت لهولك في الجزائر صبيـــة ... و انماع صخر من أذاك الطـــامـــي

وتفطرت أكبـــاد كـــل رحيمة ... في الكون حتـــى مهجـــة الأيـــام

تاريخـــك المشؤوم سطـــر من دم ... و مدامـــع فـــي صفحـــة الآلام

وغدا صحـــائف خزيـــة أبديـــة ... مضبوطة فـــي دفـــتـــر الإجـــرام

تتلـــى بتسفيـــه ولعـــن مطبـــق ... لن ينتـــهـــي أبـــدا علـــى الظـــلام

إن أعلنوا فيك السلام لقد رمـــوا ... بابن الجـــزائر فـــي ســـواء ضـــرام

وتناهبـــوا أمـــوالـــه وحياتـــه ... وتشـــربـــوا مهـــجاتـــه بهيـــام

طلبوه للهيجاء حتى حـــــرروا ... بكفاحـــه ، فجـــزوه بنت حســـام

* * *

ما يوم "حنوز" وجـــرح مصابـــه ... بمحجـــب أبـــدا و لا مـــلتـــام

لن يقدر الحدثان أو طول المـــدى ... أن يطويـــاه كمعـــارض الأحـــلام

في ذمة التاريـــخ تسعـــة أشهـــر قضيتـــها فـــي عـــزة وصـــدام
وشربت منها كـــأس كل شديـــدة صنعت –خصيصا– للفتى المـــقدام
قابلتهـــا بشجاعـــــة جبـــــارة وتجلـــد يسطـــو علـــــى الآلام
وخرجت منها حر نفس محمـــدا أعتـــز جهـــد الظـــافر الغنـــــام
يا (ماي) قد ظلموك حقـــا مثلمـــا ظلموا الضعاف وشوهـــوك بـــذام
داســـوا حرامـــك واعتدوا بنذالـــة في حرْزه ،وجنـــوا أخـــس أثـــام
وكسوك ثوب المجرمين – إهانـــة مقصـــودة لسنـــائـــك البســـام
ما كنت أهلا للفجائـــع والـــرؤى لولا يـــد مـــن نـــاقـــم غشـــام
مـــا كنت أهـــلا للنقائص والأذى لولا هوى فـــي دولـــة الأقـــــوام
قرنوا اسمك المحفوظ باسم جريمة نكـــراء عاثت في الذرى والهـــام
ورموك من بين الشهور بوصمة شـــوهـــاء تبقـــى سبـــة الأعـــوام
فمثلت مكـــروهـــا ولست بمذنـــب ورمـــاك موتـــور بسهم حـــــام
إذ ظن أنك فاتك شـــرب الدمـــا علالا – من الإخوان والأعمـــــام
وسطـــا علـــى أبنائـــه وبـــلاده من غير رحمى سطـــوة الضـــرغام
عجبا لوجهك كيف عـــاد لحالـــه من بعد أحـــداث عرتـــك جســـام
هلاّ غربت عن الزمـــان وأهلـــه فتريح هذا النـــــاس من إيـــــلام

يا ماي إنّا في انتظار حكومـــة فمتـــى يساق الظلـــم للإعـــــدام
أنت ابن ذي الأهوال إن رام امرأ ألـــوى به فـــي لحظـــة كحطـــام
عجل لهذا (الغرب) من رب السما بقواصـــم مجتاحـــة و "غـــــرام" [1]

(1)بوشامة، الربيع:الديوان ،جمعه وقدم له الدكتور جمال قنان ،منشورات المتحف الوطني للمجاهد ،الجزائر ،1994 م. ص ص 58، 59.

في ذكـــرى 8 ماي :

سر على الدمع والدماء الغوالي؟..

"مهداة إلى صدى النفوس المطلولة والقلوب المسلولة"

"أرواح الشهداء في 8 ماي"

سر على الدمع والدماء الغوالـــي يا شهيدا فـــي ذمـــة المتعالـــي
وامتط النـــور للسموات تحـــدو ك أغاني الرضى وروح الجـــلال
ويهنيك –فـــي المعـــارج- أمـــلا ك السما بالمنـــى وخـــير المنال
لك مثوى الأبرار موصول نعمـــى في حمى الله والبـــنـــى والـــلآل
وأتـــرك الجسم للحديد والنيـــران نهـــبـــا مبعثـــر الأوصـــال
تبتغيـــه الكلاب والـــوحش قوتـــا فـــي بيـــوت وأنهج وجبـــال
لا تشيعـــه بالدمـــوع ولا تشفـــق علـــيـــه مـــن شقـــوة ونكـــال
فهو منـــذ الوجـــود لم يـــك إلا عرضـــــة للـــردى و للأهـــوال
يترامـــى بيـــن النحـــوس ويحيـــا في لظى ،ثـــم ينـــتهـــي للـــزوال

* * *

مهدر الـــدم والحيـــاة تـــواريـــت شـــهـــابـــا في الصخر والأدغـــال
وتســـارعـــت للأفـــول خلاصـــا من وجـــود مـــنافـــق محتـــال
غبت قبل الأوان مهضـــوم حـــق مستباحـــا محـــطـــم الآمـــال

وتساميك للعلى و التفادي من قيود مسمومة ووبال
لهف نفسي عليك قضيت حرا ن طريحا في الذل والأغلال
تطلب الماء مستشيطا فتسقى طعنات الفولاذ والأقوال
لم تهاجم بالسيف والنار خصما أو تدافع حتى ببعض مقال
فتبل الصدى وتبلي عذرا عند نفس تواقة للمعالي
إن تعاجل في زهرة العمر بالقتل فقد مت موته الأبطال
وتركت القلوب مجروحة أنكى جروح تدمي طوال الليالي
آه للضعفاء من دماء عجز ساقهم للردى على إذلال
واعتدى حقهم به كل طاغ مستبد بالنفس والأموال
ورماهم من حالق متناء في جحيم مضاعف الأقفال
أخذوهم باسم الأمان و عاثوا في حماهم بالحرق والتقتال
واستباحوا الأعراض جهد انتقام من نساء وصبية ورجال
حسرتا حسرتا على والد فذ وولد مكارم أ شبال..
صرعوا كلهم –دراكا- وألقوا في صخور معلقي الأوصال
قدموهم للموت صفوا وخلّو هم ضحايا البهتان والأدغال
والبكاء المفجوع يصلى حشاهم من ضعاف ،في الشكل والأهوال
عز –والله- فقدكم من كرام فجعونا فيكم بلا إمهال

ويــل شعب مستعبــد يترجـــى رحـــمـــة مـــن عـــدوه القتـــال
ويمنّـــى سعـــادة وازدهـــارا مـــن دخيـــل مستعمـــر دجـــال
يـــا عزيزي يا ابـــن الجزائر هـــذا حلـــم خـــادع وشـــر الضـــلال
خـــلّ عنك الخيال والوهم واطـــلب عيشك الحر بالقـــوى و النضـــال
لا تخف سطـــوة الظلـــوم ولا تـــر هـــب جنـــا بالجنـــد المختـــال
رغـــم قواتـــه الكـــبرى المنسقـــة وآلاتـــــــه ،بكـــل مجـــال
ليس هـــذا –وعـــز روحكـــم- إلا هبـــوات تفنـــى كلمـــح الخيـــال
لـــم تكـــن قـــوة الدواليب يومـــا - وحدها - سر عـــزة أو كمـــال
إنما قـــوة الخلائـــق والنفـــس أعز القـــوى علـــى كـــل حـــال
وهي روح الشعوب قام أساســـا و مـــلاكا في صرحهـــا المتعالـــي
أيها الشعب صحح العزم والإيمـــان و اثبت-عوضا- ثبـــات الجبـــال
وتيقظ للحـــادثـــات والكيـــد وكفـــاح مستوثـــق الآمـــال
إننـــا أمـــة الكرامـــة والعـــز نـــريد الحيـــاة فـــي استقـــلال
ونقاضى الخصـــوم للحق والدنيـــا جميعا ،بـــاسم الهـــدى والكمـــال
ثم نرجو الأقـــدار ،والدهر يجـــري حكمها العادل الشديد المـــحال .[1]

(1) بوشامة، الربيع:الديوان . ص ص 50- 52.

بـــــرغمـــــك مـــــاي

بـــرغمك مـــاي أذوق الهنـــا وأسعد فيـــك بطيب المنـــى
وأهصر غصني بكلتـــا يـــدي وأقطف منـــه ألـــذ الجنـــى
بروحي وقلبي أساقـــي حيـــاة كؤوسا عذابـــا تشيع السنى
وتكشف غيمـــا تـــلبد حينـــا بنفسي وأسبغ ثـــوب الغنـــى
عجبت لطبعـــك كيف تحـــول من غير عهد إلـــى خيرنـــا
فجئت بيمـــن وحـــظ سعيد وحـــب وأنس وكـــل الهنـــا
وإنـــي أسائـــل روح الليالـــي وإن كنت أوليك حق الثنـــا
تساهلت يا ماي بعد شمـــاس وجدت علينـــا بسرالغنـــى
متى كان في (ماي) همة خير أما إنه رمز مكـــر الدنـــى
أسال دماء وأرهـــق شعبـــا وحاول تحطيم كـــل منـــى
ألا رب يـــوم أتـــاح سعـــودا وقد كان من قبل يزجي الفنا
كذا الدهر للناس يومـــان فيـــه فيـــوم علينـــا ويـــوم لنـــا
تحيـــر عقلـــي من ذا القضـــا وأحكامـــه الساريـــات بنـــا
زمـــانا يتيـــح نعيـــما وأنســـا وحينا يدير النـــوى و العنـــا
وأمتع قلبـــا لطيف الحواشـــي أقـــام عصيـــا شديد القنـــا
بـــه جانبـــا يتملـــى غراما وآخر يبغي العـــلا والسنـــا
وأوحى لنـــاي أغانـــى خـــلد يهز صداها نجـــوم الغنـــا

(1)بوشامة، الربيع:الديوان . ص 150.

ذكرى8ماي 1945م

الكـــون ضاق بكل حكـــم جائـــر...

ذكرى على مر الزمـــان تكـــرر لجـــاهديـــن جهادهـــم لا ينكـــر
ضحـــوا بأنفسهم لشعب مسلـــم والنـــفس أنجـــع للفـــداء وأجـــدر
وسعوا لـــشعب طامـــع متطلـــع رام الحيـــــاة طليقـــــة تتنـــــور
المخلصـــون لدينهـــم ولشعبهـــم والثابتون على العواصف تـــجأر
كتبوا صحائفهم بحبـــر مـــن دم نعم الدماء ،بها الشعـــوب تطهـــر
سكنوا القلوب بصدقهم ونضالهم ، وطموحهم للمجد صبـــح مسفـــر
ركـــب تقـــدم لـــلسبـــاق يحثـــه إيمانه والـــى الحقـــوق مشمـــر
لا ينثني عن عزمه فـــي سيـــره كي ما ينـــال مـــراده أو يعـــذر
ما ضرهم سجن ،ولا نفـــي ،ولا مـــوت كذاك الحـــــر لا يتغيـــر
ألفوا المعارك والبطولة والفـــدى خاضوا غمار الموت كي يتحرروا
نـــشء تجهـــز للكفـــاح تخالـــه أشبال غاب في الكريهـــة تـــزأر
أسد حمت آجـــامهـــا بشجاعـــة والأسد تحمي غيلها و تـــزمجـــر

* * *

يا فتيـــة الوطن الكـــرام وجنـــده هبوا إلى العلياء ، لا تتأخـــروا
جدوا فإن الشعـــب يخلـــع قيـــده رغم الطغاة، و بالحقوق سيظفر
هيا اعملوا كي تخلفوا أجدادكـــم في الكون إن جددوكم ما قصـــروا

ماذا جنـــى وطن بـــريء طاهـــر مستمســـك بالحـــق لا يتهـــور ؟

قد هـــب يطلب حقـــه فهرعتم للقتل ،للتشريـــد ،لـــم تتبصـــروا!

هذي دروس في الحيـــاة مفيـــدة "للشعب" ،إن رام العـــلا ،يتحـــذر

آن الأوان فجـــــددوا بنضالكـــم مجـــدا تليـــد للبـــــلاد يُسطـــر (1)

(1) - العقون، عبد الكريم، « الكون ضاق بكل حكم جائر... » ، جريدة البصائر، ع 155 ،الاثنين 8 شعبان 1370 هـ /14 ماي 1951 م. ص 7.

«من عدوان السلطة الفرنسية في القطر الجزائري»

حـــادثـــة يـــوم 8 مـــاي 1945

دوّت كقـــصف الرّعد فـــي الآذان ... وتفجّرت في الشرق كالبركـــان
منها الجزائـــر لا تسلْ من وقعهـــا ... عمّا تكابد من أســـى وتعانـــي
يرمي بها الشعب الكريـــم عصابـــة ... لذاتهـــم إيـــلام ذي الإحســـان
إن كنت تسأل عن مـــدى أحقادهم ... آثارهم تعنـــي عـــن البرهـــان
ظلـــم تقاسيـــه الجـــزائـــر منهـــم ... لم يجْر في وهـــم ولا حسبـــان
وأذى تكـــابـــده وتصلـــى نـــاره ... "لا تينّ" الأهـــواء والأضغـــان
والصبر في كـــل المصـــائب ليّـــن ... إلاّ على ظلم الحقـــود الشانـــي
يـــؤذيهـــم أن يبصـــروهـــا أمـــة ... تهوى المعارف حيـــة الوجـــدان
ويسوءهم أن يبصـــروا فتيـــاتهـــا ... رفعوا لواء الـــرشد والإيمـــان
فتهافتـــوا عنهـــا يصبـــون الأذى ... حسدا بـــلا كيـــل ولا ميـــزان
بســـلاح أمنهـــم غـــدت مكلومة ... وديانهـــا وجـــراحهـــا سيّـــان
خلناهم حصن الأمـــان فمـــا لهم ... حـــرب لكـــل سكينـــة وأمـــان
أيجـــرّد الشعـــب الأميـــن كبيـــره ... وصغيره حتـــى من القضبـــان
ويســـاق للإعـــدام أعـــزل آمن ... أســـروه بين الدرب والدكـــان
في مشهد فيه الرصاص مع الدمـــا ... كـــل يسحّ بـــوابـــل هتـّـان
فلـــرب أرملـــة و رب يتيمـــة ... تهمـــي جفونهمـــا بدمـــع قـــان
فهنـــا دم مـــلء السهـــول وههنـــا ... دمـــع يسيـــل عليـــه كالعقيان

شرّ البريئــة من يكــون وجــوده ... في الأرض كالأفعى وكالثعبــان
يا أيها "الحكــم" الفخــور ببغيهــم ... أكذا مؤاســاة الجريح العانــي ؟
جئتم لإسعــاف الجريح فــلم يجد ... منكم سوى التهديد والخــذلان
أيكــون عتبكــم علــى سفهائكم ... تبرير ما اجتر حوه من عــدوان
وتــرون إثمهــمُ انتصــارا فاتكــم ... أن تكسبوه على بني "جرمــان"
وتروْنــه إن قــام ينشــد حقّــه ... أهــلا لكــل مذلــة وهــوان
وتعــدّ ثورتــه علــى آثامهــم ... غضبــا لفقد الخبــز والكتّــان
أو أنه متأثــر بدعايــة ... ترمي إلى التشويش والهيجــان
هل تغضبون لقتل شعب بعض مــا ... غُرتم لقتــل الطيــر والحيــوان ؟
أو تمنحون بــه عليــا بعض مــا ... تولونه "جاكوب" من إحســان ؟

* * *

ومن المناكــر أن تســام حقوقــه ... منكــم بــأشرف ملــة ولســان
وتعــدّ تربتــه الزكيــة قطعــة ... ممّا حيال "الرّون" أو "لاســان"
والله بــالإيمــان يفصــل بيننــا ... والجنسْ والأمــواجْ والحيتــانْ
تأبى العروبــة أن تليــن قناتهــا ... فــي أمــة الإســلام والقــرآن
ليس التجارة في الحقوق ولا مُسا ... ومة العروض تجــوز في الأديــان
شعــب فتــيّ عقلــه ولسانــه ... والروح والإحســان كالإخــوان
بالطّبــع يأبــى الاندمــاج بأمــة ... تــفكيرهــا ولسانهــا ضــدّان
والحقّ من منــح الإلــه وبسطــه ... بين الرعيــة زينــة السلطــان

بل ليس يرضـــى أن يقلد سيفـــه إلاّ قـــوي العـــــزم والإيمـــان
الظلم ليس وهْـــو فـــي ظلماتـــه كالكوكب الدّرّيّ فـــي اللمعـــان
فيه اقتبلْ جيش الحـــوادث باسمـــا للهـــول للأزمـــات لـــلأقـــران
واجعلْـــه عدتـــك القويـــة وادّرعْ بالصبر في الإســـرار والإعلان.[1]

(1) ابن رحمون، أبو بكر مصطفى:الديوان،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1980م.ص ص 143-145.

أثــامن مـــــاي !..

أخطب دهاني أم معاكســة الدهــر ؟ فمالي أسير اليــوم مضطــرب الفكــر
فأهــلا وسهــلا بــالنــوائب كلهــا إذا كانت العليــاء فــي مهدهــا الوعــر
فــإن من الآلام مــا بــان نفعــه وإن مــن الأفــراح مــاعــاد بالضــر
أيا شعر أحشائي تذوب من الأســى فروح عن الأحشاء ماسطعت يا شعري
ونوه بما أبــدى ذوو البــر من يــد فمــا خلــد التــاريــخ إلا ذوى البــر
إذا المرء لم يثمر من السعي طيبــا فــذره ولا تجــن الــرحيق مــن المــر
وكل امرئ في الكون غايته العــلا يلاقــى مــن الآلام مــا ليس بــاليســر
فــآه من الدنيــا ومــن نــائباتهــا فكــم ترهــق الأحــرار باسمــة الثغــر
أأكتم وجــدي أو أهــدئ مهجتــي وثــامن مــاي جرحــه فــاض كالنهــر
أثا من ماي ما بــذا الكون مسعــف يــهــدئ آلام القلــــوب ولا مبــــري
أثــا من مــاي لا تكــن صدورنــا لوقعتك العظمــى ســوى أعظــم النكــر
وهل راعت الأعقاب عهدك حلفة ؟ فعهــدك أحــرى بــالرعايــة والذكــر
وقائعك الهوجــاء ما انــفك نقعهــا يجــول بأجــواء الجزائــر لا يســرى
وقائعك الهوجاء ما انفــك ذكرهــا يــدور بفكــري ،خلدتــه يــد الدهــــر
فكيف يطيب العيش وهــو مكــدر وكيف تنام النفس وهي علــى الجمــر ؟
مضى الأمر يانفسي الشجية فاصبري فليــس دواء للهمــوم ســوى الصبــــر
مصائرنــا كالشمس باديــة السنــا وكل امرئ-لا ريب- سوف بها يــدرى

(1)إبراهيم، «أ ثامن ماي !..» جريدة المنار، ع4،السنة الثانية،الجمعة 27شعبان1371هـ/23ماي 1952م .ص 3.

كيــف السّلــوّ؟

هاجت شجوني وساد الدمع والأرق ... بمقلــة ظل يذكــي حرّها القلــق
يا ثامن اليوم من مــاي أعدت لنــا ... ذكرى مروعــة دمعــي بها غــدق
تــا لله قد كنت مثل الريح عاصفــة ... أو مثل صاعقة في صوتها صلــق
كيف السّلــوّ وقد بــاتت تروّعنــي ... مأساة ماي فيبكــي القلب والحدق
كيف السبيل إلــى نسيــان حادثــة ... نكراء يرفض من تذكارها الأرق
كيف السبيل إلى نسيــان كــارثــة ... قد عمنا من لظاها الذعر والفرق
ويح الجزائــر قد بــاتت يروّعهــا ... قوم لخيراتها من قبــل قد سرقــوا
كم من منازل في ماي بها خربــت ... وكم أفاضل في مــاي بها زهقــوا
ما ذنبهم عند أهل البغي غير هوى ... ســامٍ فللغادة الحمــراء قد عشقوا
لا تحسبوا أن نــار الشعب خامــدة ... فخصمه بلظاهــا سوف يحتــرق[1]

(1)« كيف السلو؟.» ،جريدة المنار ،ع42 ،السنة الثالثة ،الجمعة 24شعبان 1372 هـ/8ماي 1953 م.ص 3.

ذكـــرى 8 ماي...

«بين دلال الألب وجلال الأطلس»

متألهـــات فـــي الجمـــال العـــاري ... يعـــنـــو لـــها متألـــه الأدهـــــار
جُدد حلالها فـــي الزمـــان لوامـــع ... لـــم يُجـــد فيـــها قلـــب الأطـــوار
شمخت بـــأنف صـــاعرات خدهـــا ... متـــبرجـــات ،بهجـــــة النظـــــار
شقت على السحب الستائر واعتلت ... تـــهـــو بـــهـــم رصعـــت بنضـــار
وسمت تمد إلـــى الغزالـــة راحـــة ... وإلى السمـــاء برأســـها المـــتواري
فكأنهـــا والغـــاب مـــلء سفوحهـــا ... شبـــح العـــدو بجيشـــــه الجـــرار
لم يكفه ما فـــي البسيطـــة مغنمـــا ... فهفـــا يـــريد ملاعـــب الأقـــمـــار
أرست وأرسلت السحائب حولهـــا ... تستنشق النسمـــات فـــي الأقطـــار
تطوى الفيافي والفضـــاء زمامهـــا ... لـــم يثنـــها متطـــاول الإعصـــار
تحثو على الأقطار نسمة شوحـــها ... وتجـــيئـــها بصنـــوبـــر وعـــرار
وهـــي الملـــيك لـــه جلالـــة آمـــر ... ووقـــار ناه بـــزكل وقـــــار
تذَر العيون تجوب أرجـــاء الدنـــى ... مـــا نـــد من وطـــن ومن أبحـــار
فتجـــيئـــها من بعد لأي بـــالمنـــى ... والســـؤل صـــاغـــرة وبالأخبـــار
في الـــرعد يقصف جائبـــا آفاقـــها ... في البرق في النسمات في الأمطـــار
في الثغر يبســـم إن تبســـم حظـــها ... أو في مســـارب جفنـــها المـــدرار
وإذا تلـــبدت الغمـــائـــم حـــولها ... وجثا الركيـــم بصدرهـــا المحتـــار
واهالت الأنواء فـــوق عروشـــها ... والبرق يرســـل مرعـــب الإنـــذار
ركبت حصين قلاع شم وامتطـــت ... متـــن الفضـــا كـــالهيكـــل الطيار
أنـــ[illegible]

كنسوره أنسى الطموح قلوبهم ... ما شيدوه به من الأوكار
رفع العقيرة وانبرت أصداؤه ... ملء الأثير تصيح في (التاتار) :
ويلي ويلكم إذا دام العدا ... فأنا وأنتم طعمة الأغيار
أنا رأس إفريقيا ورمز شمالها ... ما للرؤوس الشوس من قهار
إني أنا العاتي إذا ديس الحمى ... وأهين شبلي في الحمى أوجاري
وأنا المسالم في السلام وفيئه ... فالسلم أسي والصفاء جداري
والبأس من قدم خلاق ذوائبي ... والعز دأبي والسمو شعاري.
أذكى شموخ الأطلس الفخم اللظى ... في صدرها كالنار في الإعصار
فرنت بعين الذئب نظرة مالك ... وتدفقت بعرمرم هدار
لم يدر مكتسحا و لا آساده ... كيف السبيل إلى ولوج غمار
فالنار تهدر والمنايا حولها ... تأتي على الفولاذ والأحجار
والأرض ترجف بالجحافل فوقها ... والساح تعصف بالردى والنار
العد يعجز والعتاد كأنه ... أطواد بركان زحفن لثار
والموت دون ولوجها لكنه ... أم المنون بجرأة الجبار
في الموت إحياء الموات وفي الشقا ... إنقاذ أشبال من استعمار
أبلى و أبلى في الذياد شبوله ... دون استباحة معقل الأحرار
لكنها ألقت عليه جرادها ... يسري ونادت من علو منار :
يا أطلس الهامات يا صنو الشرى ... يا مربع الآرام غيل ضوار
يا باعثا روح الحمية صامتا ... يا حادي (الثالوث) للأوطار
انظر إلى الآساد حول سمائنا ... كل ينافس أيدي الأقدار
في كثرة الأكوان في أوج السها ... في عزة الحامين عز الدار
في قدرة الغازي معاقل خصمه ... في سؤدد الحكام في الإعصار
بالفن والعرفان كلهم سما ... يشؤو الرياح بعلمه ويباري
قال الحزين بكبرياء سميذع ... أضحى ضحية حظه المعثار
الدهر من قدم خؤون غريمة ... وصفيه من عاث في الأقطار
متجبرعات بها مستكبر ... يطغيه عارض قوة ويسار
يزهو وفي اليمنى سياط عتوه ... وزعاف سم الكيد طي يسار
يا أبيض القمم الغُدافيّ الحجى ... يا شاهق الشرفات والأدوار

رفقـــا بنفسك يـــا حليف فخار

يا شامخ الهام الشوارد في السمـــا بالعفو يحظـــى فاقـــد الأنصـــار

يا (مـــار أنطوانيت) عفـــوك إنمـــا لـــولا حظـــوظ تبتلـــى بعثـــار

ما الفرق بينك في الجـــلال وبيننـــا لـــو كان كلهـــم ذوي أنظـــار

في عد نشـــئك مـــا يـــبرر عـــزة قدما رنا(عيسى) أخو الأحـــرار

ترنو إلى الخلق المعنـــى مثل مـــا مـــن غير ما غـــدر ولا إضـــرار

رفقـــا ومرحمـــة وعطفـــا كلـــها أدهـــى ضلالا مـــن عبيد النـــار

في جـــل نشئك من تـــدين شـــرة والدين فـــي خجل وفـــي إنكار

عيســـى بـــراء من عقـــوق دعيـــه وأحـــل محظـــورا مـــن الفجـــار

من ضـــل معتمـــدا وضلل غيـــره وأتى علـــى الحرمـــات والآثـــار

وعتـــا يهين من العبـــاد ضعيفـــهم أو خلـــة مـــن خـــلقـــه المنهـــار

لا الدين يردعـــه –ولا دين لـــه - فـــي قلـــة لكنهـــم كســـوار

لله أشبـــال تحـــف بهـــالتـــي و رموا على ساحي شنـــار العـــار

قد طوقـــوا عنقـــي بعقد سماحـــهم بالخـــلق صانـــوا مـــوئل الأبـــرار

من عهـــد (يوغرطـــا) إلـــى أيامنا من كل ذات حصانـــة ووقـــار

من كل ذي كـــرم علـــى بأسائـــه أو كـــل ذات غدائـــر وخمـــار

من كل شهم فـــي الرجـــال معمم فالخلق في أمـــن من الأخطـــار

وإذا رمتـــهم كـــالخلائـــق أسهم كان الوفاء لهم من الأضـــرار

والـــدين مـــا دام العبـــاد تجلـــه و أنار في الظلمات درب الساري

سبحـــان من بـــالدين أنقـــذ عالما و رعى نيام الخلـــق ليل نهـــار

وسقـــا عطاشـــا من روي زلاله و رأى محجتـــهم ذوو الأبصـــار

فهل استفاق من الكرى متقـــاعس ما لم يخض بالإثم فـــي الأقـــذار

فالله يـــلهـــم عبـــده ويـــدلـــه يـــرقى مراقي صفـــوة الأخيار

والخلق رهن فعاله و بخيرهـــا حي العقيـــدة في الإله البـــاري

خيـــر الجزا يجزي به متديـــن ترك البـــلاد لأذؤب استعمـــار [1]

تـــرك التدين و التخلق والنهى

مصحة الرون (فرنسا)

أحمد معاش الباتني

(1) معاش، أحمد الطيب، « ذكرى 8 ماي بين دلال الألب و جلال الأطلس»، جريدة البصائر ، ع230 ،الجمعة9رمضان 1372هـ/22ماي 1953م .ص 5.(التراويح وأغاني الخيام ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر 1986م . ص ص53-56).

فـــــي يوم هـــو الثامن من مايـــو

إذن
دوري أيتها الأرض
واصخبي أيا رعود
لقد تركت أخطائي في غياهب قبوري
ذات يوم
كان الثامن من مايو
كم يصل حجم الضة
كي نفهم
وكم يكون عدد المعلمين لمثل هذا الدرس
وكم عازفا نحتاج كي نستعذب الموسيقى !
ذات يوم
كان الثامن من مايو...
كما ينقص المرأة مجدها الكامل
في غياب عيون الطفل
حيث تتتابع عيوننا
كما ينقص في الغابات العشاق الكثيرون
كي يقولوا لرياح المساء كم كانت تحميهم
كما ينقص الباخرة المغادرة شراعها
والمنديل الذي يعلق بالذكرى
وكما ينقص النوع البشري رجل
فأنا كنت بحاجة لحديقة لأزهاري
لعطر لأزهاري
وبعدها بحاجة إلى بستانيّ
لأصدقائي عيون رأيتها غاضبة
لأصدقائي عيون لمحتها دامعة
أصدقائي الذين يخيطون العلم الوطني

ريح عاتية

واقفة

عريضة

تاريخية

تمنحنا عنفوان الشباب

كي نثأر لشعراتنا البيضاء

آه

نحتاج إلى خصائل النحل

كي نستحق العسل

كي نغني للأصدقاء .

أعرف تماما

أن "مدريد" لم تمسح دمعها

لم تنشف دمها

أعرف جيدا

أن هناك بالقرب من "غرونوبل"

منصة كبيرة للشرف

وأعرف أنهم قد فقأوا عيني مدينة "سيول"

وحقول الأرز في الهند الصينية

والسنفونية الحمراء لنواب "مدغشقر"

نفي سلطان أو شيوعي

أعلم اليوم جيدا

أننا نشترك جميعا في احتكار الشقاء

أبدأ بحساب أصدقائي واحدا واحدا

مات كل أصدقائي

أكف عن الحساب

ومع الناتج الفظيع

وعندما أبلغ اللانهاية

أكف عن الحساب

حين تتحول الكلمات إلى أرقام .

أستمع إلى أغنية لن تجيء
قلبي يتيم رقصة خائفة
سلطان مايو كنتُ
لما أحببتني
ها عاشق النسيمات يختار العاصفة
اخترت البسمة التي تطهر قلقي
من أحزان تروى
اخترت البسمة
ليقفز حزني فوق تيار جارف
ويسبح ضد مائه
من أقاصي الزمن أسمع صوت الفلامنكو
وأنادي الحزن كي أشبعه ضربا
سلطان مايو كنت
يوم كان الطقس جميلا
وحيدة كانت غزالتي في عمق الصحارى
استمع إلى أغنية لن تجيء
و المطر يساقط
فوق شمس تجفف بسمتها
في كف الماضي
و المطر يساقط فوق حبي
الذي لم يعد يسمي نفسه
يوم كنت سلطان مايو.
لا حقيقة غير الحب الكبير و الموسيقى
أعرف أن في الحب حيرة بلا حدود
نحتاج لصحراء
و لصحراء كي نفهم الموسيقى
لنظرة من عينيك كي نفهم اللانهاية

على اليابسة
يلعب الطائر دور المجنون
يحتقر بعض الشيء الحب الذي كان سينقر
إنه الطائر الأزرق
السراب
الذي يستحيل إلى أغنية
كنت ابتدعتها منذ قليل
ذات صباح ضاحك
تعرفت على أغنيتي
كانت كئيبة
قالت: بنفسجة
صدقتها حبات الفراولة
و غنت أغنيتي
استعدت رشدي حين أضعت عقلي
صرخت
و القارورة المغادرة صوب البحر
تمادت في رقصها
في إحدى زوايا الحلم
حلم متعب
يعلم جيدا أن جنونا ما يعتري الصحراء
فتعتقد أنها شاطئ
ناديت
كان يجب أن أنادي
هالتي سحابة
وطائرتي ترقص في عينيك
تطلب شرارة
نجمة الخلاص في خاتمة الشفق

جسد الغريق يجرفه الماء
شعره يحيك قصب حلم يسيل
وحده الطائر يحرسه
إلى إحدى زوايا الحلم ينقل روحه
هناك
حيث يستطيع الغارقون الغناء
هنا ينتهي التنافر
وبين ذراعي تنمو الإنسانية
من قبل
كان هذا ما قبل تاريخي
لحبي طعم العوالم الراقصة
نسافر داخل الموسيقى
لنوحد الرجال
هل فيكم من يشرح لي
تألق الموت
فخامة الحياة
لي مهمة
إني أغني
مبدئي حب الغناء
أمنح عطلتي لخدّام الشقاء
تعالوا أيا أطفال
أنسج لكم حكاية
اقطف نجمة وأكتب الكلمات
كان يا ما كان
هناك
في وطني

صديق الطفولة

طفل

يرجو بالونا

كانت عيناه كالأرض المدورة

قتلوه في سجنه

دون بالونه

وكلما رأيت الآن بالونا

لا أصدق أبدا أن الأرض مدورة

لي مهمة

ولي أن أصغي للأرض...

جئت حينما جئت كالعاصفة

أذهب

أغادر

أمنح الحق للحمقى

أعلم أننا نموت لأننا عشنا

هذا شاعر هنا

وذاك شاعر هناك

بليدا أن نموت بعيدا عن قبورنا(1)

---

(1)حداد، مالك: الشقاء في خطر « شعر»، ترجمة يخلف عبد السلام ، ط1 ،منشورات الاختلاف ،الجزائر،2005م .ص ص 39- 49. (نشر الديـــوان باللغة الفرنسيـــة عـــام 1956 ، بعنوان:Le malheur en danger).

الجزائـــــر وحوادث 8 مـــــاي 45

نكباتي أطلقت منيّ اللسانـــا ومحت من صفحة القلب الحنانا
تركتني بين أحضان الـــردى أسخط العالم طـــرّا والزمانـــا
كيف لا أرسل سخطي شررا يملأ الدنيـــا لهيبـــــا ودخانـــا
أتحدى عالم الغـــرب وقـــد طمس الله من الغرب الجنانـــا
وأبُثُ الشعر آلامي التـــي أصبحت تنتابنـــي آنـــا فآنـــا
وأن المأسور في الأحياء لم أر في العيش سوى الرمس مكانا
علّـــه يمنحنـــي من جنبـــه عطفـــة تملا جنبـــي أمانـــا
لم يزل لي في بلادي عبقر من جمال في اصطفائي يتفانى
يحسن النطق ومن تصويره للمآســـي يكسب العقل اتزانـــا
ففرنسا و هي خصم عجب لا يرى في الحق وما أن يدانا
فبدنيا الناس قـــد سخرني آلـــة جـــــامدة بل حيـــوانـــا
كيف تصفو لي حياة بعدما نصب الخصم لي الحرب العوانا
قد سبى أرضي وقلبي ودمي ثم ماذا بعد ما حـــز اللسانـــا
إيـــه يـــا مستعمرا أحْنـــقـــه صوت شعب سِيم خسفا وهوانا
رفع الصوت يـــدوي معلنـــا أن حق الشعب في التحرير حانا
بعد حرب وضعت أوزارها شنهـــا البغـــي فكانت دبرانـــا
يطلب الإنجاز للوعد الذي عده الحر علـــى الحر مصانـــا
وعد تحرير لشعب يائس سلب العـــزة بغيـــا وامتهانـــا
قد تعالت همم الأحرار في قـــوة تنشد فـــي المجد كيانـــا
..... (*) حاز في مجزرة اليـــوم الرهانـــا
فاحذر البادرة الكبرى على يقظات الغد لن تلقى سوانـــا
نحن شعب خاب من ظن بنا خورا أو أننا نثنـــي العنانـــا
أنفث السّـــم و مزّق مهجـــا واصبغْ الآفاق طرّا بدمانـــا
والتمسْ إسكات شعب ساءه أن يُسام الخسف صبرا والهوانا

(*) هكذا ورد البيت في الأصل .

واقتلْ الشعب و حاولْ محقه جاهرا أنك لا تلقـــى جبانا
إن تحاوله تحـــاول عـــبثا فلهيب الحرب يذكيه أسانـــا
إن للثامن من مايو الذي كان في وجه فرنسا ســـرطانا
خير تصميم لحرب مقبل يشهد العالم فيه من نمانـــا
فتكتْ فيـــه بشعب آمن ثم قالت إن عـــندي مهرجانا
فستأتي ســـاعة نرقبهـــا فنكيل الشر أضعافا عدانـــا
نأخذ الحق كريما عنـــوة كيف ترضى الحق مجانا عيـــانا
بدم قـــد يـــكتب الله له نصرة إن كان في الله تفانى
هذه دمعتي الحـــرى على حاضري تسكب جمرا وأمانا
إن في الدمعة كون صاخب يُسمع العقل عن العقل بيانا
تسكب اليـــوم أمانا تحته لهب أن شرع البغـــي سنانا
و رسول للهـــدى مـــؤتمن فهو في التبليغ فـــحل لا يدانى
فارتقب يا خصم يوما إنه صورة من يومكم هذا نمانـــا
فيه تجني المر مما اكتسبت لك يمنـــاك زمانـــا بحمانـــا (1)

(1) النوري، عيسى حمو،« الجزائر و حوادث 8 ماي 1945» ،جريدة المجاهد ،ع716 ،13ربيع الثاني 1364هـ/5ماي 1974م . ص 40.

ميـــــلاد التحريـــــــــر .

وطني المُفدّى بالكفـــاح تحـــرّرا ... ومصيره بعد النّجـــاح تقـــــرّرا
فابن الجزائر صار سيّد أرضـــها ... والغاصب المحتل ولّـــى مدبـــرا
بشـــرى لنـــا بحكومـــة عربـــية ... شعبيـــة رعـــت البـــلاد لتعمـــرا
قد كان تحرير ا لجزائـــر غايـــة ... مُثلـــى لثورتنـــا وفتحـــا أكبـــرا
أبدى نظـــامـــا للرشّـــاد ممهّـــدا ... وأقـــام حكمـــا للبـــلاد مطـــوّرا
وقضى بتعريب الجزائـــر كلـــّها ... مُستقبحـــا تغـــريبها مستنـــكـــرا
سوّت حكومتـــه مشاكـــل أمنـــها ... فاستأمنت شعبا وعزّت عسكـــرا
جمعية الأمـــم اصطفتـــها دولـــة ... وبنَت لهـــا بين المنابـــر منبـــرا
هي سؤلنا الأسمى الذي من أ جله ... ثرنا على الباغي المُغيـــر لنـــثـــأرا
لم ننس (مايـــو) لا ولا مأساتـــه ... حتى جبهنـــا الغاصب المتجـــبّرا
لمـــّا ازدرى بحقوقنـــا متصلبـــا ... في كبره قلنا له (أطرق كـــرى)(*)
وتحوّلت لغـــة التخـــاطب بيننـــا ... لغـــة بها جـــو السلاح تعكّـــرا(1)

(*) مثل يضرب لتوبيخ المتكبر ، و كرى مرخم كروان و هو طائر معروف.

(1) خليفة، محمد العيد محمد علي:الديوان، مصدر سابق. ص ص 443، 444.

أيهـــــــا الذاهبـــــون أمس ضحايـــــــا

أي شعـــــر وأي لحـــن تعـــيد ؟ أيها الشاعـــر اتئد ما تـــــــريد ؟
هو أسمى من القريـــض بيانـــا ما القوافي يا صاحبي ؟ما النشيد ؟
وجهـــه فـــي تقطيبـــه بسمـــات رائعات وصمتـــــــه تغريـــــد
والدم الطاهـــر الـــمراق عليـــه لامع في جبينـــه وهـــو عيـــــد
* * * *

أيهـــا الذاهبـــون أمس ضحايـــا أخصبت بعدكـــم رمـــال وبيـــد
دمكـــــم فجّـــر الحيـــاة عليـــها فهي بعد الدمـــاء شـــيء جديـــد
جرف الغاصبين كـــالسيل حتـــى لـــم يعد غاصـــب لدينـــا وحيـــد
طـــلب الثـــأر بعدكـــم فانطلقنـــا وتلاقـــــى شهيـــدة وشهيـــد
ثم عدنا ترفرف الراية الخضراء من فوقنـــــا ويعلـــو النشيـــد
لنحيـــــي الـــدم الزكـــيّ فمنـــه لاح في ليلنا الصبـــــاح السعيـــد
* * * *

أيها الذاهبـــون أمس ضحايـــــا لم تضع في التراب أيّ ضحيّـــــه
ذكركم لا يزال كالأمس حيـــــا في قلوب تعي الكرامـــة حيّـــــه
والثرى الطاهر الزكـــــي أمين قد رعـــى العهد للدما الزكيـــــه
أزهرت فيه ثورة وجـــــــهاد فإذا روضـــــه ثمـــار جنيّـــــه
* * * *

يمرح الشعب حولها في هنـــــاء بعد أن كان فـــي البلاد القصيّـــــه
وإذا يومـــكم نشيد جمـــــيل تتغنـــى بـــه القلـــوب الوفيّـــه
تتلاقى عليه فـــي كـــل عـــام لتحيّي الفـــداء و الأريحيّـــه
وتناجي شموخـــكم وعلاكـــم والثبات العجيب فـــي الوطنيـــه
يومكم يوم مجدنـــا وعلانـــــــا يا ضحايـــا الجزائـــر العربيـــه
فعليكم مدى القـــرون ســـــلام وعليكم مدى القـــرون تحيّـــه(1)

.1965 /05 / 08

(1) السائحي ، محمد الأخضر: همسات وصرخات« شعر»،ط2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1981م. ص ص81، 82.

ذكريـــــات مـــــــــاي

ذكريات الأسى
تذيب فؤادي
بنشيد مبرّح التنهاد
كلما عاد ماي
شهر العوادي
ذكر الناس يوم حزن بلادي
يوم عانت بلادنا نكبة الحقد
التي اغتالت فرحتي بالسلام
هب شعبي إلى السرور
ولكن هل يطيب السرور بين اللئام ؟
قهر النازي
يا سلام تبخترْ
أين منّا السلام والظلم غادر
ماتت الفرحة الوليد
وعادت أدمعا
بل دما يغشى الجزائر
هبّ شعبي إلى المنى
ونشيد ضاحك
في رؤى الفتى والفتاة
واغتباط موشّح بالأماني
وابتسام مضمّخ بالحياة
غير أن اللئام كانوا هناك
إن في جعبة الشقاء شراكا
وأحابيل تنشر الشؤم والموت
وتبني السجون تهوى العراك

في بلادي
هنا بأرض الجزائر
أو فلسطين أين يسخر غادر
في بلاد الجمال في مهبط الوحي
وفي الأطلس العظيم الثائر
* * *
يا دماء الشهيد
لست دماء
أنت نار على العِدى وخطوب
أنت نور
إلى الجزائر يسعى
فيه تنمو الحياة ،تنمو الشعوب
في لظى ماي
كنت شعلة مجد
كنت نارا تأججت في الضلوع
كنت صوت الجراح
في كل قلب عربي
إلى النضال سريع
ماي يا صرخة الجهاد الطويل
يا طريقا إلى الكفاح الأصيل
وشعاعا من الحياة يطوف الأرض أرضي
يقضّ كل دخيل
فيك شعبي
قد عانق المجد يوما
وتسامى إلى العلا بالجراح
كم شهيد
على العروبة ضحّى
وسجين أضاء ليل الكفاح

ماي يا دمعة الأسى في حمانا
سنرى النصر باسما في ربانا
سنراه
إذا تعلّم شعبي
كيف يفنى في ثورة لن تهانا
كيف يبني من الأسى
ثورة في نفسه
هل يثور أم سيخور ؟
لست أدري
لكنني لا أرى النصر
خطابا يهزنا وهدير
إنما النصر ثورة لا تمل الضرب
حتى يرى السلام لِوَانَا
ويرى الغادرون حَربا عَوَانَا
ويرى ماي مجدنا وعُلانا

* * *

ماي
يا شعلة الأسى في حشانا
سوف نفنِي الشقا ونبني الزمانا
أبدا
لن يظل يَعْرُبُ ماي في أسى الحزن
فانتظر ملتقانا . (1)

تقصيرين 07/ 1968/05.

(1) السائحي ، محمد الأخضر عبد القادر: الكهوف المضيئة،« شعر»،ط2،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1983م . ص ص 77- 84.

ولم ننس في أربيعين و خمس ضحايا المذابح في يوم نحس
طربنا مع الحلفـــاء اغتـــرارا وقمنا نصفق في غير عرس
فكانوا مع الغدر ،عونا علينـــا ودرســـا لقادتنـــا أيّ درس
وكانت مجـــازرهم بسطيف وقالة للشعب ، دقات جـــرس
وهز لسترداد شعبـــا توانـــى وأيقظ في العمق ميّت حـــس
وعلمنا آشيـــاري الثنـــايا فبدّد لون الدمـــآ كـــل لـــبس
وكـــانت تـــلاحـــق أقلامنا سراب الضياع فباءت بجـــنس
وكـــانت تكـــافـــح أحزابنا مع الوهم ،بين صراخ وهمس
فعطل صوت الرصاص اللّـــغى وانطق ألسنة غيـــر خـــــرس
فقـــامـــت تعـــبد أكبـــادنـــا طريق التخلص من كل رجس

شغلنا الورى وملأنا الدّنـــا
بشعـــر نرتلـــه كـــالصـــلاه
تسابيحه من حنايا الجزائـــر (1)

فيا أربعين وخمس أعيدي فضائح جند ،غبـــــي بليـــــد
وآثام أحلاس جيش عميل عديم الحيـــآ كـــضمير اليهـــــود
ويا ذكريات الدماء الغوالي أفيضي جـــلالك مـــلء نشـــيدي
ويا لعنات السماء انزلـــي صواعق،فوق الظلـــوم ا لحقـــــود
ويا زهرة ، زرعتها دمانا وفتحنها بالصبـــاح الجديـــــــد
ألا، ضمخي مهجات الضحايا بخراطـــة المجد ربْضَ الأســـــــود
تنافحك عموشـــة الخـــالدين عبيرا ، فيخجل عطر الـــورود
وهـــزي بعزتنـــــا فـــي بني عزيـــز المغاوير ،صدر الوجود
وتيهي بمن شيدوا للبقـــــآ ومن كتبـــوا صفحـــات الخلـــود
ومن قرر للبلاد المصيـــر بنور الحِجـــى ،وبنـــار الوقـــود

شغلنا الورى وملأنا الدّنـــا
بشعر نرتلـــه كـــالصـــلاه

---

(1) الشيخ، مفدي زكريا: الإلياذة ،المعهد التربوي الوطني ،الجزائر ،دون تاريخ . ص 50.
(2) المصدر نفسه . ص 51 .

مـــايـــــــو

يوم تعـــانق فيه الحـــزن والطـــرب
وبات يهتف للآمـــال فـــي غـــده
وفي حناياه إحســـاس يقـــول لـــه
طال العنـــاء به في اليـــأس يا وطني
وجاء مايو يغني كـــل من ذهبـــوا
وعاد يروي لنا ذكـــرى وأمثلـــة
وفي ذرى قمم الأوراس ملحمـــة
هناك في الأفـــق النشوان موعدنـــا
مع الأصيل الذي مـــا زال يُلهمنـــا
سنلتقي معه فـــي كـــل منعـــرج
ونَـــبتني في ربى التـــوحيد نهضتـــنا
إنا انطلقنا مـــع الدنيـــا عبـــاقـــرة

ناغاه شعب سرى في روحه الغضب
وفي الضلوع هتاف الشـــوق يضطرب
إنّ الوعـــود النشـــاوى كلها كـــذب!
حتى غدا من عذاب اليـــأس ينتحـــب
ضحية الحرية الحمراء فـــي وطنـــي
من البطولات في الأريـــاف والمـــدن
نشيدها لم يـــزل فـــي مسمع الزمن
مع الخلود الـــذي صغنـــاه من محـــن
ملاحمـــا تتحـــدى شرعـــة العـــدم
من الزمان نجاري أعظـــــم الأمـــــم
يبلى الزمان ولا تبلـــى من القـــــــدم
نعيد أروع مـــا شدنـــاه من قيـــــم(1)

---

(1) بن رقطان،محمد: الأضواء الخالدة،الطبعة الاولى ، مطبعة البعث ،قسنطينة ،الجزائر ،10 /1980 م . ص ص 35، 36.

في ذكـــــــــرى الشهـــــداء..

8مـــاي "1945 - 1985"

حي الشهيد بيوم ماي الأســـــود ... واكتب ملاحمه ببـــاب المسجـــد
واسعد بحظك في التحـــرر بعـــده ... واركع بذكراه الأليمـــة واسجـــد
وأعد على السّمار صرخة مـــؤمن ... قد و اكب الأحـــرار منذ المولـــد
وأتـــى لـــوادي الفـــدا ليحتفـــي ... بشهيد ماي أو ضحيـــة معتـــــد
و هفا إلى الماضي البعيد محلـــقـــا ... كالطير يضرب في الفضاء الأبعـــد
ورنا إلـــى خـــراطـــة مستلهمـــا ... و إلى سطيف و العريـــن المنجـــد
يا يوم قالمـــة الجريحـــة مثلنـــــا ... يا يـــوم واديّ الدمـــاء ،الأمجـــد
يا ماي أبطـــال التحـــرر والفـــدا ... يا شهر عزتنا بيومـــك أو غـــد
يوم الجزائـــر كلهـــا لا تنكـــروا ... يوم البطولـــة و الفـــدا والمحتـــد
يـــا ثلث قـــرن أو يزيـــد فإننـــا ... جئنـــا نبايـــع بالفـــؤاد وباليـــد
جئناك عام الأربعيـــن نـــزفهـــا ... بشـــرى لسيدة الجهـــــاد وسيد
ونقول للجمع الذي ضحى هنـــا ... بالروح ،روحك أثمرت في الموعد
وتحقق الحلم الـــذي قـــد طالمـــا ... ملأ النفوس برغم ماي الأســـود..
يا ماي عدت وعاد فيك تضـــرع ... لله ،مـــــن متـــعبـــد متهجـــد
هذي الأكف إلى السما مرفوعـــة ... من راكعين وخاشعيـــن وسجـــد
والكل يهتف :إننا خـــلف الألـــى ... سبقوا المواكب للســـها والفرقـــد
أرواحنـــا كانـــت تحـــن لملتقـــى ... شهدائنـــا شأن الوفـــيّ المقتـــدي
لكن وقد حم القضاء فـــأسرعـــوا ... من دوننا نحو العلَـــى والســـــؤدد
إنـــا نعاهد كـــل حـــر غـــائـــب ... أنا على درب الشـــهادة نهتـــدي
ونعاهد الوطن الحبيب مجـــــددا ... مستلهمين الـــرشد من مستشهـــد
ونقول في قلب بـــراه تشـــــوق ... للسابقين:إلى اللقـــاء ،إلـــى غـــد !
يا ساهـــرا حـــول الضريـــــح ... تبركـــا بالساكنين القانعين بمـــرقد
حي الجهاد بكل شبـــرها هنـــــا ... وأقم سُرادق للشهيـــد الأمجـــــد
واذكر رفاقا في الجهـــاد أحبّـــةً ... في كـــل روض هادئ أو مشهـــد
غابوا لتبقى أرضـــنا لوفائـــــها ... تحْييهمـــو كالعيد أو كالموعـــــد

ذهبوا ضحايـــا قامـــع متطـــاول قتل الألوف لحكم شهـــر أزيـــــد
يا للسفاهـــة ،يبقـــرون حوامـــلا و يقامرون علـــى الجنين الأمـــــرد
ويراهنون على إصابـــة هـــارب بتقاســـم لحشـــــاه أو بتفـــــرد
ويسارعون إلى اغتصاب لذائـــذ في كل كوخ صارخ مستنجـــــد
ويفاخـــرون ببيضـــة مسروقـــة أو قـــدر سمن أو بقايـــــا مـــزود
وإذا تعالت صرخة من بائـــــس عمد الغزاة إلـــى إبـــادة مـــورد
وإذا توالـــت صيحـــة لمجـــــاهد مثـــل الـــزئير يجيب ألف محمـــد
أطوادنا الشّماء قالـــت يومـــكـــم يومي وإنـــي عشتـــه فـــي موقـــد
ومن الهضاب الخضر هبت نسمة تذرو الحياة علـــى ثـــرى متجمـــد
(تاملوكة) ملكت فـــؤادا داميـــا بتجلـــد قد فـــاق كـــــل تجـــلد
ومن الزنـــاتـــي واديـــا متدفقـــا بالعلم أو حصنـــا لكـــل مجنـــــد
شعت تباشيـــر النضـــال مهيبـــة بالنشئ فاستبـــق العـــدى لتـــــزود
فترى على رغم الصعاب بعـــوثنا في الجامع ا لمعمور أو في (المعـــهد)
متعربون برغم فرنســـة طغـــت مستبسلون بدعم حـــزب مفتـــدي
لما دعا داعـــي الجهـــاد بغالـــما أو في سطيف أو خراطة في الغـــــد
هبت جمـــوع تـــرتدي أكفانـــها وتسيـــر للساحـــــات دون تـــردد
فتساقطت فـــي كـــل حـــي ذادة أشلاؤهم بقيـــت تشيـــــر لمعتـــد
يا للمســـيرة والســـلام شعـــارها أضحت مجازر في الخضم المـــزبـــد
صلوا لنصر زائـــف في (بيعـــة) ودعوا إلى تقتيلنـــا فـــي المسجـــد
خمسون ألفا من ضحايا ضربـــة مجنونة قد عذبوا فـــي المحشـــــد..
ثم انبرى الإعدام يرقص بهجـــة فـــي عيد نصـــر كافـــر مستعبـــد
ومضت عهـــود كالجبال ثقيلـــة يشقـــى بها شعب كريـــم ا لمحـــــتد
حتى ثأرنا في نوفمبـــر واعتلـــت رايات نصـــر فـــي البـــلاد مخلـــد
فاستبشر الشهداء فـــي عليائـــهم و استمـــرأوا عيشـــا بظـــل (محمد)
يا أيها الأحيـــاء هل مـــن عـــودة للصف بعـــد المشـــرب المتعـــــدد ؟
يا أيها الأحياء هـــل مـــن أوبـــة منـــا لنهـــج واحـــد ومـــوحـــد ؟

فالدين في غبن فهل من ناصح ... والعرب في خطر فهل من منجد ؟
والطامعون بنفطنا و دمائنا ... يخفون ناب الغدر طيّ تودّد..
ونعاجنا تعطي الكثير تكرما ... وجزاءها نصل وطعنة معتد
فذئابهم دوما تحن لحيّنا ... وكلابهم تعني بكل ممدد..
أيد يهمُو سود بنصل أبيض ... و جسومهم بيض بقلب أسود
يا أيها العرب الذين تفرقوا ... فغزا معاقلهم صبيٌّ مبتدى
أو ما أخذتم أبجدية عالم ... فيه الضعيف يداس مثل (القنفذ)
فتراثنا يأبى التفرنس والهوى ... وبلادنا لا تطمئن لملحد
إن التفرنس نكبة مدروسة ... ومخطط يرمي لما بعد الغد
إن العدو إذا بدا ،بانت لنا ... منه المقاتل ،فاغتدى رهن اليد
لكنْ إذا كان العدو معمما ... و مبرنسا مثل الزبير وأحمد..
كيف السبيل إلى اكتناه ميوله ... والخنجر المسموم تحت (المشرد)
هبوا حماة الدار قبل دمارها ... ذودوا بعلم قبل سيف اليد
فالدين خير محصن لشبابنا ... ولساننا العربي خير موحد
و احموا العرين من العداة فإنهم ... في كل شكل لا بشكل أوحد
هذا يجيء بهيئة مرموقة ... أو ذا بزي الراهب المتعبد
وهناك من أضحى كشيء أحمر ... لا يطمئن لعابد أو معبد..
وهناك من يبدي السماحة والندى ... وفؤاده كالمحجر المتجمد
ومن البلية أن ترى مستلطفا ... في شكله كالريش أو كالعسجد
لكن إذا ألقى القناع لغاية ، ... ألفيته صلدا كقلب الجلمد
لو جئته تسعى لجمع مبرة ... للمعدمين ،يقول جئني في غد
ويغيب دهرا لا تراه سوى إذا ... ضمن المنية للفقير المبعد..
لو جئته يوما تريد مودة ... يوليك ظهر الحاقد المتشدد
أو جئته تدعو لدعم أصالة ... يأتيك بالتحديث والمستورد..
ورمى ببدعته وولى هاربا ... فكأنه لص بدون مهند
يا غائبين عن الوغى لوقيعة ... أو فتنة من مارق متمرد ..
من لي بمن يروي ملاحم رادة ... كانوا كمثل الطود للمتهدد

قـــادوا الصفوف لوثبـــة جبـــارة ... واستبسلوا فـــي الذود عن مستعبـــد

إن داهمتهم في الليالـــي نكبـــــة ... كـــانوا المشاعل في الظلام الأســـود

في نورهم يمـــضي السراة لغاية ... كالسر ،لا تجلى ســـوى للمهتـــدي

و (الله أكبر) سر كـــل قضيـــــة ... يـــا أمتـــي إن قلت هـــذا فاشهدي!

يا ماي يا شهر البطولة والفـــــدا ... هـــذا نشيدي جـــــاء مثل المنشـــد

يحيي المآثر والضـــحايا غانمـــــا ... يوما مثـــيرا مثـــل هـــذا المشهـــد

يا ماي هل تروي حكاية مؤمـــن ... قال الحقيقـــة دون شـــيء أزيـــــد

لكنهم حرموه شمسا في الضحـــى ... ورموا به حيطـــان ليـــل أســـــود

إن جاءهم يبدي النصائح مـــخلصا ... جـــاؤوه بـــالأغلال أو بالمقـــــود

واستدرجوه لقول مالا يشتهـــي ... واستعبدوه وحـــــق ذاك المعبـــــد

يا ماي دعنا نستعد ذكرى هـــوى ... فلعلـــها تنســـي لواعـــج مسهـــد

بيني وبينك قصـــــة معروفـــــة ... وتغـــزل بـــالجمـــع لا بالمفـــرد..

مُذْحلّ يومك كنت أول مثخـــن ... في العمـــق ،أول نـــازح مستبعـــد

وتلوت فيك قصائدي محمـــــرة ... كالدمع كالـــدم كالتـــراب المجـــهد

سكبت فيك مشاعري مشبوبـــة ... وقتلـــت نفســـي فـــيك دون تعمد

ثم ها أنا يا ماي أمثل راكعـــا ... عند المقـــام اليـــوم حسب الموعـــد

فاغفر هنات قد أكـــون أتيتـــها ... و احفظ ودادا يا حبيبي الأوحـــد!

إن نافستني في هواك خـــــلائق ... فأنـــا المبرز فـــي الغـــرام السيـــد

يا درة تزهو بـــها إفريقيـــــا ... والعـــرب تغمرها بعشق سرمـــدي

إني قنوع مـــن ثراك بحفنـــــة.. ... من دون نفـــط للحفائـــظ مـــوقـــد..

نفطي وغازي للفقيـــر تركتـــه ... وسددت بئري وانتقمـــت .بمفـــردي

وزرعت في هذا التراب محبـــة ... أهديتـــها أرضـــا أرادت مـــولـــدي

فاستحلفتني أن أواصل زرعـــــها ... لتكون دوما فـــي غنـــى عن مسنـــد

فأجبتها لبيك ثـــم ضممتـــــها ... وأخذت في حصد الذ ي زرعت يدي

هذا يميني أقسمتـــه جوارحـــــي ... من قبل كفـــي أو لسانـــي الأعنـــد

هات الكـــتاب إذا أردت فإنمـــا ... قسمـــي يـــؤيـــده كتـــاب محـــمـــد

إني سأبقى رهن حبك حامـــــلا ذكـــراك والأمـــل المجـــدد للغـــد
فالحب عندي منه نهر صـــاخب جـــار كنبـــع العـــاشقيـــن مخلـــد
فاشرب-فديتك- من دمائي إنـــها وقف عليك وأنت تـــدري مقصدي
إن لم أروّي من دمائي دوحـــــة تدعى الجزائر مـــن تراني أفتـــدى؟!
يا أيـــها الشهداء إني لاحـــــــق.. فإلى اللقـــاء ..إلى اللقاء ..إلى غـــد
خـــمسون عاما أو زهاها قد مضت و أنـــا أطارد رغبتي .. هل أهتدي؟ (1)

الجزائر في 3/ 5/ 1985.

---

(1) معاش، أحمد الطيب:التراويح و أغاني الخيام مصدر سابق. ص ص 501- 505.

(ألقيت في كل من قالمة و باتنة بمناسبة الذكرى الأربعينية لانتفاضة 8 ماي 1945 و ذلك في يومي 8 و 10 ماي 1985).

عـــــار الحضـــــارة

وكانت مدينتنا يـــا رفاقـــــي ضحيـــة غـــدر بكـــل مـــــراره
أراد الغـــزاة لهـــاأن تنـــــام على الضيم رغم ارتفاع الـــحراره
وتنسى الوعود التـــي قطعـــوها لكـــل بنيـــها ولـــو بـــالإشـــارة
وراحـــت مدينتنـــا تتغـــنـــي بعودة نور الضّحـــى للعمـــــاره
وتبدي مطالبهـــا بـــاحتـــرام وتعلن عن رأيها في عبـــــــارة
فلم يقبلوا حسها الحضـــري وردّوا عليـــها بعنف و غـــــاره
حضارة من هـــذه المفتـــراة وآلام من هـــذه المســـتشـــاره؟
أهجمة وحش وقانون غـــاب أرى كل وصف عليها خســـاره ؟
لأن السلوك الذي مـــارســـوه هنـــا لا يمـــتّ لأي حضـــــاره
وإنـــا لنـــعلـــم أن فـــرنســـا لها عندنـــا أوجـــه مستعـــــاره
فكم رفعت في الدنا من شعار وتحت الشعار تـــــدوس ثمـــاره
فإن تسألوا عن بنيها الغـــلاة وما خلفـــوا بعدهم من قـــــذاره
فكل الدمـــاء التـــي سفكـــوها تديـــن فـــرنســـا بكـــل جـــداره
ومأســـاة قالمـــة وسطـــــيف تفنّد مـــا تدعـــي من طهـــــاره
فيا أيها الراحلـــــون الكـــرام سقطتم علـــى أرضـــكم بحـــراره
ثقـــوا أيها الخـــالدون الأبـــاة بـــأن الجـــزائـــر تبقـــى منـــاره
ويبقى الوفاء بأرض الوفـــاء مآثر شـــعب يحـــبّ الصـــّداره [1]

---

(1) بن رقطان، محمد: زفرات البوح،منشورات فرع قالمة لاتحاد الكتاب الجزائريين ،مطبعة المعارف ،الجزائر ،2005 م .ص 13.

لـــولا نـــــوفمبر ..!

بمناسبة إقامة ذكرى حوادث 8 ماي 1945 بمدينة قالمة بتاريخ
8 ماي 1985 .بعث الشاعر بهذه القصيدة إلى الأستاذ محمد بن رقطان
أمين محافظة جبهة التحرير الوطني والمشرف على المهرجان .

لولا ،نـــوفمبر مـــا رنت بك الكـــلم ... يا شهر ماي ولا غنى بك الـــقلـــم
ولا احتفى بك شعب عـــاش ملحمـــة ... نكراء فيـــك ادلهمّت شرهـــــا عمـــم
خـــراطـــة وسطـــيف ثـــــم قالمـــة ... مناطق عمـــــها التقتـــــيل و النقـــم
تلك الضحايا التي كـــانت مكثفـــــة ... قد غالـــها فيـــك جيش كلـــه نهـــــم
هو الفلول التـــي جـــاءت مشـــردة ... من حرب(هتلر)لا نبـــــل ولا ذمـــــم
شراذم من رعاديد الحـــروب أتـــت ... لتأخـــذ الثـــأر ممن أرضـــهم سلـــــم
جنت فرنسا فتـــاهت فـــي تصلّفـــها ... أمـــام شعـــب بـــريء ليـــس ينتقـــم
بالأمـــس ظل بنـــوه فـــي خنادقـــها ... وسط المعـــامـــع والنيـــران تضطـــرم
قد قاتلوا (الدتشي) والألمان ليس لهم ... في الحرب نـــوق ولا أرض ولا غـــنم
يا (مايو) يا أيها الشهر الذي انهمرت ... فيـــك الدمـــاء وعمت أرضنـــا الظلم
إن ننس نحن فلن ننســـى فواجعنـــــا ... ذكـــراك تفعمـــها الأشجـــان والألم
لكنـــها هـــــزة أحـــيت لنـــا ثقـــة ... في النفس فاهتزت الأفكـــار والهمـــم
وانجاب غيم عن الأبصار واتضحت ... طريقـــة النصـــر يعلـــو حافتيـــها دم
وفي نوفمبر أدينـــا اليميـــن علـــــى ... دحر الأعادي لنمحو كل ما زعمـــوا
وأنجز الله وعدا فـــــي جزائرنـــــا ... فثار في أرضـــها البطحاء و الأكـــــم
توحد الشعـــب و انساقـــت كتائبـــه ... نحو الكفاح وهبت في الدجـــى النـــوم
وخاضها ثورة كـــــبرى مباركـــــة ... أبلى بها الشعب واهتزت لهـــا الأمـــم
سبع من السنوات الحمر كن لنـــــا ... ملاحما ملـــــؤها التنكيـــل والحمـــم
كنا لها جبهـــة صمـــــاء واحـــــدة ... وجيشنا الصـــامد المنصـــور ملتـــحم
خضنا معارك حـــرب لا نظير لـــها ... يحدو بنا الثار والتحـــــرير و القيـــم
وأقبـــل النـــصر وأهلت بشائـــــره ... وارتد جيش الأعادي وهـــو منهـــزم

وعمت الفرحة الكبـــرى جزائـــرنا ورغـــم أنف العـــدا قد رفـــرف العـــلم
و راح شعب الفدا يبني جـــــزائره الـــــرأي متحـــــد و الصـــف ملتئـــم
تقوده جبهة التحـــريـــــر رائـــده لا يعتريـــــه مـــــلال لا ولا ســـــأم
هذي المشاريع في الميدان شـــــاهدة في كل صقع يرى كســـــب ومغتنـــم
مسيرة الخـــلق و الإنـــتاج زاحفـــة بقطرنا الحـــر والآمـــــال تبتـــــــسم
فاشهد لنا شهر ماي أننـــا عـــــرب تسمو بنا الضـــاد والإســـلام والشيـــم(1)

(1) الشبوكي، محمد:الديوان ،منشورات المتحف الوطني للمجاهد ،الجزائر ،1995 م . ص ص 93،94.

قصيـــة تاريخية في حوادث 8 ماي 1945

سجّلن يا تاريـــخ واشهد جهـــــارا .بمساوي بنـــي فرنسا الشـــــرارا
لا يضاهيهم في السفالـــة جنـــــس فهُمُ ألأم الـــورى والنصـــــارى
قد حباهم بنـــو بلادي انتصـــــارا بعد ما ذاقوا ذلـــــة وانكســـــارا
وتوالـــت عليهـــم المـــزعـــجـــات وبقيد الهوان سيقـــوا أســـــارى
وغدت أرضهم تعانـــي احتـــــلالا ورزايـــــا شديدة بـــل دمـــــارا
و جنود الألمان عـــاثـــت فســـــادا وهم منكسو الـــرؤوس احتقـــــار
فبدا في الميدان أغلـــــى شبـــــاب من بني وطنـــي يشيد الفخـــــارا
فلجيش الألمان أعطوا دروســـــا في البطولة نوعـــها لا يجـــــارى
وبـــهم حققت فرنسا الأمـــانـــي إذ كسوها مهابـــــة وانتصـــــارا
وبهم أصبحـــت فرنـــسا تباهـــــي تتحدى كل الشعـــوب الكبـــــارا
هل بهذا الجميل كـــان اعتـــــراف من فرنسا أو أنكـــرت إنكـــــارا
ليتـــها اقتصـــرت علـــــيه ولكـــن قد جزتنا بـــما جـــزي سنْمـــــارا
فسلوا عن فرنسا ثـــــامن مـــــاي فهو أصدق شاهـــد لا يمـــــارى
حيث قامت فيه فـــرنسا جهـــــارا بالرزايا التي تشـــيب الصغـــــارا
ضدّ شعبي الذي حبـــاها جميـــــلا وبه نـــــالت العـــلا وافتخـــــارا
سلّحت ضده جنـــود الأعـــــادي بعـــدما انتصرت وصاروا أســـارى
كي تعبر عـــن عـــــداء أصـــــيل ضـــد ملتنـــا وقومـــي الخيـــــارا
إن قلبـــي قد أضعفتـــه همـــــوم حيث قالمة باتت تعانـــي الدمـــارا
من جرائم يعجـــز الوصف عنـــها فهي حقا ستمـــــلأ الأسفـــــارا
فلقد حار "كاف بومبـــا" مكانـــا فـــيه تردى الورى ويصلون نـــارا
إن قلبـــي قد أضعفتـــــه همـــــوم حيث قاسى بنور سطيف البـــوارا
من مجازر يعجز الوصـــف عنـــها حيث عمـــت صغارهم والكبـــارا
وأهالـــي خـــراطـــة قـــد أبيـــدوا وغدت دارهـــم يبابـــــا قفـــــارا
حيث عاث العدو فيـــهم فســـادا وأبـــادوا ديـــارهـــم والعقـــــارا
إن قلبـــــي قـــد لازمتـــــه سقام حيث صرنا نكـــابد الأخطـــــارا
إن "وادي الزناتي" قاسى اضطهادا لا يطاق إذ أنجـــب الأحـــــرارا

منهـــم الشهيدان مغـــزى محمـــد "والطويل" من نـــالا الاستبشـــارا
إن وادي الزناتي أضحى كئيبـــــا إذ له خططـــوا الردى والدمـــارا
فلتخريبـــــه أتـــــوا مسرعيـــن بـــالمدافـــع قاصـــدين الديـــارا
إذ جيوش العدو قـــــالت جهـــارا إنه مخطـــر يدبّـــــر البـــــوارا
فهو مسؤول عن جميـــع الحـــوادث بدليـــــل لا يقبـــــل الإنكـــارا
ولقد عم سائـــر القطـــــر قمـــع ذاق شعبي منه الرزايا الكـــبـــارا
كم ألوف ضاعت ضحايا اضطهاد ما عرفنـــــا لهـــــم ولا آثـــارا
كم أتى من ميدان حرب شبـــاب ما لقـــــوا أهلهـــم ولا ديـّـارا
يا فرنسا هل ذا جـــزاء رجـــال توجـــوك مهابـــة وانتصـــــارا؟
بعدما كنت فـــي مهاوي هـــلاك وبنوك عند الأعادي أســـارى
والكثير منهـــم أصيبـــوا بجب،ـــن لابســـين من المخازي الدّثـــارا
فاعلمي يا فرنسا علمـــا يقـــينـــا أن ثامن مـــاي يبقـــى منـــارا
كي يضيء الطريق في كل وقـــت لشبـــاب بـــــهم نعيد الفخارا
إذ يسيرون في طريق الوفـــــاق كي ينالوا المنى ويحموا النّـــمارا
وتعيد البـــلاد عـــــزّا ومجـــدا وفرنسا تسقى الردى والدمـــارا
ولها في التـــاريخ ذكـــر قبيـــح من جمـــيع الورى صغارا كبـــارا
ولنا فـــي الإلـــه ظـــن جمـــيل كي يمدنـــا قـــوة وانتصـــــارا
فنعيد استقلالنـــا بـــاستحقاق لا يضا هى مكانـــة واعتبـــــارا
وبه نرتقـــــي لمجـــــد رفيـــع والشعوب دانـــت لنا إكبـــــارا
فارحم الله السّـــادة الشهـــداء و جميع الصنـــادد الأحـــــرارا
فبهم حققت بـــلادي الأمانـــي ولكل الشعوب أضحـــت منـــارا
من سناه فازوا بخيـــر المبـــادي كي ينالـــوا سيـــادة وفخـــــارا
وبتاج الرضوان تـــوّج إلاهـــي من بهم نلنـــا رفعـــة وافتخـــارا
فلقـــد باعـــوا أنفسا طاهرات كي نعيد ال علا ونحيي ازدهارا
وبخير الجـــزا تفضـــل عليهـــم أعطهم في الجـــنان أعلى قرارا[1]

(1)مهري ، مولود ،ضمن كتاب :رحاب، محمد الصالح:رجال ومواقف ،مكتبة رحاب ،مطبعة م ر ،الجزائر ،دون تاريخ . ص ص 13، 14.

أوهـــــام وآلام

زعمت "سوزان" بأنها ليَ وامـــق ... جرحت وكل أضالعـــي تتـــــألم
ومضت تروغ بدلّها لتذلنـــي ... أواه مـــن دلل يجـــور ويظـــــلم
قالت "سوزان" وكل قولها كاذب ... إنّ الهوى في قلبـــها متضـــــرم
هلا كففت اللوم عن هـــذي التي ... من غدرها بات الأسى يتجهـــــم
"سوزان" ما عاد الكرام بأرضنـــا ... يرجون حبّك والخيانـــة تُعلـــــم
أو تذكرين مـــواعـــد بفواجـــع ... بدلْتِها ،والأمن فـــيك تـــــوهّم
خمسون ألفا من عشيرتي ذبحـــوا ... أيُـــلام من يبغي الضياء ويُقصـــم ؟
سيظل يكتب في الطروس نقاؤهم ... ويخط خبثك في العروق وـــيوشـــم
"سوزان" إني اليوم حبّك جاحـــد ... أحرقتُ طيفك ..بالطلاق سأحكم
لا تستعيري التيس إنـــي حالـــف ... مهما التيـــوس تكثرت لا أســـلم
قد بنـــت منّـــي بالكبـــيرة إننـــي ... لا ،لن أعـــيدك بالإلـــه وأقســـم
هيا اخرجي من دارنا هيا اخرجي ... إن الجريمـــة إن بقـــيت ستعظـــم
لا تستجيري كلّ قـــولك كـــاذب ... ولسوف أشهد في المحاكم ، أبصم
أن المحبـــة قد تقطـــع حبلـــــها ... ما عاد بيننا ما يقـــــال فيفهـــــم
أقضاتنا هـــذي الحكايـــة بيننـــا ... لا لن أعيد "سوزانهم" لا تحلموا! (1)

الأستاذ: مولود مجدوب
.بمناسبة الذكرى 56 لمجازر 8 ماي 1945
26 محرم 1422 هـ / 18 أفريل 2001

(1) قصيدة مخطوطة سلمت لي من الشاعر يوم 2006/05/20.

جـ - مقـــابـــــــلات:

نص المقابلة مع الشاعر بن رقطان محمد :

لقد شرفني الشاعر الأستاذ محمد بن رقطان ، و أكرمني باستقبال في بيته في مدينة قالمة وكان من نتائج المقابلة حوار حول الشعر بصفة عامة على اعتبار أن بن رقطان شاعر أثرى الساحة الشعرية بمجموعة من الدواوين القيمة .

وحول أحداث 8 ماي 45 بصفة خاصة ،لأن الشاعر واحد من أبناء المنطقة التي كانت مسرحا للأحداث وله اهتمام خاص بالموضوع .

نص الحوار :

س1 : ماذا يمثل الشعر لدى محمد رقطان؟

ج1 : الشعر أرقى فن يعبر به الإنسان عن آلامه وذكرياته وأفكاره وطموحاته ،وعما يختلج في أعماقه من مشاعر وأحاسيس وتصورات .

الشعر قيمة جمالية وفكرية وكل إنسان مشروع شاعر بحكمه شاعر لكن الإشكال في التعبير عن الأحاسيس والانفعالات تجاه الكون والحياة والعلاقات التي تربطه بالأرض وبالماضي والحاضر وتدفعه نحو المستقبل .

كل هذه التساؤلات يعبر عنها الإنسان بكيفية أو بأخرى والشعر قيمة جمالية .

س2 : ماذا تمثل لكم أحداث 8 ماي 1945م؟

ج2 :كلمة مجازر أقرب إلى الموضوعية منها إلى الأحداث أو الانتفاضة ،إن الشعب خرج بعفوية ليشارك العالم فرحة انتصاره على النازية التي أعلنت حربا كونية على العالم ،ويوم انتصار الحلفاء خرج الشعب ليعبر عن تعلقه بالحرية كقيمة ويعرب عن طموحه في أن يحظى بالحرية التي يحتفل بها العالم ،فتحولت الفرحة إلى مأساة وارتكبت المجزرة .

ما حدث ليس انتفاضة ،الانتفاضة نتيجة تحضير واستعداد لكن ما قام به الشعب كان عفويا دون نوايا...فهي فرحة عظيمة شارك بها الإنسانية المحتفلة بالحرية ولكنهم انقضوا عليه كالوحوش. وتحولت الفرحة إلى مأساة ومأتم .

س3 : ماذا تمثل الأحداث عند الشاعر بعد مرور عقود من الزمن عليها ؟

ج3 : الحدث الذي يتفاعل معه الإنسان يعيشه بالعاطفة الحارة و يعايشه ويحس بألمه وبهول الفاجعة ،فيأتي التعبير مشحونا بحرارة العاطفة ،ويعبر عن الأحاسيس الحية الجياشة النابضة

لمعبرة عما تعجز اللغة عن قوله ،لكن عندما يبعد الحدث ويحاول الشاعر أن يعود ليتفاعل معه فالصدق يصنع معجزة الفن الذي يعيش الحدث ويحوله إلى نص أدبي يكون أكثر دقة وصدقا وعمقا من الذي يحاول أن يعايش حدثا لم يعشه .

س4 : بماذا تفسرون انحباس الشعر ،أو توقف الشعراء عن القول والنظم بعد الحوادث مباشرة إلى غاية 1948م .

ج4 : الشاعر ليس ملزما بالتفاعل مع الحدث إثر وقوعه ،هناك فترات تمر على الإنسان يعيش الحدث ويتألم له ولكنه لا يكتب عنه .

هناك فترات لازدهار الشعر ،وقد تطول الفترة إلى السنة توجد نزعة القول لدى الشاعر لكنه لا يقول وكأنه يفقد الشهية إلى القول .

ربما يكتب الشاعر لكنه لا ينشر نظرا لظروف معينة ،فقد تكون وسائل النشر غير موجودة أو غير متاحة ،فعدم النشر لا يعني عدم وجود النصوص نظرا للظروف السياسية .

س5 : إذا كان شعراء ما قبل الاستقلال توعدوا بالثورة والثأر بعد الأحداث ،فما هو صدى الأحداث لدى شاعر الاستقلال ،وشاعر الثمانينيات ؟

ج5 : الشاعر ينظر إلى الحدث من خلال رؤاه الفنية ومحصوله الفكري ونظرته الكونية لأنه يربط الحدث بالصورة الكونية .

أنا أرى أن فرنسا التي رفعت الشعارات وصدرتها ،قامت بفرية كبرى ،إن الأفعال التي ارتكبتها لا تمت بصلة إلى الحضارة فهي عندنا تدوسها وترتكب المآسي في حق الأبرياء العزل ففي سطيف وقالمة حولت فرنسا الفرحة إلى مأساة ،وداست كل القيم ،هذه بربرية ووحشية وانتكاسة حضارة .

لم أدع إلى الثأر لأنه حدث ،والشاعر دعا لذلك لأن الكلمة رسالة ،إن الكلمة لا تخلد الحدث في ذاكرة الأمة فقط ،ولكنها حين ترى الأمة بحاجة إلى التعبئة إلى التخلص من الاستعمار فالشاعر يدعو إلى استخلاص العبر وإلى التحرر .أجرم فرنسا ومن حق الإنسانية أن تحاكمها .

لكل شاعر رؤية خاصة والمتشبع بالقيم الإسلامية يستلهم التاريخ ويقوم بإسقاط أحداث سياسية تاريخية على أحداث حاضرة .

س6 : تبدو المعاني في قصائد ماي مكرورة ومتشابهة ؟

ج6 : إتحاد الأمة في وحدة المشاعر فما يحسه الشاعر في مكان ما يحسه الشاعر في جهة أخرى فتلتقي الأمة في وحدة المعاناة والمشاعر والتعبير عن هذه العواطف ،فتأتي الصور متقاربة .

س7 : يتكرر في قصائد ماي استعمال ضمير المفرد (الشاعر) ،ثم ضمير الجمع (الجزائريين)

بم تفسرون هذه الظاهرة ؟ .

ج7 : رأيي أن الشاعر لا يهندس عمله ،كما يخطط الباحث ،لا يكرر الأنا ولا يستغرق في الذاتية ،بل إن الشعر ذاتي وجداني ينطلق من الذات ليذهب نحو الآخر ،نحو الوطن نحو الإنسانية بعفوية وتلقائية .

كتبت القصائد قبل ظهور النقد ، لكن تبقى اللحظة التي ينبجس فيها الشاعر لحظة الولادة تجعل الشاعر خارج الزمن ، لا يشعر بالوقت ولا يشعر بالمعايير التي تحكم فن القول .

ربما يعود الشاعر للنظر في ما كتب ، ولكن النظرة تكون في الجانب اللغوي والعروضي فقط .

س8 : لماذا جنح الشعراء من خلال وصف أحداث 8ماي 1945 – ومنهم بن رقطان-إلى الشعر العمودي (الموزون المقفّى) ؟

ج8 : هذه قناعات ، أنا أحد المثقفين أومن بأن بالشعر تربطه قيود وأن العرب ،عندما أرادت أن تفرق بين المنثور والمنظوم ، سمّت نوعا من الكلام شعرا ، وهذا الشعر خاضع لإيقاع القافية والروي والوزن . والشعر لا تصنعه هذه العناصر فقط ، فلغتنا لغة شاعرة ، فهناك نصوص نثرية أشبه بالقصائد ، ولكن رغم ذلك سمّت العرب الشعر شعرا والنثر نثرا ، فالقصيدة العربية العمودية التي أدّت دورها عبر العصور لا تزال قادرة على أن تعبر عن معاناة الإنسان وما يعيشه .

أما شعر التفعيلة والشعر المنثور فالقضية لا يفصل فيها إلا الذوق العام ، فما يقره الذوق الحضاري ويصطلح عليه بأنه شعر فهو شعر ، وما يرفضه شعر يموت وينبذ .

س9 : ما سر التصريع في مطالع قصائد ماي ؟

ج9 : التصريع فيه جرس موسيقي وحلاوة فهو يفرض نفسه بعفوية ولا أقصد به الزخرفة .

س10: ما سر التكرار في القصائد؟

ج10: إن الفكرة عندما تفرض نفسها على الشاعر و يريد التعبير عنها تظل حاضرة وتلح عليه ويحس بأنه لم يعطها حقها .لا بد من عملية تفريغ للفكرة التي تفرض نفسها ليعود إليها مرة بعد مرة أرى بيتا أو بيتين لا يفيان بالغرض الموجود في ذهني ،وتلح الفكرة ،فأعود إليها لأكررها لإفراغ الشحنة ،وبعدها أنتقل إلى كيفية أخرى، قد يبدو تكرارا،لكنه يعبر في كل مرة عن جزئية من الفكرة بفطرة وعفوية .

س11 :.بماذا تعللون شيوع الأساليب الخطابية والإنشائية في القصيدة ؟.

ج11 : الشاعر ترجمان قومه والمعبر عن حالهم ،هو لسانهم ،وبالتالي ،فعندما يقف متفجعا يتساءل ،ينادي ،ويدعو ،ويصرح ،ويحث . يتساءل لأنه لا يفهم كل ما جرى رغم معرفته الجزئية يتساءل عن ردود الفعل يرى أمته مستهدفة ومتخاذلة ،هذا يدعوه إلى التساؤل والخطابية ،فيستعمل

النداء والأمر... لأنها تفرض نفسها بطبيعتها ،ولأن الشاعر لا يعبر عن ذاته فحسب إنما يعبر عن أمته ووطنه فلا بد أن ينادي ويأمر ويتساءل... لأن الموضوع يقتضي ذلك .

أما في الشعر الحديث فقد دخلت تقنيات حديثة ،وظهرت لغة جديدة فيها صور جميلة وخيال مجنح لكنها خالية من الخطاب والعطف ،لأن الشعراء خرجوا عن العرف اللغوي وقبول هذه اللغة يعود إلى الذوق الحضاري للأمة ،فإذا قبلت لغة التعبير صارت قاعدة مؤسسة .فهناك تجديد يفرض نفسه وتجديد مصنوع لا يقره الذوق سيموت ويزول .

س12 : ماذا تعني الصورة الشعرية لدى بن رقطان ؟

ج12 : الصورة شيء يتعلق بالناقد أكثر من الشاعر ،لأن الشاعر لا يضعها نصب عينيه حين يكتب الشعر .الشاعر مناضل صاحب قضية وطنية وسياسية كبرى ،قضية أمة وتاريخ وهوية،فالفكرة تفرض نفسها والشاعر الجزائري ليس شاعر صورة ،لكنه صاحب فكرة تهمه الأفكار التي يدافع عنها ،لكنه لا يهمل الجانب الفني .لست صاحب فن لكن يعنيني الأسلوب بالدرجة الأولى .أظن أن ظاهرة الغموض في الشعر ،والألغاز ظاهرة غريبة ،فلماذا يقول الشاعر ما لا يفهم أنا أقرأ بعض النصوص فلا أفهمها ،فكيف يكتب الشاعر دون أن يُفهم نفسه ؟لا بد أن يكون هنالك وضوح وصور غير مغلقة.

س13 : هل تصنف قصائد أحداث ماي ضمن الرثاء كفن تقليدي ،أم تختار لها تصنيفا آخر ؟

ج13 : الرثاء تأبين ،القصائد شعر وطني سياسي لأن الشاعر صاحب قضية :الحرية ،الظلم العدوان ،الطغيان ،الاعتداء على حرمة الأوطان وسيادتها ،لذلك فهو يتعدى الرثاء لأنه يتبنى مطالب ويدافع عن حقوق ،ويندد بجرائم .

ـــ فرصة طيبة وجميلة ،أدعو الله أن يكلل عملكم بالنجاح . (1)

---

(1) مقابلة شخصية مع الشاعر بن رقطان محمد في منزله بمدينة قالمة. مساء يوم الأحد 28 أوت 2005م.

د- تـــــراجـــــــم:

محمد البشير الإبراهيمي

(1889-1965)

هو رائد الحركة الأدبية والإصلاحية في الجزائر ،ولد في قرية أولاد ابراهم بسطيف "الجزائر" في أسرة شريفة معروفة بالعلم والدين وفيها تلقى علومه على يد عمه محمد المكي الإبراهيمي فأتم حفظ القرآن الكريم وهو ابن تسعة سنين ،ولما بلغ سن الرابعة عشر من عمره توفي عمه فتولى تعليم تلامذته الذين كانوا زملاءه .

هاجر إلى المدينة المنورة متخفيا في 1912م ،وفي طريقه إليها مر إلى مصر وأقام بها ثلاثة أشهر ،والتقى ببعض علمائها وأدبائها كالشيخ سليم البشري ،وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم ،وغيرهم وفي المدينة التقى بأسرته التي هاجرت قبله سنة 1908م ،وهناك تردد على حلقات العلم ،ولكنه قال "فلم يرق لي شيء منها ،وإنما هي غثاء يلقيه رهط ليس له من العلم والتحقيق شيء..." ،والتقى بالشيخ ابن باديس الذي وفد حاجا في1913م فتدارسا أوضاع الجزائر ،واتفقا على تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ولكن ظهورها تأخر إلى 1931م وفي 1917م هاجر إلى دمشق فاختير أستاذا للمدرسة السلطانية – وهي المدرسة الثانوية الوحيدة إذ ذاك – فدرس الأدب العربي للصفوف النهائية ،ثم عاد إلى الجزائر في1920م ،وشارك في الحركة الإصلاحية إلى جانب الشيخ ابن باديس ،ولما تأسست جمعية العلماء وضع دستورها ،وانتخب وكيلا لها ،ولما قامت الحرب العالمية الثانية رفضت الجمعية تأييد الحلفاء فوضع تحت الإقامة الإجبارية لمدة ثلاث سنوات في أفلو بالأغواط ،وفي أثنائها جاءه نعي ابن باديس في16 أفريل 1940 فانتخب غيابيا رئيسا للجمعية ،ولما أطلق سراحه تواترت جهوده الإصلاحية .

وفي 1952 كلفته الجمعية بمهمة في المشرق العربي ،وهي السعي لدى الحكومات العربية لقبول البعثات الطلابية الجزائرية في جامعاتها .ولما اندلعت الثورة التحريرية في1954م أصدر بيانا من القاهرة في 12 نوفمبر يؤيد فيه المجاهدين باسم الجمعية ،ومما جاء فيه :"... هلموا إلى إحدى الحسنيين :إلى موت وراءه الجنة ،وإما حياة وراءها العزة والكرامة ." وكان الفوضيل الورتلاني قد أصدر بيانا في 30 نوفمبر باسم الجمعية يؤيد فيه الثورة .

عاد إلى الجزائر بعد الاستقلال ،وألقى أول خطبة في مسجد كتشاوة ،ولكنه رفض توجيهات نظام الرئيس أحمد بن بلة ،فأصدر بيانا مشهورا باسم الجمعية يندد فيه بهذه التوجيهات ،والمفاسد ،ففرضت عليه الإقامة الجبرية حتى وفاته .

من مؤلفاتـــه : يقول الكاتب :"لم يتسع وقتي للتأليف والكتابة مع هذه الجهود التي تأكل الأعمار أكلا ،ولكنني أتسلى بأن ألفت للشعب رجالا وعملت لتحرير عقوله تمهيدا لتحرير أجساده."

ومن مؤلفاته :عيون البصائر (مجموعة من المقالات كان ينشرها في جريدة البصائر)./آثار محمد البشير الإبراهيمي .

ومن مؤلفاته المخطوطة :أسرار الضمائر في العربية /حكمة مشروعية الزكاة في الإسلام التسمية بالمصدر /شعب الإيمان /أرجوزة في 36 بيتا ضمنها تقاليد وعادات الشعب الجزائري.(1)

(1) بوزواوي، محمد:قاموس الأدباء و العلماء المعاصرين ،دار مدني للطباعة و النشر و التوزيع ،الجزائر، 2003م .ص ص 22- 24.

محمـــود بـــوزوزو

من مواليد مدينة بجاية حيث زاول تعليمه الابتدائي والثانوي .

وكان والده يتمنى أن يكون ولده قاضيا مثل جده ،أرسله إلى مدينة قسنطينة حيث انكب على الدراسة في المدرسة الرسمية .

وتعرف هناك على الإمام ابن باديس وكان يتابع جلّ الأمسيات ،حلقات دروسه بالجامع الأخضر للاستزادة والاستفادة موازاة مع دراسته الرسمية .

أتم الدراسة بقسنطينة وانتقل إلى "المدرسة العليا" بالعاصمة وأتم بها هي أيضا الدراسة نال إثرها الشهادة العليا .

دخل معترك الحياة ،ولاحظ المستوى الأدنى للطبقات الشعبية من حيث التعليم فطرح جانبا رغبة والده في أن يكون قاضيا رغم توفره على الإمكانيات العلمية التي تسمح له بذلك ،ونذر نفسه للتعليم والتدريس .فسعى إلى فتح مدارس حرة وجلب أساتذة أحرار ،وفتح نوادي للشباب والكهول ونظم أفواجا للكشافة .كل هذا إضافة إلى تخصيصه ساعات خارج التدريس الرسمي لتعليم اليتامى ،والحمالين وماسحي الأحذية ،والعمال .أدى هذا العمل الاجتماعي المحض إلى إصدار أمر بنقله إلى قرية"أفلو" التي كانت منفى السياسيين المغضوب عليهم .

بدأ محمود بوزوزو مشواره الصحفي كمصحح ثم كمحرر في جريدة "البصائر" .ثم تم تعيينه كمرشد عام للكشافة الإسلامية الجزائرية في عهدها النضالي الذهبي ،ثم تمت تزكيته كرئيس لهيئاتها العليا .واستلزم ذلك التنقل المستمر قصد تكوين الأفواج عبر الوطن ،التخلي عن الميدان الصحفي .

في عام 1950 عاد إلى المجال الصحفي بنشر جريدة وطنية تحمل اسم "المنار"رفعت راية كفاح شعوب المغرب العربي بشجاعة واقتدار ،وقد تم إصدارها بإيعازمن بعض مسؤولي حركة انتصار الحريات الديمقراطية التي تمثل التيار السياسي الصارم في التعامل مع النظام الاستعماري . وثبت الأستاذ محمود بوزوزو على آرائه التي طعن فيها ممولو الجريدة ، فانقطع المدد وخف الحجم ، وورثت الجريدة وصاحبها ديونا للمطبعة ، ثم انفجرت الثورة ، فكان السجن والتعذيب والإبعاد من نصيبه .

لم يتسع صدر إخوة الأمس للمناضل الحر ، والرجل المكابد محمود بوزوزو بحيث وجد نفسه بين الاستعمار من جهة وبين عدد من إخوانه المتشددين الذين يدينونه لانتهاجه سبيلا لم يوافقوه عليه ، فلم يجد بدا – للوذ بالسلامة – إلا اللجوء إلى المغرب الشقيق في مرحلة أولى ، ثم إلى جنيف بسويسرا حيث ما يزال يقيم .

لقد التزم الأخ محمود بوزوزو الصمت طوال عشرات السنين . فلم يدل بأي تعليق أو تصريح من هناك حول التطورات التي يعرفها الوطن ، فقد فضل الحياة الروحية دون أن ينسى وطنه الذي ما تزال فيه عائلته وكذا أصدقاءه القدامى الذين يذكرونه بكل خير ، واثقين من وطنيته التي لا تشوبها شائبة .

ولن نختم هذه السيرة الذاتية المختزلة دون أن نذكر بأن الشيخ بوزوزو قد نظم عددا من الأناشيد الوطنية في الأربعينات أشهرها :

دُمْتِ يَا بَيْضَاءُ مَا دَامَ الزَّمَنُ وَطَنًا لِلْخُلْدِ وَ مَجْدًا لِلْوَطَنِ (1)

(1) بتشيشي، الأمين: أناشيد للوطن، الطبعة الأولى، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر و الإشهار،الجزائر ، 1998م. ص ص 49، 50.

الر بـــــيع بـــوشامـــه

(1916-1959)

ولد الشاعر الربيع بوشامة في شهر ديسمبر من عام 1926 في بلدة(قنزات) ببني يعلى . وفيها تعلم القرآن حفظا وقراءة ولم يتجاوز عمره الثانية عشرة وأتم دراسته الابتدائية بالعربية والفرنسية وقد تتلمذ على يد عدد من المربين في مقدمتهم الشيخ سعيد صالحي .انتقل سنة 1937 إلى مدينة قسنطينة لينضم إلى تلامذة إمام النهضة الوطنية الشيخ عبد الحميد بن باديس . بعد أن تزود بما يكفيه وتثقف بما يغنيه خرج إلى ميدان العمل ، فبدأ يعلم في المدارس الحرة التي تشرف عليها جمعية العلماء كمدرسة "الهداية" بحي العناصر بالعاصمة .في نفس العام 1937 أسس ناديا للشباب في قنزات. انتقل سنة 1939 إلى فرنسا لتعزيز الحركة الإصلاحية في باريس حيث توسعت حركة جمعية العلماء فامتدت إلى فرنسا لتثقيف وتوعية عمالنا المهاجرين في أرض الغربة .

رجع من فرنسا بعد إعلان الحرب العالمية الثانية واستقر في الحراش ليدير مدرسة "الثبات" مدة طويلة يعلم التلامذة إناثا وذكورا ويشتغل بالوعظ والإرشاد للشباب والكهول ، والتوعية والتوجيه في صفوف الكشافة الإسلامية الجزائرية . كما تزوج في هذه الفترة وأنجب ثلاث بنات وولدا .

ألقي عليه القبض في مترله يومين فقط بعد حوادث8 ماي بسطيف وخراطة ، خرج الشاعر من السجن في أواخر شهر فبراير 1946 في حالة مرض وعياء شديد . وبعد شهور التحق بالعاصمة

في مدرسة الثبات تم اتصاله بثورة التحرير خاصة وأنه سبق له أن عمل مع القائد عميروش في فرنسا يوم أن كان هذا رئيسا لشعبة جمعية العلماء بباريس ، والشاعر من المعلمين المرشدين التابعين لها .في أواخر سنة 1958 ألقي عليه القبض وهو يؤدي عمله كمدير لمدرسة **الثبات** بالحراش ، وبقي في مراكز الاستنطاق والتعذيب إلى أن استشهد ما بين مارس وماي 1959 رحمه الله .

لم يبق مما نظمه الشهيد الربيع بوشامة الكثير ، فقد أخذت القوات الاستعمارية جل أوراقه باعتبارها شهادات إثبات ضده ، وأتلفتها ، وقد تم تفتيش بيته مرات عديدة . ثم إن ما تم استخلاصه من ذاكرة أفراد الأسرة هو أن الربيع بوشامة كان في فترة شبابه الأولى قد نظم الكثير من الأناشيد ويقوم هو بنفسه بوضع الألحان لها وتلقينها للأطفال .

له ديوان حققه د. جمال قنان ونشره المتحف الوطني للمجاهد عام 1994 . (1)

---

(1) بتشيشي، الأمين:أناشيد للوطن ،مرجع سابق. ص 116.

مـــالك حـــداد

ولد في جويلية 1928 بقسنطينة ،أحرز على شهادة الدراسة الثانوية فرع الفلسفة والآداب حصل على شهادة أهلية التعليم الإبتدائي ، أقام خلال الثورة بسويسرا ، حيث كان يكتب قصصه ، ويحرر منشورات جبهة التحرير الوطني .

مثل الجبهة في مؤتمر الكتاب الأفارقة الآسيويين بمدينة طوكيو ، وألقى محاضرات في الهند مصر لبنان ، روسيا ، الصين ... وبعد الاستقلال اشتغل في الكتابة العامة بوزارة الخارجية ، وعمل عضوا في لجنة التوجيه الثقافي في المكتب السياسي ، وهو عضو في الاتحاد الوطني للكتاب الجزائريين ، مؤلفاته :

-الشعر : الشقاء في خطر (1956) . استمع لندائي .

-الرواية: الانطباع الأخير. سأهدي لك غزالا. التلميذ والدرس.رصيف لأزهار لايجيب . وجل هذه الأعمال مترجمة إلى العربية .

مجموعة مقالات . توفي في 20 جوان 1978 . ودفن في مقبرة العالية .(1)

---

(1) ينظر، بوزواوي، محمد:قاموس الأدباء و العلماء المعاصرين ،مرجع سابق. ص ص 108، 109.

محمد العيد آل خليفـــة

(1904 – 1979)

محمد العيد حم عليّ آل خليفة من مواليد عين البيضاء في 28 أوت 1904 "الجزائر"وفيها تلقى تعليمه الابتدائي ،وانتقل إلى بسكرة 1918 حتى سنة 1921 حيث غادر بسكرة متوجهاً إلى تونس حيث درس بجامع الزيتونة سنتين عاد بعدهما إلى بسكرة ليشارك في النهضة العلمية ،والصحافية ،فشارك بقلمه في (الإصلاح) ،و(صدى الصحراء)و(الشهاب) وفي 1927 انتقل إلى العاصمة معلماً بمدرسة الشبيبة ،وتخرج على يده العديد من شعراء الجزائر ،وغادر العاصمة في 1940 متنقلاً بين باتنة وعين مليلة معلماً ،وبعد اندلاع الثورة أُلقي عليه القبض وفُرضت عليه الإقامة الجبرية ببسكرة حتى الاستقلال ،وقد عاش في بسكرة في عزلة صوفية ،انقطع فيها إلى نفسه وأصبح قليل الإنتاج ،وقد توفي في مستشفى باتنة ،ودفن في مسقط رأسه .

يُعدُّ محمد العيد آل خليفة رائداً من رواد الشعر الحديث ،ولسان الحركة الإصلاحية الباديسية له إنتاج شعري غزير ،وهو شاعر مستكمل الأدوات الشعرية خصيب الذهن رحب الخيال مشرق الديباجة متين التركيب فحل الأسلوب فخم الألفاظ محكم النسج فقيه محقق في مفردات اللغة بارع الصنعة في المحسنات اللفظية...

من مؤلفاته : ديوان محمد العيد آل خليفة ./بلال بن رباح... (1)

---

(1) بوزواوي، محمد:قاموس الأدباء و العلماء المعاصرين ،مرجع سابق. ص ص 30، 31.

أبو بكر مصطفى بن رحمون
(1921-1984)

ولد أبـــو بكر مصطفى بن رحمـــون بقرية (ليانة) (زريبة الواد) دائرة (سيدي عقبة) بالزاب الشرقي، حفظ القرآن في قريته (ليانة) تعلم مبادئ اللغة العربية والفقه على يد الشيخ محمد الصغير المصمودي .

- سافر إلى قسنطينة سنة 1936 لينضم إلى تلامذة الشيخ عبد الحميد بن باديس في الجامع الأخضر طالبا مزيدا من التكوين الديني واللغوي .

- التحق بمدينة وهران سنة 1940 ملبيا دعوة قريبه وابن بلدته الصحفي اللامع محمد السعيد الزاهري ليشتغل معه في جريدة (الوفاق) فكان يكتب بها المقالات السياسية الأدبية دفاعا عن الجزائر العربية المسلمة مدة عام . ثم رجع إلى مدينة بسكرة سنة 1941 حيث أخذ في تعليم أبناء قرية (فلياش) القرآن الكريم وقواعد اللغة العربية والفقه الإسلامي إلى ان اندلعت ثورة 1954 المجيدة فانتقل إلى قرية (عين زعطوط) بدائرة (عين التوتة) بالأوراس يمارس مهنة التعليم في مدرسة شعبية حرة .

- كما التحق سنة 1944 بالعاصمة مدعما صفوف مدرسة الشبيبة حيث قام بتدريس علم العروض وكان من تلامذته الشاعر الراحل محمد بوزيد ، كما نشر عدة قصائد في جريدة الإصلاح .

رجع إلى مدينة بسكرة بعد الاستقلال وقد ظهر عليه سلوك التصوف بشكل مسرف ،وقد نشرت للشاعر معظم قصائد ديوانه في المجلات العربية كمجلة (الأزهر) المصرية
و (الثريا) التونسية و (الأديب) اللبنانية .

- عاش هذا الشاعر آخر عمره ببسكرة في ظروف نفسية ومادية قاسية جدا .توفي يوم الثلاثاء 4 شوال 1404هـــ الموافق ل1984/07/03 بمستشفى الحكيم سعدان ببسكرة ودفن بمقبرة العزيلات بنفس المدينة .

- نشرت الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ديوانه ضمن سلسلة (شعراء الجزائر) بدون أي تعريف ولا حتى اسم كامل ، فكأن كل شيء تحالف ضد هذا الشاعر الذي عاش آخر أيامه في حالة "دروشة" بكل معاني هذه الكلمة من بؤس وتشرد وشقاء.(1)

---

(1) بتشيشي ، الأمين:أناشيد للوطن ،مرجع سابق. ص 138.

محمـــــد بـــن رقطـــان

ولد محمد بن لخضر بن رقطان عند مطلع الفجر من يوم 3 فيفري 1948 من أبوين كريمين ورث عنهما أجمل التقاليد وأنبل القيم العريقة في الشعب العربي الجزائري المسلم .

نشأ وترعرع بين أحضان ثورة نوفمبر الخالدة ،فظل ينتقل مع والديه المطاردين من قبل الاستعمار الفرنسي ،خلال حرب التحرير الكبرى .

عبر – جبال هوارة – (قالمة) وفي هذه الفترة ذاق أنواعا من البؤس والتشرد والحرمان ،فكانت طفولته البائسة صورة صادقة لطفولة أجيال من أبناء هذا الشعب الصامد الأبي .

حفظ كتاب الله في الكتاتيب القرآنية لجبهة التحرير الوطني ،وأخذ مبادئ العربية على بعض الشيوخ ،ثم عكف على المطالعة والدراسة والبحث بمجهود عصامي متواضع.

عرفه حقل التعليم منذ سنة 1966 كمعلم ،ثم كأستاذ ،ثم كمفتش للتعليم العربي الابتدائي ،وإلى جانب ذلك اضطلع منذ سنة 1969 بعدة مهام سياسية في حزب جبهة التحرير الوطني على مستوى قاعدته النضالية ،كعضو داخل اللجان العلمية ،كمنسق قسمة من 1975 إلى أن انتخب عضوا بلجنة محافظة الحزب – بقالمة - .

صدرت له مجموعة شعرية عن وزارة الاعلام والثقافة سنة 1977 تحت عنوان (ألحان من بلادي) ،1977 .

من مؤلفاتـــه : الأضواء الخالدة (شعر) 1980 . أغنية للوطن في زمن الفجيعة (شعر) 2003 . زفرات البوح (شعر) 2005 .

هذه أمتي (مخطوط) .أعلام ومشاهير قالمة عبر التاريخ (مخطوط) .البعد الوطني والقومي في شعر بلقاسم خمار (مخطوط) . (1)

---

(1) ينظر ، بن رقطان، محمد: الأضواء الخالدة« شعر»، الطبعة الأولى ،مطبعة البعث ، قسنطينة ، الجزائر ،1980/10م. الصفحة الأخيرة من الغلاف.

و ينظر بن رقطان ،محمد: أغنية للوطن في زمن الفجيعة« شعر»، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين،الجزائر ،2004م. ص 106.

محمـــــــد الأخضـــر السائحـــــي

(2005 – 1918)

ولد في أكتوبر 1918 بقرية العلية دائرة توقرت ولاية ورقلة ، حفظ القرآن على عدة مشايخ أشهرهم الشيخ محمد بن الزاوي والشيخ بن قاسم شتحونه وأجيز على حفظه سنة 1930 ، وأخذ يعلمه للصبيان في قريته مدة سنتين ونصف .التحق بمدرسة (الحياة) في مدينة القرارة سنة 1933 حيث تتلمذ على الشيخ بيوض مدة سنتين .

توجه إلى تونس سنة 1935 ليلتحق بجامع الزيتونة إلى سنة 1939 إذ رجع إلى توقرت مطاردا من السلطة الفرنسية فزج به في السجن .حاول أثناء الحرب العلمية الثانية الخروج من المنطقة ولكن السلطة الفرنسية أرجعته من مدينة ورقلة مع الأستاذ علي مرحوم وأجبرته على البقاء هنالك ،فسعى مع جماعة من شباب مدينة توقرت لتأسيس (جمعية الأمل)تحت ستار التمثيل ، وتأسيس فوج كشافة ثم تأسيس مدرسة (الفلاح) ،كما أسس مدرسة (النجاح) بقرية (تماسين) .

شق طريقه إلى العاصمة سنة 1952 فعمل منتجا بالإذاعة وأستاذا في ثانوية القبة (حسيبة بن بوعلي حاليا) ،ومدرسا بمدرسة (السعادة)بحي بلكور ،ثم انقطع للإنتاج الإذاعي إلى أن جاء الاستقلال فجمع من جديد بين التعليم والإذاعة حتى تقاعد في نوفمبر 1980.

نشر شعره في كثير من الجرائد والمجلات التونسية والجزائرية ، له مجموعتان مطبوعتان: (همسات وصرخات)،دار المطبوعات الجزائرية 1967.(جمر ورماد) الدار العربية للكتاب تونس 1980.(ألوان بلا تلوين)مجموعة من النكات والطرائف التي أصبح فيها مؤسس مدرسة في الفكاهة بالجزائر ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1976.عضو اتحاد الكتاب الجزائريين منذ إعادة تأسيسه سنة 1974 ويشغل منصب الأمين العام المساعد للاتحاد في الهيئة الثالثة مارس 1981.(1)

---

(1) ضمن كتاب :نماذج من الشعر الجزائري (شعر ماقبل الاستقلال)، الجزء الأول، (سلسلة أدبية تصدرها مجلة آمال) ،وزارة الثقافة ،الجزائر ،دون تاريخ.ص ص 121،122

محمـــد الأخضر عبد القادر السائحـــي

(-1933)

من مواليد 1-10-1933 بتوقرت بالواحات في الصحراء الجزائرية من أسرة اشتهرت بالشعر التحق بجامع الزيتونة بتونس من السنة الدراسية 1949-1950حتى نال شهادة التحصيل (الثانوية العامة) في سنة 1956 ، شارك في الثورة الجزائرية في إطار الاتحاد العام للعمال الجزائريين والاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين وفي نطاق جبهة التحرير الوطني في الجمهورية التونسية وفي ليبيا.

بدأ محاولاته الأدبية في الصحافة التونسية منذ 1953، انتسب إلى العمل الإذاعي منذ سنة 1959 وله مجموعة من التمثيليات التاريخية والأدبية والاجتماعية ومجموعة قصص قصيرة أعد أغلبها للإذاعة وبعضها مثل على خشبة المسرح في الجزائر وقسنطينة وتيزي وزو .

بعد الاستقلال أتم دراسته العالية في كلية الآداب بجامعة الجزائر حيث نال شهادة الليسانس في عام 1969 ، ويواصل دراسة في موضوع (الأمثال الشعبية في الجزائر).

عمل منذ استقلال الجزائر في إطار وزارة الشباب والرياضة كمكون لإطارات الشباب ، ثم انتدب إلى اتحاد الكتاب الجزائريين ،وهو الآن إطار في وزارة الإعلام والثقافة .

أشرف بين سنتي 1970-1978على ندوة أسبوعية بقاعة (الموقار) بعاصمة الجزائر (أمسيات شعرية وقصصية ومحاضرات).

مؤلفاته:- (مأساة الإنسانية في الجزائر) تحليل تعريفي بحركة النضال الجزائري قبل الثورة المسلحة ،طبع مكتبة النجاح ،تونس 1957.

- (ألوان من الجزائر) أول مجموعة شعرية ،طبع الشركة الجزائرية مرازقة وبوداود،1968.
- (ألحان من قلبي) طبع الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر 1971.
- (الكهوف المضيئة) طبع الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1971 .
- (واحة الهوى) طبع الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1972 .
- (أغنيات أوراسية) طبع الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1979 .
- (بكاء بلا دموع) طبع الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1980 .(1)

---

(1) ضمن كتاب :نماذج من الشعر الجزائري المعاصر (شعر ما قبل الاستقلال) ، الجزء الأول،المرجع السابق .ص ص229،230.

محمـــــد الشبوكـــــــي

- هو محمد بن عبد الله الشبايكي المدعو الشبوكي من أسرة آل الشبوكي الحميدية من قبيلة اللمامشة .

- ولد سنة 1916 بمنطقة (ثليجان) التابعة لدائرة الشريعة (ولاية تبسة) .

- تتلمذ لوالده بادئ ذي بدء ،فحفظ جزءا من القرآن الكريم ،ثم التحق بكتاب الأسرة فحفظ القرآن كله وعددا من المتون العلمية المتنوعة ومجموعة من أشعار العرب القديمة .

- وفي أوائل الثثينيات انتقل إلى واحة (نفطة) بالجنوب التونسي لتلقي المبادئ العلمية عن الشيوخ :الشيخ محمد بن أحمد ،الشيخ إبراهيم الحداد ،الشيخ محمد العروسي العبادي ،الشيخ التابعي بن الوادي رحمهم الله جميعا ،وجزاهم عن بث العلم والمعرفة أحسن الجزاء .

- وفي سنة 1934 تحول إلى تونس العاصمة لمواصلة الدراسة بجامعة الزيتونة إلى أن أحرز شهادة (التحصيل) سنة 1942 .

- رجع إلى الوطن وانخرط في سلك التعليم في المدارس الحرة تحت إشراف جمعية العلمـــاء المسلمين الجزائريـــن في كل من مدرسة تهذيب البنين والبنات (بمدينة باتنة) .وفي الوقت نفسه كان مشاركا في النضال السياسي الوطني وعضوا عاملا في حركة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ثم عضوا في مجلسها الإداري في فترتها الأخيرة ثم عضوا في مرحلتها الحالية .

- وفي شهر فيفري 1956 ألقت عليه السلطة الفرنسية القبض بسبب نشاطه الثوري وقذفت به في المعتقلات التي بقي فيها مدة ست سنوات حيث أطلق سراحه يوم 13 مارس 1962 .

- بعد خروجه من المعتقلات عاد إلى مهنة التعليم كأستاذ ثانوي ،وواصل نضاله في صفوف جبهة التحرير الوطني وشارك في المجالس التالية :

- المجلس الإسلامي الأعلى ،عضوا .
- المجلس الشعبي البلدي لبلدية الشريعة، رئيسا .
- المجلس الشعبي الولائي لولاية تبسة ،عضوا ثم رئيسا .
- وأخيرا نائبا بالمجلس الشعبي الوطني في فترته الثالثة .

توفي في جوان 2005 .له ديوان شعر (1995) . (1)

---

(1) الشبوكي، محمد:الديوان منشورات المتحف الوطني للمجاهد،الجزائر ،1995م. الصفحة الأخيرة من الغلاف.

مفـــدي زكريـــا آل الشّيـــــخ

(1977 – 1908)

ولد مفدي زكريا بن سليمان آل الشيخ ببني يزقن من قرى ميزاب ،تلقى تعليمه الابتدائي بها ثم سافر إلى عنابة ،فتونس حيث درس بمدارسها اللغة العربية والفرنسية مستكملا دراسته بجامع الزيتونة وفي 1926 عاد إلى الجزائر ليشارك في النهضة العلمية بقلمه شعرا ونثراً ،وشارك في الحياة الوطنية مناضلاً ملتزماً في صفوف جمعية طلبة شمال إفريقيا ،وانخرط في حزب نجمة إفريقيا الشمالية ،وأصبح أميناً لحزب الشعب في سنة 1937 ،ورئيسا لتحرير صحيفته (الشعب) ،وبعد اندلاع الثورة التحق بصفوف جبهة التحرير ،وقد دخل السجن مرات عديدة ما بين 1937 و1959 ،وهو صاحب النشيد الوطني الجزائري ،واصل كتابة الشعر بعد الاستقلال ،وتنقل طويلا بين الجزائر والمغرب وتونس ،وقد توفاه الله في 16 /08 /1977 بتونس ودفن بمسقط رأسه .

للشاعر إنتاج شعري ونثري ضخم وشعره لا يزال متناثراً في الصحف والمجلات وقد كان يكتب باسم (ابن تومرت) كما لقب بشاعر الثورة ،وأحسن شعره هو ما عالج فيه القضايا الوطنية ،إذ يتميز بصدق التعبير وجزالة اللفظ ،وجمال التصوير ،وهو ليس كذلك في شعر المدح .

وقد اتصف شعره على العموم بصدق التعبير ،وبواقعية واضحة وتعبئة ثورية في اللفظ والمعنى فكأن كل كلمة من هذا الشعر شواظ من نار ،ومن ناحية الأسلوب ،فشعره محافظ على عمود الشعر العربي القديم ،وهو ذو تقطيع موسيقي صاخب ورنين عذب مؤثر تجمع ألفاظه بين الجزالة والرقة وحلاوة الجرس ،وتشيع الروح الخطابية في ثنايا شعره ،وعنفوان الحماسة المتأججة في تراكيبه مع آثار من ثقافته الدينية...

من مؤلفاتـــه : اللهب المقدس ./تحت ظلال الزيتون ./من وحي الأطلس./ إلياذة الجزائر...[1]

---

(1) بوزواوي، محمد:قاموس الأدباء والعلماء المعاصرين ، مرجع سابق. ص ص 27، 28.

عبد الكريـــــــم العــقـــــــون

(1959 – 1918)

ولد الشاعر الشهيد عبد الكريم العــقون في برج الغدير ،وفيها زوال تعلمه الابتدائي ثم انتقل ليدرس على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس ما بين 1933 و1936 وبعدها إلى جامع الزيتونة حيث تخرج قبيل الحرب العالمية الثانية ،عاد إلى الجزائر ليعمل في حقل التعليم مدة 15 سنة ،وناضل في صفوف جبهة التحرير بعد اندلاع الثورة التحريرية ولجرأته في التدريس في مسجد المرادية (العاصمة) ولأعماله النضالية السرية ألقت القوات الفرنسية عليه القبض ،وعذبته عذابا نكرا ،ثم قتلته برفقة الشاعر الربيع بوشامة في ماي 1959 بالدويرة .رحمهما الله .

من مؤلفاتـــه :يتميز شعر العقون بوجدانية متدفقة ،وهو ينحو فيه منحى إصلاحيا وشعره متناثر في الجرائد الوطنية ،ولا سيما جريدة البصائر السلسلة الثانية . (1)

---

(1)بوزواوي، محمد: قاموس الأدباء والعلماء المعاصرين المرجع السابق. ص 220.

بـــــاعزيز بـــــن عمـــــر

الأستاذ باعزيز بن عمر من مواليد العقد الأول من هذا القرن ،تعلم في زوايا زواوه ذات الطابع الإسلامي الصميم ،ثم انتقل إلى قسنطينة مهد النهضة الجزائرية الحديثة فغرف من معين الجامع الأخضر على العلامة الإمام بن باديس ،وهنالك تم تكوينه العربي الإسلامي ،واكتفى به عن غيره من المعاهد وتخرج منه حوالي عام 1931م ،وانقطع لخدمة الحركة الإصلاحية بالتعليم في مدارسها الحرة والكتابة في صحفها وخاصة (الشهاب) و(البصائر) من ذلك العهد ،وله فيها جولات موفقة في مختلف المواضيع وعلى الخصوص الشؤون الاجتماعية ،بأسلوب محكم رصين ،وتفكير حر أمين .

وما أن استقلت الجزائر حتى عيّن في ديوان وزارة الأوقاف ،ثم انتقل إلى المصالح التربوية بوزارة التربية الوطنية ،له كتاب :

الأخلاق والتربية الوطنية .توفي عام 1977 (1)

---

(1)ضمن كتاب : رمضان، محمد الصالح /شاهين، محمد توفيق:النصوص الأدبية ،الجزء الثالث،الطبعة الأولى ، دار مكتبة الشركة الجزائرية للتأليف والترجمة والطباعة والتوزيع والنشر،الجزائر،1388هـ/1968م. ص ص 142، 143.

مـــــــولود مجـــــــــدوب

من مواليد 1963م بقسنطينة وفيها قضى طفولته وجزءا من شبابه بدأ تعلمه بحفظ جزء من القرآن الكريم .

ثم التحق بابتدائية (طه حسين) المنظر الجميل لينتقل إلى متوسطة (عبد المؤمن) حي 20 أوت زاول دراسته الثانوية في ثانوية ابن باديس في سنة 1982م حصل عل شهادة البكالوريا ليلتحق بمعهد الآداب واللغة العربية بجامعة قسنطينة ،تخرج منها في جانفي 1987 .

هو الآن يعمل أستاذا بثانوية الشهيد البشير قصاب بالعلمة - سطيف - له إسهامات أدبية خص بها جريدة البلاد الغراء .

كما أن له ديوانا شعريا مخطوطا .(زغاريد على تلال الأقصى.) .

يميل في كتاباته الشعرية إلى القضايا الوطنية والسياسية .(1)

---

(1) بقلم الشاعر،سلمت لي يوم السبت 2006/05/20.

أحمـــــد الطيـــــب معـــــاش

- من مواليد 20 أكتوبر 1926 بقرية سريانة (الأثلاث) من ولاية باتنة .

- زاول التعليم الابتدائي بسريانة والمتوسط والثانوي في باتنة ثم بقسنطينة وتونس

- لم تمهله حرب التحرير المقدسة ،لإكمال تعليمه العالي فانقطع عنه ليلتحق بصفوف جيش التحرير الوطني في أوائل سنة 1955 بالمنطقة الأولى من الولاية الأولى (الأوراس) .

- وفي سنة 1958 كلف بمهمة وطنية للتنقل في أغلب الأقطار العربية الشقيقة ،على رأس وفد رياضي وثقافي من شباب جيش التحرير وقد دامت مهمته عدة أشهر .

- على إثرها عين في مكتب جبهة التحرير في سورية – دمشق – لتمثيل الثورة المظفرة في الخارج إلى غاية الاستقلال .

- وفي أوائل سنة 1963 عين سفيرا للجمهورية الجزائرية في ليبيا حيث مكث سبع سنوات متوالية.

- قام بمهمات عديدة ضمن وفود جزائرية في عدة أقطار عربية .

- بدأ الكتابة ونظم الشعر في سنة 1950 ونشر بعض إنتاجه في الصحف الجزائرية خصوصا (البصائر) وبعض مطبوعات المغرب العربي .. أما في السنوات الأخيرة فقد نشر في بعض المجلات والجرائد العربية التي تصدر في بعض العواصم الأوروبية .

تحصل على جائزة محمد بوضياف في الشعر في 1992 .

من مؤلفاتـــه : مع الشهداء/ التراويح وأغاني الخيام (شعر)/ الو طن المقدس وقوافل الشهداء. وقفات على باب نوفمبر/ شموع لا تريد الانطفاء / ورد وشوك.(1)

---

(1) معاش، أحمد الطيب: التراويح وأغاني الخيام،مصدر سابق. صفحة الغلاف.

و ينظر، محمد، بوزواوي: قاموس الأدباء والعلماء المعاصرين،مرجع سابق. ص 311، 312.

المـــولـــود مهـــري

من مواليد واد الزناتي ولاية قالمة عام 1908 .والده الشاعر عمار مهري إمام المسجد العتيق (مسجد عمار مهري حاليا) بوادي الزناتي ،رعاه والده بالتربية والتعليم كما كانت عصاميته من عوامل نبوغه .

كان على اتصال وثيق بالمرحوم العلامة الشيخ الطاهر بن عاشور شيخ جامع الزيتونة بتونس الذي قدر مواهبه العلمية ،وأجازه في علوم الشريعة واللغة كما أجازه العلامة المرحوم الشيخ العربي التباني الجزائري ،المدرس بالمسجد الحرام بمكة المكرمة في الحديث النبوي الشريف .

ورث إمامة المسجد العتيق عن والده (1933 – 1973م).

ساهم عام 1938 في تأسيس مدرسة التهذيب ،وفي 1941م ساهم في إنشاء جمعية تحفيظ القرآن في وادي الزناتي رفقة صهره وصفيه وزميل الدراسة الشاعر عبد الرحمن بن العقون .

من منظمي تظاهرة 8 ماي 1945م بوادي الزناتي ،وعضو اللجنة التابعة لحزب الشعب الجزائري بالمنطقة .

كان ينشر بعض كتاباته في جريدة الفاروق باسم مستعار هو محمد (الحسيني) قدم لديوان الشاعر عبد الرحمن العقون (أطوار) .

من آثـــاره :

- رسالة في أحكام الحج والعمرة.
- تقريرات وملاحظات على مدونات أحوال الشخصية الجزائرية.
- تعليقات حول ملف الأسرة .
- مجموعة مقالات في الدين والاجتماع والسياسة .
- له محاضرة حول الثامن ماي كتبها عام 1984م إلى جانب قصيدة في الموضوع . (1)

---

(1) ينظر، رحاب، محمد الصالح:رجال ومواقف ، مصدر سابق .

قائمـــة المصـــادر والمراجـــع .

القرآن الكريم (رواية حفص).

أولا : المـــصـــادر .

- كتـــــب ودواوين:

1- الإبراهيمي،محمد البشير : عيون البصائر ،ج2،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر (د،ت) .

2- بوشامة الربيع : الديوان،جمعه وقدم له الدكتور جمال قنان ،منشورات المتحف الوطني للمجاهد ،الجزائر،1994م.

3- حداد ،مالك :الشقاء في خطر"شعر"،ترجمة يخلف عبد السلام،ط1،منشورات الاختلاف ،الجزائر،2005م.

4- خليفة ،محمد العيد محمد علي : الديوان،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،(د،ت).

5- رحاب،محمد الصالح : رجال ومواقف،شهادات حية يرويها فضيلة الإمام المولود مهري مكتبة رحاب،مطبعة م،ر،الجزائر،(د،ت).

6- ابن رحمون ،أبو بكر مصطفى : الديوان،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1980م.

7- بن رقطان،محمد : الأضواء الخالدة"شعر"،ط1،مطبعةالبعث،قسنطينة،الجزائر، 1980 م .

8- // :زفرات البوح"شعر"،منشورات فرع قالمة لاتحاد الكتاب الجزائريين مطبعة المعارف،عنابة،الجزائر،2005م.

9- السائحي،محمد الأخضر : همسات وصرخات"شعر"،ط2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر1981م.

10- السائحي ،محمد الأخضر : الكهوف المضيئة"شعر"،ط2،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر عبد القادر 1983م.

11- الشبوكي،محمد : الديوان،منشورات المتحف الوطني للمجاهد،الجزائر ،1995م.

12- الشيخ،مفدي زكريا :الإلياذة ،المعهد التربوي الوطني،الجزائر،(د،ت).

13- معاش ،أحمد الطيب : التراويح وأغاني الخيام"شعر" ،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986 م .

- جـــــرائد :

14- البـــصائـــر : ع79،9ماي1949م.
// : ع155، الإثنين 8شعبان1370هـــ/14ماي1951م.
// : ع230،الجمعة 9رمضان 1372هـــ/22ماي1953م.
15- الـــــشعلـــة : ع22، 24رجب1369هـــ/11ماي1950م.
16- الـــمجـــاهد : ع716، 13ربيع الثاني1394هـــ/5ماي 1974م.
17- الـــمـــنـــار : ع3، السنة الأولى، الجمعة 27رجب1370هـــ/4ماي1951م.
// : ع3،السنة الثانية ، الجمعة 13شعبان1371هـــ/9ماي1952م.
// : ع4،السنة الثانية ،الجمعة 27شعبان1371هـــ/23ماي1952م.
// : ع42،السنة الثالثة،الجمعة24شعبان1372هـــ/8ماي1953م.

ثـــانيا: الـــمـــراجـــع.

18- الإبراهيمي،محمد البشير:آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي،ج1،ط1،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1398هـــ/1978م.
19- أدونيس،علي أحمد سعيد : مقدمة الشعر العربي،ط3،دار العودة،بيروت،لبنان،1979م.
20- إسماعيل،عزالدين : الشعر في إطار العصر الثوري ،ط2،دار الحداثة،بيروت، لبنان 1985 م .
21- الأعشى : الديوان،دار صادر،بيروت،لبنان،1966م.
22- أمين،أحمد :النقد الأدبي،ط4 ،دار الكتاب العربي ،بيروت،لبنان 1387 هـــ/1967م.
23- أنيس،إبراهيم : موسيقى الشعر،ط3،مكتبة الأنجلوالمصرية،القاهرة،مصر،1965م.
24- بتشيشي،الأمين : أناشيد للوطن،ط1،طبع المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار الجزائر،1998م.
25- البحتري :الديوان،المجلد الأول،دار صادر،بيروت لبنان،(د،ت).
26- البخاري : صحيح البخاري"كتاب الأدب"ج5،ط3،دارابن كثير،بيروت، لبنان 1407هـــ/1987م.
27- بوزواوي،محمد : قاموس الأدباء والعلماء المعاصرين ،دار مدني للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر،2003م.

28- أبو تمام : الديوان،شرح الخطيب التبريزي،تحقيق محمد عبده عزام ،المجلد الأول دار المعارف،مصر،(د،ت).

29- الجارم ،علي/ أمين،مصطفى : البلاغة الواضحة مع دليلها،ديوان المطبوعات الجامعية،وهران،الجزائر (د،ت).

30- جميل،بثينة : الديوان،جمعه وحققه وشرحه إميل بديع يعقوب ،دار الكتاب العربي بيروت ،لبنان،1425هـ/2004م.

31- حسين،طه :خصام ونقد،ط11،دار العلم للملايين،بيروت،لبنان،مارس1982م.

32-حمادي،عبد الله : أصوات من الأدب الجزائري الحديث ،دار البعث ،قسنطينة ،الجزائر 2001 م.

33- خرفي،صالح : الشعر الجزائري ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،(د،ت).

34- // : شعر المقاومة الجزائرية ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر (د،ت).

35- // : المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر ،1983 م .

36- الخنساء : الديوان ،دار صادر/دار بيروت للطباعة و النشر،بيروت ،لبنان 1383 هـ / 1963 م .

37- خير الدين ،محمد : مذكرات ،ج 2 ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،(د،ت).

38-درار ،أنيسة بركات :أدب النضال في الجزائر سنة 1945 حتى الاستقلال ،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ،1984 م .

39- الدقاق ،عمر : ملامح الشعر الأندلسي ،دار الشرق العربي ،بيروت ،لبنان ،(د،ت).

40- رخيلة ،عامر : 8 ماي 1945 المنعطف الحاسم في مسار الحركة الوطنية ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1995 م .

41- ركيبي ،عبد الله : تطور النثر الجزائري الحديث ،ط2 ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر 1983 م .

42- ركيبي ،عبد الله : الشعر الديني الجزائري الحديث ،ط1،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر،1401 هـ/1981 م.

43- // :الشعر في زمن الحرية ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،1994 م .

44- // :قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر ،ط3 ،الدار العربية للكتاب ليبيا /تونس ،1397 هـ/ 1977 م .
45- // :الهوية بين الثقافة و الديمقراطية ،دار هومه للطباعة و النشر و التوزيع الجزائر،(د،ت).
46- الرمادي ،جمال الدين :خليل مطران شاعر الأقطار العربية ،دار المعارف ،مصر ،(د،ت).
47-رماني ،إبراهيم : أوراق في النقد الأدبي ،ط1 ،دار الشهاب ،باتنة ،الجزائر ،1985 م .
48- // :الغموض في الشعر العربي الحديث ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر 1991 م .
49- رمضان ،محمد الصالح : النصوص الأدبية ،ج 3 ،ج4 ،ط1 ،دار مكتبة الشركة الجزائرية شاهين ،توفيق محمد للتأليف و الترجمة و الطباعة و التوزيع و النشر ،الجزائر 1388 هـ/1968 م .
50-الزاهري ،محمد الهادي : شعراء الجزائر في العصر الحاضر،ج1،ط1 ،المطبعة التونسية ،تونس 1344 هـ/ 1926م .
51- سحنون ،أحمد :الديوان ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ،(د،ت).
52-سعد الله ،أبو القاسم : الحركة الوطنية الجزائرية 1930 – 1945،ج 3 ،ط4 ،دار الغرب الإسلامي ،1992 م .
53- // : دراسات في الأدب الجزائري الحديث ،ط 3 ،الدار التونسية للنشر تونس /المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،1985 م .
54- // : محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث،ط 2 دار المعارف ،مصر ،(د،ت).
55- سليم،محمود رزق : صفي الدين الحلي ،ط2 ،دار المعارف ، مصر، 1971 م.
56- الشابي ، أبو القاسم : أغاني الحياة " شعرّ ،ط1 ،دار صادر ،بيروت ، لبنان ،1999 م.
57-شراد ،شلتاغ عبود :حركة الشعر الحر في الجزائر ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر 1985 م .
58- شوقي ،أحمد : الشوقيات ،ج2 ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،لبنان ،(د،ت).
59-الشيخ صالح ،يحي :شعر الثورة عند مفدي زكريا ،دار البعث ،قسنطينة ،الجزائر 1407 هـ/ 1987 م .

60- الشيخ ،مفدي زكريا : اللهب المقدس "شعر" ،ط1 ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر ،1983 م .

61-صاري ، أحمد :شخصيات و قضايا من تاريخ الجزائر المعاصر ،المطبعة العربية غرداية ،الجزائر ،2004 م .

62-ضيف ،شوقي : في النقد الأدبي ،ط6 ،دار المعارف ،القاهرة ،مصر ،1981 م .

63- الطالبي ،عمار : ابن باديس حياته و آثاره ،ج3،ط2،دار الغرب الإسلامي ،بيروت لبنان ،1403 هـ/ 1983 م .

64-الطمار ،محمد :تاريخ الأدب الجزائري ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر 1981 م .

65- عباس ،إحسان : فن الشعر ،ط6 ،دار الثقافة ،بيروت ،لبنان ،1979 م .

66- عباس ،محمد : البشير الإبراهيمي أديبا ،ديوان المطبوعات الجامعية ،وهران ،الجزائر (د،ت).

67- أبو العتاهية : الديوان ،دار بيروت للطباعة و النشر ،بيروت ،لبنان 1400هـ/1980 م .

68- عتيق ،عبد العزيز :علم البيان ،دار النهضة العربية ،بيروت ،لبنان ،1974 م .

69- // : علم العروض و القافية ،دار النهضة العربية ،بيروت ،لبنان،(د،ت).

70- العقاد ،عباس محمود : يسألونك ،ط3 ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،لبنان ،1967 م .

71-ابن العقون ،عبد الرحمان :ديوان "أطوار"،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ،1980 م.

72- // :الكفاح القومي و السياسي من خلال مذكرات معاصر ،الفترة الثانية 1936 -1945 ، ج2 ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر 1984 م.

73-لبيب ،عبد الساتر :أحداث القرن العشرين ،ط4 ،دارالمشرق ،بيروت ،لبنان ،1973 م.

74- لوشن ،نور الهدى :مباحث في علم اللغة و مناهج البحث اللغوي ،المكتبة الجامعية الأزريطه ،الإسكندرية ،مصر ،2000م .

75-محرم ،أحمد : الديوان ،السياسيات من عام 1922 حتى عام 1945،جمعه و حققه و شرحه محمود أحمد محرم ،ج2 ،ط1 ،مكتبة الفلاح ،الكويت 1404 هـ/1984 م.

76- محمود ،زكي نجيب :مع الشعراء ،ط3 ،دار الشروق ،بيروت/القاهرة ،1402هـ/1982 م.

77- مرتاض ،عبد الملك : أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830-1962 ،ج1،ج2،مكتبة دار هومه ، الجزائر ،2003 م .
78- // : نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925-1945 ،ط2 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ،1983 م.
79-مصايف ،محمد :النثر الجزائري الحديث ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،1983 م .
80- المناوي ،عبد الرؤوف : فيض القدير،ج4 ،ط1 ،المكتبة التجارية الكبرى ،مصر،356 هـــ.
81- الميداني ،أبو الفضل : مجمع الأمثال ،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،ج1 ،دار القلم بيروت ،لبنان ،(د،ت).
82- ناصر ،محمد : رمضان حمود حياته آثاره ،ط2 ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر 1405 هـــ/1985 م .
83- // : الشعر الجزائري الحديث ،اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975 ط1 ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،لبنان ،1985 م.
84- // :المقالة الصحفية الجزائرية ،نشاتها ،تطورها ،أعلامها من 1903 إلى 1931 ،مج 1 ،مج2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر 1398 هـــ/1978 م .
85- هلال ،محمد غنيمي : النقد الأدبي الحديث ،ط1 ،دار العودة ،بيروت ،لبنان ،1982 م .
86- : كتاب الأناشيد الوطنية ،دار الآفاق ،الجزائر ،(د،ت).
87- : المنجد في اللغة والأعلام،ط 29 ،دار المشرق ،بيروت،لبنان،1987م.
88- : نماذج من الشعر الجزائري المعاصر (شعر ما قبل الاستقلال)،ج1 (سلسلة أدبية تصدرها مجلة آمال)،وزارة الثقافة ، الجزائر ،(د،ت).

- مراجع مترجمة :

89- عباس ،فرحات : ليل الاستعمار،نقله إلى العربية أبو بكر رحال،مطبعة فضالة ،المحمدية المغرب ،(د،ت) .
90- فان تيغيم ،فيليب :المذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا ،ترجمة فريد أنطونيوس ،ط3 منشورات عويدات ، بيروت /باريس ،1983م.

-مراجع باللغة الفرنسية :

91- Ained tabet ,Redouane :8Mai 1945le génocide,éditions ANEP,Rouiba, 2002

-رســـائل جـــامعية :

92- شرفي ، أحمد : الشعر الوطني الجزائري 1925-1945رسالة دكتوراه،معهد اللغة و الأدب العربي ،جامعة الجزائر ،1978-1979 م.

93- بن غلاب ، مبروك : الصورة الشعرية عند محمد العيد آل خليفة ،رسالة ماجستير،قسم قسم اللغة العربية وآدابها ،كلية الآداب ،جامعة القاهرة ،1988م.

- جرائد ومجلات :

94-مجلة الآداب : ع8 ،مجلة علمية متخصصة ومحكمة تصدر عن قسم اللغة العربية و آدابها ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 1426 هـــ/2005م.

95-مجلة الأصالة : ع53، السنة 7 ،صفر /محرم 1398 هـــ/جانفي 1978 م.

96-جريدة البصائر : ع 85 ،الإثنين 7 رمضان 1368هـــ/4 جويلية 1949 م.

97-مجلة الثقافة : ع 104،السنة 19 ،سبتمبر /أكتوبر 1994 م.

// : ع 108 ، السنة 20 ، ماي / جوان 1995 م.

98-مجلة سيتيفيس : ع2 ،مارس / أفريل 2005 م .

99-مجلة العلوم الإنسانية : ع9 ،منشورات جامعة قسنطينة ،1998 م .

100- المجاهد : ع 1500 ، الجمعة 29 رمضان 1409هـــ/5ماي 1989م.

101-مجلةمنتدى الأستاذ : ع1، أفريل 2005 م.

102- مجلة الوحدة : ع516 ،السنة15 ،16-22ماي 1991م.

- مقابلات :

103-مقابلة مع الشاعر بن رقطان ،محمد :بمنزله بمدينة قالمة ،يوم الأحد 28 أوت 2005 م.

فهرس الموضوعات

مقـــدمة : أ ،ب،ج،د،هـــ

مـــدخل 1

الـــواقع الجـــزائري فـــي الربع الـــثاني مـــن الـــقرن الـــعشرين

أولا : ظروف المجتمع الجزائري في الربع الثاني من القرن العشرين 2

ثانيا : واقع التعبير الأدبي في الجزائر في الربع الثاني من القرن العشرين.....7

أ- الكتـــابة النـــثـــرية 7

ب-الإبـــداع الشـــعري.....10

الباب الأول :

8مـــاي 1945في النثر الجزائري المعـــاصر (المقالة نموذجا)

الفصل الأول:

مـــضاميـــن المـــقالات حـــول أحداث 8مـــاي 1945

تمـــهيـــد.....21

1- ثامن ماي التاريخ والمأساة.....22

2- ثامن ماي الأحداث والآفاق.....28

الفصل الثاني:

الملامح الفنـــية للمقالات حول أحداث 8ماي 1945

تمـــهـــيـــد.....45

1-الوصـــــــف.....45

2- المقارنة وضرب الأمثلة.....48

3- الحوار والخـــطابـــية.....49

4- السخرية والتهـــكم.....52

5- صور وأساليب تقليدية.....54

6- الاقـــتـــباس.....57

الباب الثـــاني:

8 مـــاي1945فـــي الـــشعر الـــجزائري المعاصر

الفصل الأول:

مـــضامـــيـــن قـــصـــائـــد 8مـــــاي 1945

1- وصف الدماء والدموع.....66
2- استباحة الحرمات.....77
3- عهود استعمارية منكوثة 87
4-الدعوة إلى الثورة والنضال.....93
5-تمجيد ماي والإشادة بالشهداء.....106

الفصل الثاني:

الـــتشكيل الـــفني فـــي قـــصائـــد 8مـــاي 1945

أولا:ظواهر لغوية وتعبيرية.....112
تمهـــيـــد.....112
1 – ألـــفاظ ودلالات.....112
أ-الاستعـــمار.....112
ب- الـــثـــورة.....117
ج- الـــــحرية.....120
2- تكـــرار العـــــبارات.....123
3- ثنائية الـــقوة واللـــين في التعبير.....125
4-الخـــطابية.....130
ثانيا:الصورة والموسيقى.....136
تمهيد.....136
1- الـــصورة الشعرية.....136
أ- بنية الصورة الشعرية 137
ب- الـــرمز 145
2-الموسيـــقى.....153

أ- الأوزان 154
ب- الــقافية.....157
ج- ظاهرة التصريع 160
خـــــاتمة 163
ملاحق 167
1- نصوص نثرية 168
2- نصوص شعرية 186
3-مقابلات 233
4- تراجم.....137
قائمة المصادر و المراجع.....255
فهرس الموضوعات.....262

ملخص:

لعل من أفظع ما مرت به هذه الأمة ،حوادث 8 ماي 1945،إن هذه الأحداث قد أفرزت الكثير من الكتابات والنتائج ،وعلى جميع الأصعدة الأدبية منها والسياسية والتاريخية ،بل إنها كانت المنعطف الحاسم ،في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية ،ولقد كان لهذه الأحداث والجرائم ،صدى وأثر كبير في نفوس الجزائريين وفي وجدان الكتاب والشعراء بالتحديد ،ذلك لأن الأديب هو ضمير الأمة الحي ولسان حالها يعيش مآسيها وأفراحها ،ثم يعبر عنها بصدق وحرارة ،و من هذا المنطلق وقع اختياري على موضوع :

صدى أحداث 8 ماي 1945 في أدبيات الحركة الوطنية الجزائرية

وقد رأيت تقسيم الموضوع إلى مدخل وبابين عدا المقدمة والخاتمة .

ـــ فالمدخل يلقي الضوء على الواقع الجزائري في الربع الثاني من القرن العشرين ،و يعرف بأحداث 8 ماي 1945 ،بالإضافة إلى الحديث عن ظروف الكتابة الأدبية ،في فن المقالة والشعر في هذه الفترة .

وينقسم الباب الأول الخاص بالمقالات التي كتبت في أحداث 8 ماي 1945إلى فصلين :

- يكشف الفصل الأول عن مضامين المقالات .

- ويبرز الفصل الثاني بعض الملامح الفنية التي طبعت هذه النصوص كالوصف والمقارنة وضرب الأمثلة ،والحوار والخطابية ،وظاهرة السخرية والتهكم ومدى اهتمام الكتاب بالبيان والبديع ثم الاقتباس .

وينقسم الباب الثاني الخاص بالشعر الذي كتب في الأحداث إلى فصلين :

- يكشف الفصل الأول عن مضامين قصائد 8 ماي 1945 .

- أما الفصل الثاني الخاص بالتشكيل الفني في قصائد 8 ماي 1945 ،فهو يبرز أولا :

- بعض الظواهر اللغوية والتعبيرية التي وسمت بها قصائد ماي مثل الكلمات المكررة باللفظ أو بالمعنى ،أو بالصفة ،كالاستعمار، والثورة ،والحرية،ودلالاتها، وتكرار العبارة ودلالتها، كما يكشف عن ثنائية القوة واللين في التعبير ،في القصيدة الواحدة ،إضافة إلى تحليل ظاهرة الخطابية في القصيدة وتعدد الانفعالات لدى الشعراء . و يتطرق ثانيا :

- إلى الصورة الشعرية ،وقد رصدت من خلاله مجموعة من الصور عبر القصائد كما يكشف عن الرموز الموظفة ،والتي تعد من الأدوات الفنية التعبيرية التي تحمل الكثير من الدلالات إلى جانب الصور الشعرية .

- كما يتناول هذا الفصل أيضا ، قضية الموسيقي بحيث يقدم إحصاء للقصائد والبحور التي نظمت فيها ويتحدث عن القافية بين الأحادية والتنوع ؛وأثر التصريع كظاهرة بلاغية وصوتية في مطالع القصائد .

- أما الخاتمة ، فهي تلخيص موجز لنتائج البحث.

- وقد ذيلت البحث بأربعة ملاحق :

الملحق الأول جمعت فيه المقالات التي كتبت في أحداث ماي ،والملحق الثاني جمعت فيه القصائد التي قيلت في الموضوع قبل الاستقلال وبعده ،والملحق الثالث يحتوي على نص المقابلة مع الشاعر بن رقطان محمد ،ثم الملحق الرابع وفيه تراجم الكتاب والشعراء.

RÉSUMÉ

Le 8 Mai 1945 compte parmi les évènements les plus tragiques qu'a connu la nation algérienne.
Les évènements ont eu des répercussions sur tous les plans :
Littéraires, politiques et historiques. Ils sont même considérés comme un véritable virage dans l'histoire du jeune mouvement nationaliste algérien.

Leur impact été considérable sur l'esprit de tous les algériens et plus particulièrement les écrivains. Et ce, parce que l'écrivain constitue la conscience vivante de la nation et le traducteur fidèle de tous ses déterminismes existentiels.
Ainsi dans un souci d'une plus grande clarté sur ces déterminismes, j'ai intitulé ma thèse :

Echo des évènements de 8 Mai 1945 dans les écrits littéraires du mouvement national algérien.

A cet égard nonobstant l'introduction et la conclusion, ce sujet comportera un préambule et deux parties .

Le préambule mettra la lumière sur la réalité algérienne pendant le deuxième quart du vingtième siècle en définissant les évènements du8 Mai 1945, ainsi que sur les écrits littéraires dans l'essai et la poésie durant cette période .

La première partie consacrée à l'essai se divise en deux chapitres :

- Le premier chapitre est réservé aux contenus des essais.
- Le deuxième chapitre montrera quelques caractéristiques de ces textes comme la description , la comparaison, les exemples, le dialogue et l'interpellation et la satire ainsi que l'importance accordée par les écrivains aux figures de style et à l'adaptation.
- La deuxième partie consacrée à la poésie se divise en deux chapitres :
- Le premier dévoile les contenus des poèmes du 8 Mai 1945.
- Le deuxième chapitre met en évidence quelques aspects linguistiques et expressifs caractérisant les poèmes sur le 8 Mai 1945 comme la redondance des mots ou des signification ou des qualifiants comme l'occupation, la révolution et la liberté, ainsi que la répétition des expressions et de leurs significations .Elle mettra aussi en évidence la dualité « force et sensibilité » dans le même poème,ainsi que l'analyse du phénomène de l'interpellation dans la poésie et la pluralité des émotions des poètes.

De plus ce chapitre prendra en charge les figures poétiques dont j'ai pris quelques exemples.

Il dévoilera quelques symboles utilisés dans ces poèmes.

- on y abordera aussi la rythmique ou la musicalité caractérisant ces poème, et j'y donnerai un recensement des poèmes, de leurs types, de leur rimes (monorimes ou plusieurs rimes).
- la conclusion sera un résumé de ma thèse.
- J'ai ajouté quatre annexes :

La première comporte les essais.

La deuxième comporte les poèmes consacrés au 8 Mai avant et après l'indépendance.

La troisième contient la transcription de l'interview que j'ai réalisée avec le poète Ben Raktane Mohamed.

La quatrième renferme les biographies des écrivains et poètes.

SUMMARIZED

May 8, 1945 counts among the most tragic évènements than knew the Algerian nation.
The évènements had some repercussions on all plans :
Literary, political and historic.
They are even considered like real turn in the history of the young Algerian nationalistic movement.
Their impact was considerable on the mind of all Algerian and more especially the writers. And that, because the writer constitutes the living conscience of the nation and the faithful translator of all his/her/its existential determinisms.
So in a worry of a bigger clarity on these determinisms, I titled my thesis:

Echo of the May 08, 1945 évènements in the literary writings of the Algerian national movement.

To this consideration in spite of the introduction and the conclusion, this topic will include a preamble and two parts .

The preamble will focus the light on the Algerian situation during the second quarter of the twentieth century known as May 8th 1945 évènements as well as the literary writings and poetry during this period of time .

The first part dedicated to the essays divides in two chapters:

- the first chapter is reserved to the contents essays .
- The second chapter will show some features of these texts as the description, the comparison, the examples, the dialogue and the questioning and the satire as well as the importance granted by the writers with the faces of style and to the adaptation.

The second part dedicated to poetry divides in two chapters:
-The first unveils the contents poems of May 8th , 1945.
- while the second chapter concerns the artistic characterizing the poems on May 8th , 1945 events in divided into two researches :

The first research unveils not only some linguistic and expressive aspects characterizing the poems on May 8th , 1945 as the redundancy of the words or the notification or the qualifying as the occupation, the revolution and the liberty, as well as the repetition of the expressions and their significances.

It will also put in evidence the duality" forces and sensitivity" in the same poem, and the analysis of the phenomenon of the questioning in poetry and the plurality of the emotions of the poets.
Whereas the second research will be dedicated to the poetic faces of which I took some examples.
It will unveil some symbols used in these poems.

- one will approach the rhythmic or musicality characterizing this poem there also and I will give a census of the poems, of their types, of their rhymes (monorimes or several rhymes), there.
- the conclusion will be a summary of my thesis.
- I added four appendices:
- The first includes the tests.

The second includes the poems dedicated to May 8th before and after the independence.
The third contains the transcription of the interview that I achieved with poet Ben Raktane Mohamed.
The fourth contains the biographies of the writers and poets.